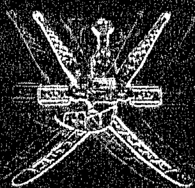
سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة



كتاب

تمهيد قواعد الإيمان

وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان

من تصنيف
الشيخ العلامة
أبي محمد خميس بن سعيد بن أحمد الشقصي

الجزء الأول

١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م



سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

كتاب

تمهيد قواعد الإيمان

وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان

من جوابات
الشيخ العالم العلامة
أبي محمد سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي

١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

قيــد بســفر قواعــد الايمـــان
لشـــوارد الأحـكام والأديـــان

وارسب ببحـر العـلم تلق جواهـرا
تحشـــو بهـن مســـامع الآذان

واستجلى للأنـــوار من أنـــواره
تجلو بهـن غشـــاوة الأذهـــان

واجعـله سـلطانا الى سـبل الهـدى
تقمـع به لغـــواية الشـــيطان

وأعظم بجامعنـــا الكبـير فانــــه
علـم الهـدى ودلالـــة الحـــيران

تجــدن بــه ما شئت من حـكم ومن
حـــكم ومرفقــه ومن تبيـــان

فالثم شـذى أزهــاره واقطـف جنى
أثمـــاره وارتـــع بروض بيـــان

سـفر هو البحـر المحيط فغص بــه
تظفـر بنيـــل الـــدر والمرجـــان

فالـــدر فى أســـدافه كالـــدر فى
أصـــدافه فانعـــم بدر معـــان

واللؤلؤ المكنون فيه وفيضه
من بحر فكر العالم الربان

ذاك ابن خلفان سعد المرتقى
قصب العلى والسبق فى الميدان

قد أتقن السفى صيغة وضعه
ناهيك من وضع ومن اتقان

أهداه سفرا بيمين سطوره
عن لؤلؤ منتظم وجمان

يهدى بغرته الأنام فأرخوا
عزا بفضل قواعد الايمان

بســم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى مهد بحكمته للعالمين ، قواعــد شوارد الاسلام ، وبين للمبصرين برحمته فى خلال صفات كتابه العــزيز المبين ، معــالم الحــلال والحرام ، ليهتدوا بنور العلم الى توحيده ومعرفته وتفريده ، فسبحانه من حكيم عــلام ، ألهم العلماء تأويــل كتــابه ، وأتقنهــم تحقيق صوابه ، ففضلهم بالعلم على ســائر الأنــام ، وأذن لهــم فى استنباط آياته من محكمات كتابه ، ومتشابهاته ليقتدوا بها على القياس فى أحكام ، وجعل اختلافهم فيه منه رحمة فيما كان من طريق الاجتهاد ، ونعمة فيا لها من نعمة لا ترام •

وأودع العارفين لطائف ستره فهم أهــل الحضــرة والالهــام ، ووفق العالمين لخدمته فهجــروا لذيذ المنــام ، وأذاق المحبين من كأس لذة قربه ، وحــلاوة مناجاته ، فحين جعلهم من خواصه ، هانت عليهم مفارقة العــوام ، وأيقظ عيــون قلوب العاشــقين ، لمــا هب عليهم نســيم المكاشفة فى خلوة المعاملة ، فهم منها بواد المحاضرة فى حبــه هيــــام •

أحمده سبحانه وتعالى على ما منحنا من جزيل الانعــام ، وأشكره إذ هدانا الى سبيل دين أهــل الاستقامة من الاســـلام ، وأنزهه عن قول الملحــدين ، وما خرقوا له فى افكهم من بنــات وبنين ، فسبحانه عن أن تكيفه مدارك العقول والأفهام ، وتعالى عن الأنداد والأضداد ، والكمية والكيفية والتحديد والتجسيم والانقســام •

صنع المصنوعات بحكمته ، وأقام الموجودات بوحــدانيته ، ودبر الكائنات بلا واســطة فى أحكام صنعها ، فلا مســاعد له ولا معين ، بل هى حكمة بالغة فلا نقض فيما أحكمه ولا إبرام ، بســط البسيطة

للأنام على لجة الماء ، ورفع السماء بقدرته على الهواء بغير عمد ولا قوام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أدخرها ليوم القيام ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله امام كل امام ، صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاما يتجددان له على الدوام ، وعلى آله وأهل بيته وأصحابه السادة الأعلام .

أما بعد :

قال العبد الفقير ، مؤلف الجامع الكبير ، المعترف بالذنب والتقصير ، المرتجى من ربه العلى الكبير ، غفر المساوى والآثام :

لما كان علم الشريعة أشرف العلوم وأنفعها ، وأعلاها قدرا وأرفعها ، مع أنه أعلق بالذات عما جري فى اللهوات ، وانطوى فى الصفحات ونمق بالأقلام ، وان آثار الشيخ العالم النحرير الفاضل المحقق المدقق سيدى أبى محمد سعيد بن خلفان الخليلى الخروصى من أصح الآثار ، وأسفاره من أوضح الأسفار ، لما ألهمه الله تعالى من بصيرة والهام ، ولم يعتن بها أحد أن يجمع ما نثره فيها من دره المصون ، وأظهره بها من جوهره المكنون ، أن ينظمه فى سلك نظام التركيب على عقد قانون الترتيب بأوضح تأليف وأحسن نظام .

كنت قد جمعت منها كتابا ، وسميته (الجامع الصغير لكتاب تمهيد الايمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان) من جوابات الشيخ العلامة سعيد بن خلفان ، لكن جاء غير مستوعب المسائل والأبواب ، ولم يفهم دليل القول فيه من لحن الخطاب ، ولم يشتمل على كيفية النهاية والاتمام ، عنّ لى أن أجمع غيره منها كتابا وأؤلفه أبوابا ، ليسهل على المطالع إن أسفرت منه المطالع ، وان أضيف

اليـه ما شذ من آثاره ، وأضم معها ما تشتت من مسائله وأسفاره ، لكى يتحصل فهمه لذوى البصائر والأفهام ، فحيث وجدت معنيين فى مسألة ، ولم تفترق ألفاظ تلك المعانى منها ، لنضع كل معنى فى بابه ، أتينا به فى بـاب كل معنى منهـا لئلا يتوهم الناظـر أن ذلك التكرار لا فائدة فيـه فى تلك الأبواب والأقسام .

وسميته (الجامع الكبير لكتاب تمهيد قواعد الايمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديـان) فأشرقت أعلامه على كل الأعلام ، وقـد ذيلنا بعض مسائل هذا الكتاب بأجـوبة نسج طرتهـا ، وأبرز للمبصرين غرتهـا ، السيد الجليل أبو نبهـان رضوان الله عليه ، توضيحا لمـا أبهمه شيخنا الخليلى من لبس وابهام ، فجاء بحمـد الله كتـابا يسر الخاطر ، ويبهج برؤيتـه الناظر .

والله أستمده واستهديه ، ومن فيض سبب جوده وحسن رعايته أستوهبه واستجديه ، وأساله أن يغفر خطيئتى يوم يؤخـذ بالنواصى والأقـدام ، وأستمنحه الهداية والتوفيق ، والسلوك الى أقوم طريق ، لأنه ولى الفضـل والانعـام ، يهب ما شاء لمن يشـاء من الأنـام ، تبارك اسم ربك ذى الجـلال والاكرام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بـــاب

فى العلم وفى طلب العلم وفى العلم النافع وفى خلق القرآن والناسخ والمنسوخ منه وشواهدها من كتـــاب الله تعالى

قوله عز وجل : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمـا بالقســط) فانظــر كيف بدأ سبحانه وتعـالى بنفســه ، وثنى بالملائكة ، وثلث بأهـل العلم ، وناهيك بهذا شرفا وفضـلا وجـلاء ونبـلا ، وقال الله تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العـلم درجـات) •

قال ابن عباس رضى الله عنـه : للعلماء درجـات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ، ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام •

وقال الله عـز وجـل : (قل هل يسـتوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال تعالى : (انمـا يخشى الله من عبـاده العلمـاء) وقال تعالى : (قل كفى باللـه شـهيدا بينى وبينكـم ومن عنـده علم الكتاب) وقال تعالى : (وقال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به) تنبيهـا على أنه اقتدر بقوة العلم •

وقال عز وجـل : (وقال الذين أوتوا الكتاب ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) ان عظم قدر الآخـرة يعلم بالعلم ، وقال تعالى : (وتلك الأمثـال نضربهـا للناس وما يعقلهـا إلا العالمون) وقال تعالى : (ولو ردوه الى الرسـول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) رد حكمه فى الوقائع الى استنباطهم ، والحق رتبتهم برتبة الأنبيـاء فى كشف حكمه الله •

وقيل فى قول الله تعالى : (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسـا

يوارى سوءاتكم) يعنى العلم (وريشا) يعنى اليقين (ولباس التقوى) يعنى الحياء ، وقال عز وجل : (ولو جئناهم بكتاب فصلناه على علم) وقال تعالى : (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) وقال عز وجل : (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) وقال تعالى : (الرحمن • علم القرآن • خلق الانسان علمه البيان) وانما ذكر ذلك فى معرض الامتنان •

وأما الأخبار الواردة عن النبى المختار : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفقهه الدين ويلهمه رشده » وقال صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الأنبياء » ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة •

وقال صلى الله عليه وسلم : « يستغفر للعالم ما فى السموات والأرض » وأى منصب يزيد على منصب من يشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له ، فهو مشغول بنفسه ، وهم مشغولون بالاستغفار له ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك » ، وقد نبه بهذا على ثمرته فى الدنيا ، ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى •

وقال صلى الله عليه وسلم : « خصلتان لا يكونان فى منافق : حسن سمة وفقه فى الدين » ولا تشكن فى الحديث لنفاق فقهاء الزمان ، فانه ما أراد به الفقه الذين ظننتم • وقال صلى الله عليه وسلم : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء » وقال صلى الله عليه وسلم : « أوحى الله عز وجل الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انى عليم أحب كل عالم » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « صنفان من آمتى اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس » •

وكثـير من الأخبـار والآثار ما ورد عنـه عليـه السـلام فى فضيلة العلم ، وناهيك به شرفا وفضـلا ما أورده الله فى كتـابه العزيز من مدح العلمـاء وعلو شرفهم ، حيث عظمهم هذا التعظيم بفضـل العلم ، وجمعهم معه ومع الملائكة فى الشهادة على وحدانيته وعـدله ، حيث استنبطوا من كتابه العزيز الحجج الساطعة ، والبراهين القاطعة ، وهم علماء العـدل والتوحيـد ، الذين حظهم ورثة أنبيـائه ، والقوام بالعـدل فى أرضه ، وهم علماء الآخـرة لا علماء السـوء المبتدعين •

وقال النبى عليه الصـلاة والسـلام : « علمـاء أمتى كأنبيـاء بنى اسرائيل » وقال عليه الصلاة والسلام : « علمـاء أمتى كالنجـوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وقال عليه الصلاة والسلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال عليه الصلاة والسلام : « تعلموا العلم فان تعليمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، والبحـث عنه جهاد ، ومذاكرته تسبيح ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة » لأنه معالم الحـلال والحرام ، وهـو منار سـبيل أهـل الجنـة ، والأنيس فى الوحدة ، والصاحب فى الغربة ، بالعلم يعرف الله ويوحـد ، وبه يطاع الله ويعبد ، وهو امام العمل والعقل تابعه ، يلهمـه الله السعداء ، ويحرمه الأشقياء ، والعلم على ثلاثة أصناف : وهـو وهبى وضرورى وكسـبى •

قلت لشيخى الخليلى سعيد بن خلفان : ما الفـرق بين العـلم الوهبى والضرورى والكسـبى ؟ تفضـل بينـه لنـا بيـانا شـافيا للاشـكال نافيا •

قال : الوهبى : يلقيه الله تعالى فى قلب عبـده فيض نورانى ، ومدد رحمـانى •

والضرورى : ألا يمكن أن يتصور لذى بال خـلافه ، بأن الاثنين أكثر من الواحـد •

والكسبى : ما عرف بالتعلم والتحفظ والاجتهاد ، فحصل بسمع من المسموعات ، أو نظر من المرئيات ، أو بفكرة من نتائج المقدمات ، لأهل الاستدلال والنظر ، والله أعلم .

وقيل فى الخبر : العلم ميت احياؤه الطلب ، فاذا حيى بالطلب فهو ضعيف قوته الدرس ، فاذا قوى بالدرس فهو محتجب اظهاره المناظرة ، فاذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم نتيجته العمل ، فاذا نتج بالعمل فهو مريض صحته الاخلاص ، فاذا صح بالاخلاص هدى الى سبيل الجنة ، ولا توفيق إلا بالله .

* مسألة :

وسألت شيخى الخليلى فى قراءة سورة الاخلاص ما الأفضل عندك فى قراءتها ، أن يقف بالجزم فى كل صفة منها ، أم يقف على الصمد ليميز بين النفى والاثبات فعلى هذا ما الأولى له أن يضم دال أحد ليحصل له تفخيم اسم الذات ، أم ينون الدال ويرقق الاسم ؟ تفضل أوضح لى ما الأفضل معك من ذلك كفيت المهالك .

قال : الله أعلم ، وعندى أن الوقف عند كل فاصلة من هذه السورة الشريفة جائز حسن ، والوصل جائز كذلك بلا فرق أعرفه ، والنفى والاثبات منها كله سواء فلا يحتاج الى فصل بينهما ، كما لا فصل بين قوله تعالى : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) واذا وقف على الفواصل المعربة بالجزم ، فليسكنها على ما عهد من جزمها ، وان وقف على الفواصل المعربة جاز له فيها ثلاثة أوجه فى المشهور من القراءات وهى : السكون والجزم والاشمام ، فان وصلها رجع الى اعرابها المعهود إلا فى الفاصلة الأخيرة ، فيقول :

(قل هو الله أحد • الله الصمد) بتنوين أحد مع رفعه ، وبكسر التنوين لالتقاء الساكنين ، فيرقق اللامين فى اللفظ من اسم الجلالة فى أول الفاصلة الثانية لمناسبة الكسرة التى قبلها ، ولا فرق من جهة التعظيم بين الترقيق والتفخيم كما تراه متفقا عليه ، أو مجتمعا اذا ولى الكسر فى كل موضع من القرآن العظيم الكريم ، ولو لم نجده كذلك إلا فى بسم الله الرحمن الرحيم لكفى ، وانما ترقق الحروف أو تفخم لتناسب اللفظ لاغيره ، وما فى ذلك خفاء ، والله أعلم •

✻ مسألة :

ومن هذا سؤال من شيبة الاسلام الى الفقير لفظه : هل تعلم شيئا من القرآن أن يحجر الوصل فيه قطعا ، حتى يقال انه لا يجوز شرعا ، كنحو قوله تعالى : (ولم يجعل له عوجا • قيما لينذر بأسا شديدا) وكقوله تعالى : (تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى • الرحمن) فيصل عوجا بقيما ، والعلى بالرحمن ، مارا ولا يقف بينهما ؟ تفضل أوضح لنا الحق فى هذا كما عرفته من مذهب أهل الصدق مأجورا مثابا ان شاء الله •

قال : ان فى الأثر من قول أصحابنا ما دل فى صريح البيان على جواز فصل القرآن ، ولو قدر تاليه أن يقرأه كله فى نسم واحد ، فيما عرفنا من قولهم : انه غير الاحن بذلك ولا لاحد ، وانما فيه مواضع استحسنوا الوقف عليها ، ومواضع أخرى يحسن الفصل بغير وقف لديها •

فالأول ما يخشى أن يفهم منه غير مراده ، بصرف تأويله عن وجه رشاده ، فاستحسن فصله بالوقف لسداده لموضع الفاصلة من قوله تعالى : (وما هم بمؤمنين • يخادعون الله) لئلا يتوهم نفى

المخادعة عن تقدير على التبعية ، ولأجله كان الوقف أولى مع هذه الفاصلة البهية •

ومثل هذا استحسنوا الوقف بعد البسملة الشريفة فى ابتداء تسع السور المشهورة المنيفة ألا وهى : سورة محمد صلى الله عليه وسلم ، والقيامة ، وعبس ، والمطففين ، والبلد ، والبينة ، والقارعة ، والتكاثر ، والهمزة وسورة أبى لهب • وليس فى استحسان ما يدل على أنه مما وجب ، ولا بأس أن يلحق بهن فى القسم ، كما أشبههن بالمعنى ، كالحاقة ، والقارعة ، وما صدر منهن بواو القسم ، وما جرى من الآيات بهذا المجرى ، فانه به فى الحكم أحرى ولو فى غير الفواصل كالوقف على : (فاستبقوا الخيرات) والابتداء بالشرط والجزاء لئلا يتوهم تعلق الشرط بالأمر كون الجزاء جوابا للأمر أيضا فيفسد المعنى •

وكذا فى قوله تعالى : (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) والابتداء باسم اشارة ليتمحص استئنافه للجواب ، لئلا يتوهم كونه نعتا لما قبله ، ويكفى فى كل من هذه المواضع من الفصل ما يدل عليه ، ولو لم يقف القارىء لديه ، غير أن الوقف أولى بالفواصل وأحلى •

والثانى : ما تعارض فيه معنيان يقتضيان وصلا وفصلا ، فتجاذب منه اليهما الطرفان ، كقوله تعالى : (ولم يجعل له عوجا • قيما) فلئلا يتوهم فى قيما كونه صفة للعوج حسن الفصل ، ولئلا يفصل بين الحال وصاحبها حسن الوصل فكان من حق هذا الموضع أن يفصل قليلا بغير وقف ، ولهذا نفى بعض الرواة أن ينسب الوقف عليه الى بعض أعلام القراءة لم يحضرنى ذكر اسمه •

وقال من نسب ذلك اليه : فقد أخطأ وانما كان يفصل بينهما قليلا قدر ما يظهر فصلا بينهما ، ولعله بقدر أخذ النفس ، وأما الوقف على الفاصلة من قوله تعالى : (خلق الأرض والسموات العلى) والابتداء بقول : (الرحمن على العرش استوى) فحسن جيد لمن رامه ، من غير أن يوجب التزامه ، فانه لا مقتضى له البتة ، فالوصل فيه كالفصل ، والوقوف عليه كالاندراج فى التلاوة بحكم الأصل ، وليت شعرى أى داع الى وجوب الوقف عليه ألا يخبرنى من يدريه أنى لا أعرفه فأقتفيه ، ولا يبين لى أن يصح ذلك فيه •

وليس هو من الفصل الأول فى شيء وكفى بمغايرة الاعراب بينهما برفع الرحمن فى أشهر القراءات دليلا على أنها فى الأحكام من مستأنف الكلام ، فأين محل الاشكال ، أو موضع الجدال فى هذا •

فان قيل : فيوجد فى بعض كتب القوم أن الوقف لازم فى نحو الفصل الأول دفعا لمظنة الوهم ، فما لأصحابكم لا يقولون بلزومه ؟

والظاهر أنه من قولهم حسن فيقال : ان القرآن قد أنزل باللسان العربى فى البيان ، فجرى فى بديع خطابه لأفهامهم على أساليب كلامهم ، وفى لسانهم الحقيقة والمجاز ، والتورية والكناية ، والاشارة والابهام والالغاز الى غير ذلك مما سبقت لهم به مزدوجة البلاغة أفانين الفنون ، وتصرفوا فى كل فن منه بعدة أوجه من بديعه ، والحديث كما قيل شجون ، ولما به فى أسرار البلاغة من عظيم الاعجاز ، خاطبهم بما حسن فى لسانهم ، وجازوا لهذا حين تقاصرت الأفهام ، وتكاثرت الأوهام ، فضل قوم فتاهوا فى مناهج التأويل ، واهتدى آخرون من أعلامه بواضحة الدليل •

فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منــه ابتغــاء الفتنه وابتغــاء تأويــله ، وأما الذين يستمعون القــول فيتبعــون أحسنه ، فلا يغترفون من بحر أنواره إلا ما يهــدى لأقوم سبيله ، فلا لبس فى الحقيقة ، ولا وهم لمن آتاه الله فى معانيــه الفهم ، وأى داع الى تصور فاســد التأويل مع دعــوى احتماله ، ولا لبس فى نور الحــق تجلو المعنى ما فى دفع ذلك أظهر من الشمس ، أليس الحــق أحــق أن يتبع ، أليس الصــدق أولى بأن يكون فى التأويل هو المستمع ، وأن يكون الباطل كاسمه ، زاهقــا فى حكمه مقطوعا دابره ، مدموغا بسيف الحــق أوله وآخــره ، غير معتد به ، ولا معــول عليه ، ولا ملتفت اليــه ، فانه غير شيء فأنى يعــول عليه •

أما فى الآى الشريفة من قرائن المبــانى ، وشــواهد المعــانى ، ما يكتفى به فى البيــان ، على صريح الحق لمن لا يجحد العيــان ، فكيف يصح الوقوف من بعد هذا باظــلال الوهم ، ولم يكن شيئا مذكــورا ، والعدول اليهــا عن معالم العــدل وهى تتلألأ نورا ، هذا ما لا ســبيل اليــه ، وإلا فما يصنع من عارض اجتراء ، أو حــاور مراء بنحــو قوله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمــا بالقســط) •

ولولا الاكتفــاء فى هذا المعنى بصريح المعنى ، لجاز أن يقــع فى فاســد الفهم أنه من مظنة الوهم ، كما لا يخفى لأن العطف انما هــو فى الحــق على الفاعل ، ويحتمــل أن يكون على المستثنى فى صريح الباطل ، والوقف بين المعطــوف والمعطوف عليــه إلا لعــذر هو قبيح ولا ضرورة ، فالفصــل فى هذا النسق الفصيح هو لا غــيره الصحيح والمبتدأ بالمعطوف على تقدير عطفه ، لا يدفع بالجزم باطل ما يتصــور منه فى الوهم ، والابتداء به استئنافا لا معنى له لاخــلاله بالمعنى •

وكأين من موضوع فى كتاب الله كذلك يظهر بالاستقراء لمن بـه تعنى ، ألا ترى الى قوله تعالى : (يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم) فعلى القراءة الشهيرة فى هذا الموضع الكريم ، برفع الملك القدوس العزيز الحكيم لو تأولها الجـاهل أنها بدل من الفـاعل من يسبح ، لشاع له فى الباطل أن يكون من الكلام العاطل ، ولكن أبى الله إلا أن يظهر نوره ، ويتم ظهوره ، فلا يضره الجاحدون ، ولا يخفى عليـه الملحدون ، وليس فى هذا وبابه ما يؤذن بوهم فى صـوابه ، فيجوز أن يسمى شيئا فى جوابه •

كلا بل هـو فى كل زمـان نوع هذيان ، أو وسوسـة شيطان ، أو حديث نفس ما لها به من سـلطان ، لعدم ما عليـه من برهـان ، ان الحكم إلا لله يقضى بالحـق ويقول الصدق •

فلا عبرة فى مراء بتأويل هزاء من فوق الأرض ، ليس بذى طول ولا عرض ، أم يكون من السداد أن يقـاس بيت العنكبوت بارم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، ولا جـرم فالحـق أعظـم ركنا من ارم وأثبت ، والباطل يضمحل هباء ، ويذهب جفاء ، لأنـه ليس شىء جزما ، فأنى يستوجب فى الحق أن يكون فى الثابت حكما •

وفى الاجماع أن الحق يعلو أو لا يعلى فلا قرار لتأويل الباطل ، ولا احتمـال له فى دين المولى فقد بطـل الباطل وتلاشى ، وكان ذلك هو به أولى ، وبه يسـتدل قطعـا على أن ذلك الوقـف فى موضـع استحسانه ليس بالواجب شرعا ، إذ لا موجب له إلا مخافة تلاعـب الأوهام ، بما يولاهـم فساد المعنى من مفهوم الكلام •

ولا عبرة به على حال ، فان تطـرق المجال اليه فى حـكم الحق محـال ، لأنه فى محكم وصفه لا يأتيـه الباطل من بين يديـه ولا من

خلفه ، ومن عرض له فى وهمه ، سوء فهمه ، فذلك لقصوره وغرقه فى بحر نوره ، ولا يحمل على غيره ، لعظيم خيره ، فانه مجرد من الشوائب برىء من المعائب ، وبهذا ينكشف لك الحق فيما أصله أصحابنا فى هذه المسألة ، وعليه نبنى جوابنا •

والله نسأله أن يفيض علينا من نور هداه وتوفيقه ، ما يبلغنا الى أقوم طريقة ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

*** مسألة :**

ومنه : وهل تعلم شيئا من القرآن يحجر الوصل فيه قطعا ، حتى يقال انه لا يجوز شرعا ، كنحو قوله تعالى : (ولم يجعل له عوجا • قيما لينذر بأسا شديدا) وكقوله تعالى : (تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى) فيصل عوجا بقيما ، والعلى بالرحمن ، مارا ولا يقف بينهما ؟ تفضل أوضح لنا الحق فى هذا عما عرفته من مذهب أهل الصدق مأجورا مثابا ان شاء الله تعالى ؟

الجـــواب :

ان فى الأثر من قول أصحابنا ما دل فى صريح البيان ، على جواز وصل القرآن ، ولو قدر تاليه أن يقرأه كله فى نسم واحد ، ففيما عرفنا من قولهم أنه غير لاحن بذلك ولا لاحد ، وانما فيه مواضع استحسنوا الوقف عليها ، وأخرى يحسن الفصل بغير وقف لديها •

فالأول ما يخشى أن يفهم منه غير مراده ، بصرف تأويله عن وجه رشاده ، فاستحسنوا فصله بالوقف لسداده ، كموضع الفاصلة

وقوله تعالى : (وما هم بمؤمنين • يخادعون الله) لئلا يتوهم نفى المخادعة على تقدير التبعية ، ولأجله كان الوقف أولى من هذه الفاصلة البهيـة •

ولمثل هذا استحسنوا الوقف بعـد البسملة الشريفة ، فى ابتداء تسع السور المشهورة المنيفة ألا وهى : سورة محمد صلى الله عليـه وسلم ، والقيـامة ، وعبس ، والمطففين ، والبلد ، والبينة ، والتكاثر ، والهمـزة ، وسـورة أبى لهب ، وليس فى الاستحسان ما يـدل على أنه مما وجب ، ولا بأس أن يلحـق بهن فى القسم ، كلما أشبههن فى المعنى ، كالحاقة ، والقارعة ، وما افتتح بواو القسم ، وما جـرى من الآيات بهذا المجرى ، فانه به فى الحـكم أحـرى ، ولو فى غير الفواصل كالوقف على (فاستبقوا الخيرات) والابتـداء بالشرط والجزاء جوابا للأمـر أيضا فيفسد المعنى •

وكذا فى قوله تعالى : (قالـوا يا ويلنـا من بعثنـا من مرقدنا) والابتداء باسم الاشـارة ليتمحص استئنافه للجـواب ، لئلا يتوهم كونه نعتا لمـا قبله •

ويكفى فى كل من هذه المواضع من الفصـل ما يدل عليه ، ولو لم يقف القارىء عليه غير أن الوقف أولى ، عند الفواصـل وأحلى ، والقول به فيهـا حيث لا مانع أظهر وأجلى •

والثانى ما تعارض فيـه معنيان للوصـل والفصـل يقتضيان ، فتجاذب منه اليهما الطرفان ، كقوله تعالى : (ولم يجعـل له عوجا • قيمـا) فلئلا يتوهم فى قيما كونه صفة لعوجا حسن الفصـل ، ولئلا يفصـل بين الحال وصاحبها حسن الفصل ، فكان من حق هذا الموضع أن يفصـل قليلا بغير وقف مراعاة للاعتبارين ، وجمعـا بين الوجهين ،

كما هو مذهب حفص ، وأما غيره من القراء فانهم يصلونه كما صرح به الشاطبى فى قوله :

وسكتة حفص دون قطع لطيفة
على ألف التنوين فى عوجا بلا

وفى نون من راق ومرقدنا فلا
م بل ران والباقون سكت موصلا

قال الشارح : أخبر أن حفصا يسكت سكتة لطيفة دون قطع نفس عن الألف المبدلة من عوجا ، ثم يقول : (قيما لينذر بأسا شديدا) ، وكذلك يسكت فى سورة القيامة على النون من من ثم يقول : (راق) وكذلك سكت فى سورة يس على الألف من (مرقدنا) ثم يقول : (هذا ما وعد الرحمن) وكذلك يسكت فى المطففين على اللام فى (بل) ثم يقول : (ران على قلوبهم) ، وان الباقين يصلون ذلك كله من غير سكت انتهى •

فانظروا فى هذا كله ، فان فى صريح قوله ما دل فى عدله على غلط من أوجب الوقوف على عوجا فى كل قول ، كما صرح به الشاطبى فى نظمه ، والمفسر فى شرحه فى المذهبين جميعا ، لأن الباقين من القراء ماعدا حفصا يوافقون على وصلها ، ومذهب حفص هو ما قلناه من فصلها إلا أنه كما صرحوا به بسكتة لطيفة من دون قطع نفس ، فهو فى حكم الوصل ، كما لا يتصور الوقف فى الموضعين المذكورين فى القيامة والمطففين ، لأنه لا يحل الوقف فيهما البتة ، ولكن هذا الموضع من قبلهما فى معنى الفصل فى موضع الوصل ، جمعت كلها فى باب واحد لحكم واحد كما ترى •

وبالجملة فالوصل أظهر حسنا فى هذا الموضع من الوقف ،

لـــا تقرر فى القـــواعد ، وأما الوقف على الفاصلة من قوله تعالى : (خلق الأرض والسموات العلى) والابتـداء بقوله : (الرحمن على العرش استوى) فحسن جيد لمن رامه من غير أن يجب التزامه ، فانـه لا مقتضى له البتة ، فالوصل فيه كالفصـل والوقوف عليه كالاندراج فى التلاوة بحكم الأصل •

وليت شـــعرى أى داع الى وجـوب الوقـوف ألا يخبرنى من يدريه ، انى لا أعرفه فأقتفيه ، ولا يبين لى أن يصح ذلك فيـه ، وليس هو من الفصل الأول ، وكفى بمغايرة الاعراب بينهما برفـع الرحمن فى أشهر القراءة دليـــلا على أنها فى الأحـكام من مستأنف الكلام ، وفى القراءة بالجر كذلك ، لأنها صفة لمن خلق أو عطف بيـــان أو بدل منه ، ولا لبس هنالك فأين محل الاشكال أو موضـــع الجـــدال فى هذا ، فان قيـل فيوجد فى بعض كتب القـوم أن الوقف لازم فى نحو الفصـــل الأول دفعـــا لمظنة الوهـم فما لأصحابكم لا يقولون بذلك الظـــاهر انه من قولهم حسن ؟

فيقال : ان القرآن قد أنزل باللســان العربى فى البيان ، فجرى فى بديع خطابه لأفهامهم على أساليب كلامهم ، وفى لســانهم الحقيقة والمجاز ، والتورية والكناية والاشــارة والابهــام والالغاز ، الى غير ذلك مما سبقت لهم من دوحـــة البـــلاغة أفانين الفنون ، وتصرفوا فى كل فن منـــه بعدة أوجـــه من بديعـــه ، والحـديث كما قيـــل : ان الحديث شجون •

ولما به فى أسرار البلاغة من عظيم الاعجـــاز ، خاطبهم بما حسن فى لسانهم وجاز ، ولهــذا حين تقاصرت الأفهام ، وتكاثرت الأوهام ، ضل به قـــوم فتاهوا فى مناهج التأويل ، واهتـــدى آخرون من أعلامه بواضحة الدليـــل ، (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشـــابه

منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) وأما الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فلا يغترفون من بحر أنواره إلا ما يهدى الى أقوم سبيله ، فلا لبس فى الحقيقة ، ولا وهم لمن آتاه الله فى معانيه الفهم ، وأى داع الى تصور فاسد التأويل ، وأى داع الى تصور فاسد التأويل ، وأى داع الى تصور فاسد التأويل مع دعوى احتماله ولا لبس •

أليس فى نور الحق بجلى المعنى ما فى دفع ذلك أظهر فى الشمس ، أليس الحق أحق بأن يتبع ، أليس الصدق أولى بأن يكون فى التأويل هو المستمع ، وأن يكون الباطل كاسمه زاهقا فى حكمه مقطوعا دابره ، مدموغا بالحق أوله وآخره ، غير معتد به ولا ملتفت اليه ، فانه غير شيء فأنى يعول عليه ، أما فى الآى الشريفة وقرائن المبانى وشواهد المعانى ما يكفى به فى بيان ، على صريح الحق لمن لا يجحد العيان ، فكيف يصح الوقوف من بعد هذا ضلال الوهم ، ولم يكن شيئا مذكورا •

العدول اليها عن معالم العدل وهى تلألأ نورا ، هذا ما لا سبيل اليه ، لأن فى ثبوته ما لا يخفى من بطلان كل ما احتمل وجهين من نوع البيان ، ان كان أحدهما يقضى فى المعنى بفساد لما به من عناد ، فيشمل المنع معظم أنواع البديع كالاستعارات المستغربة ، والمجازات المستغذبة ، ونظايرهما مما جاء به القرآن ومن حقه ولابدا ، يعدل به لزوما فى الطريقة لصحة تأويله الى المجاز عن الحقيقة ، وكفى بالقرآن شهيدا على الجواز له والاستحسان ، ولا ينكر شيئا من هذا من رزق ذوقا من عقل وايمان •

وهكذا تطرد فى مثله من القول أحكامه المبنية فيما اتضح المعنى المعنى والمحل القرينة لعدم الفرق بينهما فى الحق ، وإلا فما يصنع

من عارض اجتراء أو جاور مراء بنحو قوله : (شهد الله أنه لا إلــه إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) فلولا الاكتفــاء فى هذا المعنى بصريح المعنى ، لجــاز أن يقع فى فساد الفهم ، أنه من مظنة الوهم كما لا يخفى ؛ لأن العطف انمــا هو فى الحــق على الفــاعل •

ويحتمل أن يكون على المستثنى فى صريح الباطل ، والوقوف بين المعطوف والمعطوف عليه فى هذا لا تأثير له فى حكم صحيح ، فالوصل فى هذا النسق هو الجــائز والحسن الفصيح ، لأن الابتداء بالمعطوف على تقدير عطفه ، لا يدفع بالجزم باطل ما يتصور منه فى فاســد الوهــم والابتداء به أستئنافا ، لا معنى له لاحــلاله بالمعنى ، وكأين من موضع من كتاب الله كذلك يظهر بالاستقراء لمن به تعنى ، ألا ترى الى قوله تعالى : (يســبح لله ما فى الســموات وما فى الأرض الملك القــدوس العزيز الحكيم) فعلى القراءة الشهيرة فى هذا الموضــع الكريم برفــع الملك القدوس العزيز الحكيم وتأولها الجــاهل بأنها بدل من الفاعل ، لساغ له فى الباطل أن يكون من الكلام العــاطل ، ولكن أبى الله إلا أن يظهــر نوره ، ويتم ظهــوره فلا يضره الجاحدون ، ولا يخفى عليــه الملحدون ، وليس هذا وبابه ما يقــدح فى صوابه ، فيجــوز أن يسمى شيئا فى جــوابه •

كلا بل هو فى كل زمان نوع هذيان ، أو وسوسة شيطان أو حديث نفس ما لها به من ســلطان ، لقــدم ما عليــه وبرهان ، ان الحــق إلا لله يقص الحــق ، ويقول الصدق ، فلا عبرة فى مراء بتأويل هراء ، مجتث من فــوق الأرض ليس بــذى طــول ولا عرض ، أم يــكون من السداد ، أن يقاس ببيت العنكبوت بإرم ذات العمــاد ، التى لم يخلق مثلهــا فى البلاد ، ولا جــرم فالحــق أعظــم ركنــا وأثبت من إرم ، والباطل يضمحل هبــاء ، ويذهب جفــاء لأنه ليس بشىء جزما ، فأنى يستوجب فى الحــق أن يكون من الثابت حكما •

وفى الاجمـاع أن الحـق يعلو أو لا يعلى ، فلا قـرار لتأويل البـاطل ، ولا احتمال له فى دين المولى ، فقد بطـل الباطل وتلاشى ، وكان ذلك هو به أولى ، وبه يستدل قطعـا ، على أن ذلك الوقـت فى موضع استحسانه ليس بالواجب شرعا ؛ إذ لا موجب له إلا مخالفـة تلاعب الأوهام ، بما يوهم فسـاد المعنى من مفهـوم الكلام ، وقـد اتضح بما قدمناه أنه لا عبرة بذلك على حـال ، فان تطـرق الوهـم فى حكم الحق محال ، لأنه الذى قال الله فى محكم وصفه : (إنه لا يأتيه الباطل من بين يديـه ولا من خلفه) تنزيلا فعرفنا به يقينـا أن من عرض له فى وهمـه بما يوجب شكا فيه ، أو لبسـا فانمـا هو لسـوء فهمـه ، لمـا به من قصـوره ، لقلة نوره ، وذلك لا يحمـل على غيره لعظيم خيره ، فانه مجـرد من الشـوائب برىء من المعايب ، وبهـذا ينكشف لك الحق فيما أصله أصحابنا فى هذه المسألة وهو جوابنا •

ولقد صرح به بن الجوزى فى قوله : وليس فى القرآن من وقف وجب ، ولا حـرام غير ما له سبب •

فان قيل : هذا حكم الوصل أفمثله يكون حـكم الوقف والفصل ، أم بينهما فى الحكم فرقا فلا تخبرنى عنه بالحـق ؟

فيقال : بل ان الفرق بينهما ظاهر ، عند أهل العلم شـاهر ، فى القرآن أنزل مفرغـا فى قوالب البيان ، سمطا منتظما نظما محكما ، إلا أنه لعظم العناية ، ومن يد الإلطاف والهداية ، فصلها سورا تتلى ، وآيات تترى ، هو الفواصـل تسمى ، وجعـل فى فواصـله مواضع ، هى للفصـل مقاطـع ، أيضـا فعلم بالاستقراء بحجج أحكامهـا أن للسور جميعا عند مقاطع أختامها ، حكم صحة الوقوف عليهـا ، وكونه الأحسن لديهـا الاستقلال حكمها بذاتها ، لانقطاع متعلقاتها •

وأما الوقوف من بعد على رءوس الفواصل أو ما دونها من الألفاظ ، فهو تبع للمعنى ، فلما عرفنا من قول العلماء والحفاظ ، ولهذا يتفرع فى أحكامه الى خمسة أوجه :

فأولها : الوقوف عليه أفضل من وصله ، وهو المندوب اليه ، وهو الذى سبق القول فيه أنه يوجد فى بعض كلام القوم ، أن الوقف واجب لديه ، وتكلمنا على أثره بما حضرنا من قول المسلمين الصحيح فى منع الوجوب ، وكونه من خبر المندوب ، على أنى لا أراه موضع اجماع يمنع دينا من نزاع ، ولو قيل فيه رأيا بايجابه لم أبعده من أن يكون قريبا من جواز الرأى عليه فى صوابه ، وقد مضى منه فى الفصل الأول ما يغنى عن الاعادة وكفى به •

وثانيها : الوقوف وهو ما استوى فيه الوصل والفصل بعدم ما يرجح أحدهما على الآخر من حيث دلالة المعنى فى المعدل ، ومحله تمام الكلام ، واستقلال المعانى بذاتها بلا متعلق بها فى الأحكام ، كالوقوف عند قوله تعالى : (ملك يوم الدين) أو مع قوله : (اياك نعبد واياك نستعين) ، وكقوله تعالى : (انا أعطيناك الكوثر • فصل لربك وانحر • ان شانئك هو الأبتر) ولا ينكر أهل الأحلام والفهوم ، أن يلحق من غير الفواصل ما كان بهذه المثابة كقوله تعالى : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) غير أن الوقف على الفواصل أوجه وأولى ، والوصل من قبل تمامها أوجه وأسوغ وأحلى بمن أمكنه ذلك وإلا فهما من حيث الحكم فى الجواز سواء •

وثالثها : الوقف لتمام ما شرع فيه من الكلام ، إلا أن ما بعده يتعلق به فى الأحكام كالتوابع الأربعة ، النعت والعطف والتوكيد والبدل ، وكالحال وأدوات الخفض وما يضاهيهن فى المثل ، فوصل هذا وبابه أولى ان أمكن صوابه ، والوقوف عليه فى قولهم جائز ،

وليس بأحسن غير أنى أستدرك منه ان استطالت الفواصـل ، قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • ملك يوم الدين) فليس فى الأولى والثانيـة محل الفصل ، فالوقف غـير حسن فيمـا صرحوا به لمن أمكنه الوصـل ، هو كذا فى قوله تعالى : (انك لمـن المرسـلين • على صراط مستقيم • تنزيل العزيز الرحيم) مع جر لام تنزيل وقس على هذا ما يشبهه بصحيح التأويل •

فان تسع القول واستطالت الفواصـل ، أو كثرت كـذلك مما فى استحسانه مجادل ، كقوله تعالى : (تبارك الذى بيـده الملك وهو على كل شيء قدير • الذى خلق الموت والحيـاة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور • الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور) وكقوله تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سـلاما • والذين يبيتون لربهـم سـجدا وقياما) الآيات وفى (قد أفلح المؤمنون) وفى سورة المعارج وغيرهن من الحق هذا ما لا ينكره المبصرون •

فان قيل : فأى شيء سوغ هذا مع كثرة الفواصـل أو استطالتها ولـم نجـد من تفرقة بينهمـا فيمـا ألقينـاه فى الآثـار من صحيح مقالتها ؟

فيقال : لأما ما تعـذر على القارئ وصله ، فسقوط التكليف عمـا لا يستطاع هو الدليـل على أنه يحسن فصله ، وأما ما دونه فالأصـل الصريح ، فى هذا المنهاج الصحيح ، أن فى لسـان الخطباء والشعراء من فصحاء العرب ، ما بنى على قواف عـديدة ، يتصـل بها قواف من التوابع مديدة ، فلا تناكر معهم أن يقفوا عنـد القوافى ، ويبتدءوا من بعـدها ملحقين بها حكما ما اتصـل بهـا معنى من نعت ، أو عطف

أو حـــال ، فتكون توابع للأول ، أو قوافٍ ، أم ينكر شيء من هــذا فيقال بعد استحسانه ، وانه لوضـــوح بيـــانه ، على المنصفين غــير خـــاف •

وللفواصل فى ذلك من الحكم كذلك ، ألا ترى فى النعت مع كمـــال اتصـــاله جواز قطعـــه عن التبعية فى اعـــرابه ، ان عـــرف المنعـــوت بدونـــه فى حاله ، ولـــكن الحـــال فى الأصـــل غالبـــا صفة قطعت عن موصوفها ، فدلت على الهيئة فغـــير بعيد أن يتوسع فيهـــا بهـــذا إذا أثبتهـــا معنى ومحـــلا ، ولا سيما مع استطالة الفواصـــل كما قلنـــاه فيما سبق قبـــلا ، فانه فيه ظاهر ، كقـــوله تعالى : (فأقم وجهـــك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخـــلق الله ذلك الـــدين القيم ولكن أكثر النـــاس لا يعلمون • منيبين اليـــه واتقـــوه وأقيمـــوا الصـــلاة ولا تكونـــوا من المشركـــين) وكقـــوله تعـــالى : (لئن لم ينته المنافقون ، والذين فى قلوبهـــم مرض والمرجفـــون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيهـــا إلا قليـــلا • ملعونين أينما ثقفوا أخـــذوا وقتلوا تقتيـــلا) وكقـــوله تعالى : (ان الذين آمنـــوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنـــات الفردوس نـــزلا • خالدين فيهـــا لا يبغـــون عنها حولا) •

ولمثل هذا لم نقل فيما سبق بالمنع من الوقوف عند قوله تعالى : (ولم نجعـــل له عوجا) فقوله : (عوجـــا) رأس الآية ، وموضـــع الفاصلة ، وهى مقر الوقوف مع ما بين عوجـــا وقيما من التبـــاين الداعى الى فصل بينهما عند أهل العرف إلا أنهـــا من الفواصـــل التى لا تستطال ، وتعلق ما بعد بها يؤذن بالاتصـــال ، فلابد لتعارض المعـــانى هنـــاك من أن يجـــوز ثمت هذا وذاك فاعرفه •

ورابعهـــا : الوقف قبـــل تمـــام الكلام من دون افســـاد معنى

ولا تغييره عما له من الأحكام ، كالوقف بين القسـم وجوابه ، وبين الشرط والجـزاء ، وقس على ذلك ما كان من أضرابه ، كالوقـف بين المبتدأ وخبره ، وبين اسم ان وخبرها ، واسم كان وخبرها ، وبين ظن ومعمولاتها ، والفعـل وفاعله أو مفعوله ، والموصول وصلته ، والتمييز والمميز منه ، والحـال وصاحبها ، فلا تقف عند شيء من هـذا وباقه وتوقه إلا من عـذر ، فلابـد من اجتنابه أنـه على الصحيح وقف مكروه قبيح .

فالقسم كقوله تعالى : (يس والقرآن الحكيم . انك لمن المرسلين . على صراط مستقيم) .

والشرط كقوله تعالى : (حتى اذا رأوا ما يوعدون . إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا) .

والمبتدأ كقوله تعالى : (ليلة القدر خير من ألف شهر) .

والموصول كقوله تعـالى : (صراط الـذين أنعمت عليهم غـير المغضـوب) وقس على ذلك ، فان حصـل العـذر تفادى فوقف فى هذا البـاب ، خـرج من حد القبح ، فكان الجـواز أولى به فى هـذا الجـواب ، لكن القـارىء فى هـذا ومثله الى ذلك الكلام بحسـب المعنى فيعيده الى التمـام ، كمـا سيأتى ان شاء الله .

واذا اتسع القول ، أو كثرت الآيات لتعـذر فصلها ، حتى عجـز التالى والحالة هذه عن استيفاء معنـاها فى وصلها ، فهو له من صريح العذر ، فى هذا المقـام بغير نكر ، وحينئذ فيكون الوقف عندها للضرورة حسنا ، ولا تلزمه إعادته فيما معنا لتأسيس المبانى على ذلك ، وعـدم التكليف بما لا يستطاع هنالك ، فيقتدر بها ، وان فصلت لفظـا فهى موصولة معنى ، أو ليس من الحق الذى لا نزاع فيـه ولا شقاق ،

ولا يجوز أن يطوق ما لا يطاق ، وليس فى هذا فى الاجماع من القول إلا مناع مناع ، فمثال هذا المستثنى جوازه فذكره لبيان المعنى ، قوله تعالى : (إذا الشمس كورت • واذا النجوم انكدرت • واذا الجبال سيرت) الى قوله : (علمت نفس ما أحضرت) فتمام الكلام لم يكن إلا على رأس أربع عشرة آية ، لا تظن أحدا يقدر على وصلها جميعا ، وتدون هذا كفاية •

وكذلك فى قوله تعالى : (والشمس وضحاها • والقمر اذا تلاها) فانها متصلة الأقسام ثمانى آيات وبالتاسعة والعاشرة تم الكلام ، فالعذر بين لمن يقوى على وصلهن من الأنام ، وربما اقتدر بعض التالين على مالا يقدر عليه الآخر فى حين ، فلا يجوز أن يكلف غير القادر ما لا يستطيعه هو فى رأى ولا دين ، وربما سبق عليه ما لو تكلفه لاستطاع ، فلا يلزمه فى هذا الموضع تكلف المشقة فى رأى ولا اجماع فدين الله يسر ما فيه عسر •

ومثال ما توسط فى الطول والقصر فيختلف فيه أحكام الناس ، ويقال حينئذ : ان لكل ما يخصه من حكم ولا بأس قوله تعالى : (فلا أقسم بالخنس • الجوار الكنس • والليل اذا عسس • والصبح اذا تنفس • انه لقول رسول كريم) وقوله تعالى : (اذا جاء نصر الله والفتح • ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا • فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) •

وحكم الفريدة فى هذا كالآيات العديدة ، اذا استوى المعنى ، ومثاله فيها قوله تعالى : (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا

والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) فانهـا لما بها من طول تبيح الوقف فى خلالها ضرورة فى غير محله لمن لا يقوى على وصلها كما سبق فى هذه الفصول •

وخامسها : الوقف المحجور على من أراده ، اذ لا رخصة فيه ولا هوادة ، وهو إذن يقطع الكلام عندا أورث المعنى فسادا ، فلا يجوز قطعا لحرامه ، إلا لعذر صريح فى مقامه ان صح له فى زمان ، كخطأ أو نسيان ، أو غلبة من عطاس أو تثاؤب أو نحوه ، مما يغص به القارىء لشجوه وإلا فلا يباح لعذر فى علم ولا جهل ، وانه لقول فصل ، وما هو بالهزل ، وأعظمه ما كان فى التوحيد ، والثناء على الله المجيد ، فانه بالتعمد لإفكه على وجهه بحكم شركه ، وهذا أشهر من أن يحتاج الى تمثيل ، وان كان ولابد فكالوقف والايجاب ، فيما به من تهليل ، وكأين من موضع فيه كذلك لا ينكره من له أدنى فهم من الخواص ، كالوقف على (ولم يكن) فى أول آخر آية سورة الإخلاص •

وبعد فالاستثناءات كلها لاحقة بذلك عند كل العارفين ، كما ترى فى موضعيهما من سورتى والعصر والتين ، وفى غيره كذلك يتضح بالمعنى ويبين ، كما لا يجوز الوقف على قوله تعالى : (فويل للمصلين) و (قل يا أيها الكافرون • لا أعبد) (ولم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) وهذا مما لا نعلم أنه يختلف فيه برأى ولا بدين ، لأن جوازه يؤدى ولا شك الى افساد مبانيه ، والإلحاد فى معانيه ، (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) •

ومن اضطر الى ما به يعذر الى وقف على شىء مما يكره الوقف عليه أو يحجر ، فيؤمر فى هذا وجوبا ، وفى الأول مندوبا ، مع القدرة

أن يستأنف ما قطعــه من الكلام حتى يأتى من أوله على التمــام ، بحسب ما له فى صحة المعنى فى الأحكام ، ليخــرج من قبح فصله ، الى ما أمر به من وصله ، وكذا من تعمــده فى عمده أو جهــله ، للوقف فى غير محله ، أو أتى به فى غير عمــده ، لعدم قصــده ، فكله ســواء فى حكم استئنافه لتساويه فى اتصــافه ولابد لــن تعهــد لــا لا جواز له فى حاله من الرجــوع بالتــوبة النصــوح ، لمن لا شريك لــه فى جــلاله هو غفار الذنوب ، وكشــاف الكروب ، سبحانه وتعالى •

وفيما أسلفناه فى أحكام هذا البــاب كله ما دل بتصريح ، وتــارة بلحن القول وفحواه فى تلويح ، على أنه لابد لنا من اعمــال النظــر بصحيح المعتبر ، وتدقيق الفكر فى مراعاة أحكام المعــانى عند الوقف والفصــل خوف الوقوع فيما لا جــواز لــه فى الأصــل ، فمن الغبن الفاحش أن يبوء بوزره ، من حيث يرجو أعظم أجــره ، عافانا اللــه واياكم بفضــله ، من هذا ومثله •

وأما الوصــل فهو منه فى أوسع من هذــاء طريقا ، لكونه لا يخل بمعنى ولا يفسده تحقيقا ، فلينظر فيما فى هــذه النبــذة من القــول أسلفناه ، من قدر أن ينظر بانصاف فى معناه ، ثم لا يعجــل من بعده بقبــوله ولا رده ، حتى يتضح له غيــه من رشــده ، فان فى الحــق ما يذود عما سواه ، لمن لا يتابع هواه ، ولا عذر فى قبول البــاطل من عالم ولا جاهل ، والله أسأله أن يوفقنى فى هذا الجــواب وغــيره ، لــا هو عنده من محض الحــق والصواب ، فان الخير بيــديه ، ويرجع الأمر كله اليه ، والحمــد لله على ما أنعم ، وصلى الله على ســيدنا محمــد النبى وآله وسلم •

* مسألة :

ومنه تفضل علينا ببيان ما صفة هذا العلم ، الذى جاء فيه وعيد الحديث أنه يلهم السعداء ، ويحرم الأشقياء ؟

الجواب :

هو العلم النافع الذى يؤدى به العبد لله فرائضه ، ويتقرب به اليه ، ويعلم ما يجب عليه لله ، أو لعباده من الحقوق الواجبة فى نفسه أو ماله من جميع اعتقاداته ، وأعماله الصالحة والطالحة ، والحق والباطل ، والضلال والهدى ، حتى يتجنب المحرمات ، ويتباعد عن المكروهات ، ويعمل بالفضائل والقربات ، والوسائل بعد أداء المفترضات ، فهو العلم النافع الذى يلهمه السعداء ، ويحرمه الأشقياء ، وفى هذا يندرج علم الحقيقة والشريعة جميعا ، والله أعلم .

* مسألة :

ومنه : فى القرآن مخلوق أم غير مخلوق ، فان كان مخلوقا فما صفة خلقه ، وان كان غير مخلوق فما صفته والاعتقاد فيه .

الجواب :

القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله ، وهذا هو الاعتقاد كاف فيه ان شاء الله ، والله أعلم .

* مسألة :

وما معنى تسميتهم العلم بالصلاة والحج والصيام والزكاة ونحوها أديانا ، والنكاح والطلاق والعتاق ونحوها أحكاما ؟

الجـــواب :

ان الأدين فى الأصـــل أحكام ، والأحكام أديان ، لكن غلب الفقهاء والمتكلمون فيما كان من أنواع العبـــادة والفروض الواجبة لله تعالى ، تسميته بالأديان ، وفيما كان من الخصومة فيه للخلق غالبا فيه والتراجع فيه الى أحكام الدعاوى بينهم تسمية بالأحكام اصطلاحا فقهيا ، ووضعا عرفيا ، مناسبا للمحل فى كلا الوجهـــين ، وكما قيـــل : انه لا مشاحة فى المصطلحات جزى الله عنا علماء الأمة ما هم لهم من الخير أهـــل ، والله أعـــلم .

*** مســـألة :**

ومنه : وما تقول شيخنا فى مثل هذه المسألة وغيرها من المســـائل اذا كان المسئول بعيدا غير حاضر ، فاذا أراد الســـائل زيادة ســـؤال فيكتب ، قلت له : أتراه جائزا أو واسعا أو الأفضل أن يكتب ، وكذلك أو يكتب أيضـــا تفضل بين لى ذلك ، لأن شيخى كأنه لا يعجبـــه أن أكتب ، قلت له : ومن حسبه أن أكتب أيضـــا وأنا قليل العلم ، كثـــير الوهم ، مارق السهم ، أسأل الله الكريم أن ينـــور قلوبنـــا ويحسن أخلاقنـــا ؟

الجـــواب :

قد يجرى الاختلاف فى مثل هذا بين أهل العلم ، فعلى قول من يرى أن الكتاب كلام وقول فهو جائز ، وعلى قول من لا يرى الكتـــابة كلاما ولا قولا ، فهـــذا لا يجـــوز أن يفسر على الحقيقة ، وأمـــا ان تأولته على سعة المجاز فهو مما يستجاز ، وكتب الآثار مشحونة فى مثل هذا ، وإنه لشىء متداول مبذول عند الفقهاء ، لا يحتشمون ولا يستنكفون عنه كما ترى فى رفائعهم عن الأوائل والأواخر .

وهل يشكر من وجد فى كتاب الاستقامة أو المعتبر شيئا من آثار الشيخ أبى سعيد رحمه الله فى هذا الرأى أو القول ان ضعيف أو جيد أو غيره مما يضاهى ذلك من حقـائق الأحكام ، وكذلك فى حق غـيره ، لا فرق ، فاذا جاز أن ينسب أثر العالم فيقـال : إنه من قوله ، ولو لم يسمع ذلك من لسـانه ، فكذلك سؤال السائل من قوله بهذا التفسير ، ولو لم تنطق به لسـانه ، وقول شيخك انه ما يعجبه ذلك لعـل مراده لعله لا يجب ذلك على تأويل القول الحقيقى كما أسلفناه ، اذ لا معنى له غير ذلك •

فان كتبت وأيضا وكذلك ، أو رأيـت أو ما أشـبه ذلك ، لـم يحتج الى تأويل ، وان توسعت بمجاز القـول جاز ذلك ، وقد استعمله جهـابذة العلماء ونحـارير الفضـلاء ، والله أعلم •

* مسـألة :

ومنه : وما تقـول فيمن يكتب خطوطا وفيهـا اسم من أسـماء الله تعـالى ، أيجوز له أن يرسلها مع هؤلاء النصـارى أو البانيـان من بلد الى بلد ، سـواء الخطـوط مشمعة أو مغلف عليها ؟

قال : لا بأس بذلك ، ولو كتب فيهـا البسملة أو غيرها ما لـم يكن مصحفا أو قرطاسـة منه ، ففى الأثر جـواز مثله للجنب أن يقرأ من كتب العلم ما سوى القرآن ، وقل ما يخلو كتـاب من كتب المسلمين لم يذكر فيـه اسـم الله أو البسـملة أو بعض الآيات ، وما جـاز فى هذا جاز فى ذلك فيمـا عندى ، والله أعلم •

* مسـألة :

ومنه : وما تقول فى قوله تعالى (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد

سلف) أهذا محجور فى الدنيا والآخرة ، أم محجور فى الدنيا خاصة ، وجائز فى الآخرة ، لأن الرجل تكون له زوجة وتتوفى عنه ، وبعده يتزوج بأختها فتتوفى عنه ، أرأيت ان من الله عليهما جميعا بدخول الجنة أيكونان كلتاهما زوجاته أم لا ؟

الجواب :

هذا حكم شريعة الله تعالى فى هذه الدنيا على الأمة المحمدية ، لا فى حكم الآخرة ، فانا لا ندريه ، وقد سقط التكليف وارتفع التعبد ، ووضعت الأقلام ، ونسخت الشرائع والأحكام ، ورجع الأمر فيه الى علام الغيوب ، يهب ما يشاء لمن يشاء ويفعل ما يريده ، وأما فى سائر الأمم ، فقد جمع ما بين الأختين كنبينا إسرائيل عليه السلام فافهم •

*** مسألة :**

ومنه فى الوقوف مع قوله تعالى : (ان الانسان لفى خسر) ، (وعصى آدم ربه فغوى) ، (ولا يحيطون بشىء من علمه) غير جائز مطلقا بالسنة والاجماع أم رأى من أهل العلم أم جائز ، ولكنه مكروه ، وما شابه هذه الوجوه ؟

الجواب :

أما الوقوف على (ان الانسان لفى خسر) وعلى (ولا يحيطون بشىء من علمه) والابتداء بالاستثناء فلا يبين لى جوازه على العمد لفصله مع القدرة على وصله ، واذا لم يخرج له شىء من التأويل على تقدير الاستثناء المنفصل ، حيث يمكن تأويله بالاستدراك فلا أعلم اختلافا فى منعه ، وأرجو أن فى الاجماع ما يقضى بأمر النزاع ،

فى جـواز الفصـل ، حيث تتأدى الى فسـاد المعنى من كتاب اللـه إلا فى موضع العذر لمن نزل بمنزلته •

وليس من هذا الباب الوقوف على : (وعصى آدم ربه فغوى) فالوقوف عليها جائز ، والوصـل حسن ، بل يصح ان قيـل أحسن ، ولا يبين لى وجـه لزومه على حال ، والله أعلم وبه التوفيق •

* مسـألة :

وما معنى قوله تعـالى : (فقضاهن سبع سـموات فى يومين) فالليالى داخلة فى اليومين أم لا ، أم النهـار خاصـة بين لنـا ذلك ولك الأجر والثواب ؟

الجـواب :

اختلف فى اليوم ، هل يطلق على النهار وحـده أم على النهـار والليـل معا ، وأكثر القول فيما عندى أنه اذا ذكر الليـل معه فاليوم يراد به النهـار فقط ، كقوله تعالى : (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) فقد سـمى الثامن ولا ليلة له ، واذا لم يفصـل فهو يشـمل الليـل والنهـار معا ، فالشهر ثلاثون يوما أو تسعة وعشرون يوما بلياليها ، والأعمـال التى فى الأيام تجوز فى الليالى على هـذا القول إلا لمـانع شرع منه فى الأصل فى الصيام لتحريمه فى الليـل •

* مسـألة :

ومنه : ما تقول فى الـذى وجـدته فى هـذه النقـول ، عن ذوى المعقول ، يروى أن الشيخ ناصر بن جاعد ، يروى عن أبيه رفع دال وحده فى قول القائل : لا إله إلا الله وحده ، حجته أن ما بعـد المنفى

لا يكون إلا مرفوعا ، ولم يتضح لى هذا الأنى فيما وطئت من كتب النحو ، لم أجد وجه الرفع ، بل وجدت النصف منهم من جعله على الحال •

ومنهم من جعله على المصدر ، ومنهم من جعله على الظرف ، حتى جاء أحد من علماء أهل الخلاف حنبلى المذهب ، فجوز الرفع فى ذلك لما سألته ، ولم أثق بكلامه ، تفضل أوضح ذلك ، هل وجه يوجد بالجواز أعنى الرفع وبأى شىء رفعه بالابتدائية أم بالخبرية مأجورا ان شاء الله ؟

الجـــواب :

لا نعرف وجه رفعها ولا ضمها لقصور علمنا ، وقلة فهمنا ، ومعتمدنا فيها بالنصب اعرابا على ما ذكر فى قواعد العربية ، أو الفتح بناء كما فى الكتب النحوية ، ولقد كنت فى زمان هذا الشيخ معه ، وهو يقول برفعها ، وقولى بنصبها ويسألنى على ذلك ، والله أعلم •

*** مسألة :**

ومنه : وما تقول شيخنا فى رياضة اسمه تعالى عليم لا وجدناها مصرحة ، علمنا بشروطها مأجورا ان شاء الله ؟

الجـــواب :

شروطها الخلوة والصيام ، واجتناب ذوات الأرواح ، والرفق والتلاوة ، وحضور القلب فيها ، ومناسبة الوقت وعدم المزيد والنقص ، هذا ما حضرنى ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

وما تقول شيخنا فى المسألة التى سألتك عنهـا ، وهى التى قال الله فيهـا : (خالدين فيهـا مادامت السموات والأرض) أسموات وأروض فى الآخرة بعد هذه السموات والأروض التى فى الدنيـا أم غيرها ، وكقوله تعالى : (يوم تطـوى السماء كطى السجل للكتب) تفضل اشرح لنا اياها غـير جـواب السابق ؟

الجـواب :

اختلف المفسرون فى مثل ذلك :

فقيل : معنـاه مادامت سموات الآخـرة وأرضها ، وكل ما أقـل فهو أرض ، وكل ما أظل فهو سماء •

وقيل : انما هو عبـارة عن التأبيـد ، وجرى ذلك على عـادة العرب وأساليب كلامهم ، وفى مثل ذلك يقولون : لا أفعـل كذا مادامت السموات والأرض ، أى لا أفعـله أبدا ، وكلا القولين صحيح عنـدنا ، واللـه أعـلم •

*** مسـألة :**

ومنه : وقد تأملت ما أورده الشيخ سعيد بن قاسم الشماخى فى مباحث خلق القرآن من الاحتجاج ، فعلمت أنه على صراط مستقيم ، لا زيغ فيه ولا اعوجاج ، وقد اكتفينا عن الاعـادة بما فيه الافادة ؛ لأنه قد جاء بالحسنى وزيادة •

وبالجملة : فلم نر فيمـا تعلق فيـه المختلفون إلا شـبها لفظية

لا تصلح لتقويم البراهين ، فأنى يصح أن نأتيه بها على غير دليل واضح مستبين ، وانما ارتبك فيها بعض الأكابر كالشيخ ابن النظر ، ومن فى طبقته من الأقدمين ، فتداولتها الآثار ، وملئت منها الأسفار ، وعدت فى زمانهم مسألة رأى لا دين ، وما ذلك إلا لظهور النزاع ، وعدم تأتى الاجماع منهم فى كل حين ، وعلى كل من عرف الحق ، وأبصر الصدق ، أن يأخذ بالأعدل ، تاركا للأهزل ، فانه من غير ما لبس به ولا مين ، عين فرض له على الأصح وفرض عين •

وانما عد اختلافا كما ساغ من مثله فى المسائل الخلافية ، كالقول بطهارة دم الباغى فى الآثار المغربية ، وتحريم شرب قهوة البن فى الآثار المشرقية ، فقد أثبتا رأيا ، ورسما على ما بهما من وهن فى البرهان ، ووضوح الحق فى خلافها للعيان ، وفى أقوال السلف من الصحابة والخلف ، من نظير هذا فى النوازل الفقهية ، ما لا يحصى عده ، ولا يكاد يحصر حده ، وكفى به عن الاطالة ، والله أعلم •

** مسألة :**

ومنه : وهل يصح عندك سيدى ما يوجد عن قومنا ، فى أن لله تعالى آيات أنزلها على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وثم نسخ قراءتها ، وأبقى حكمها كالرجم ، فقد زعموا أن آيتها قد نسخت قراءتها ، وأبقى الحكم منها أولا ، ولعل مثل هذا يوجد أيضا فى بعض كتب المغربية ، وبقينا شاكين فى صحته ، لأن حكم الرجم عندنا أن السنة قد جاءت به تفصل بايضاح ما عندك فيه ؟

قال : الله أعلم ، والذى عندى فى هذا أنه مما يحتمل الصحة فلا يبين لى وجه انكاره بعد ثبوت معناه من كتاب الله تعالى ، قال الله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها) فقد أثبت الوجهين

النسخ والانساء ، فالنسخ فيما بقى لفظه ، ونسخ حكمه بحكم آخر ، والانساء لا يكون إلا فيما يفلت من الصدور ، فلم يبق لفظه ولا معناه ، وقد ورد الحديث فى مثل هذا يؤكده ، فيدل عليه ويؤيده ، وهو فى النظر صحيح •

وما روى من آية الرجم وأنها مما أنسى ، وبقى الحكم بها فغير بعيد ، والقول بأن الحكم به الآن من السنة هو الأظهر ، لأن المنسى من الآيات لم يثبت التعبد به جزما ، ولا قامت به أبدا •

ورواية من يروى أن فيما أنزل الله آية الرجم : والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة ان الله عزيز حكيم ، كأنه غير ملائم للمعنى ، ولا لائق بلفظ القرآن ، ولا قريب من الصواب فى شىء لمعان •

أحدها : أن ما أنساه الله عباده من هذا النوع فلا سبيل الى حفظه البتة ، وإلا فليس بمنسى ، واذا كان محفوظا فما له لا يقر فى موضعه •

وثانيها : أنه لا يثبت لفظ الكتاب العزيز •

وثالثها : تقرير الحكم بالشيخ والشيخة فى موضع المحصن والمحصنة ، وبينهما البون كما لا يخفى ، فدل باللفظ والمعنى على ما تفرسناه فيها ان صح ما قلناه ، فلينظر فيه ، والله أعلم •

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الكلمات استحسنتها ، وهى صفة فى علم الحقيقة لمن أراد ذلك ، عن الشيخ العلامة سعيد بن حلفان الخليلى ، مخاطب ومؤشرا

فيها للشيخ الزاهــد سيف بن محمد ، وأحببت أن أكتبهــا قوله على نســق كلام متقدم :

وذكرت أنك تريد شيئا من كلام الحقير مما قرأته عليك من علم الحقيقة ، فالقصيدة واصــلة اليك ، وأما ما ذكرته من علم الحقيقة ، فليت شعرى كيف هو تكون ، وكيف يجمــل بمن لا حقيقة له أن يتكلم فى علم الحقيقة ، فيكون بذلك مدعيا لمــا هو ليس من أهــله ، ودالا على ما استوجب هو أن يســتدل عليه بغيره ، ولكن ظننت أن المطلوب هو ما تذاكرناه من قبــل فدليتك به من صفة الدخــول فى ذلك إلا لمن أراده ، وسعى له سعيه بالمجاهدة والاخلاص ، وقطع الشواغل الدنياوية بل والآخــروية ، فلا يكون همه أبدا فى شىء إلا فى سلوك طريقه الى أن يــذوق شربة من رحيقه ، متوجهــا الى الله ربــه ، بتطهر قلبــه فى مقعد صــدق عند مليك مقتدر •

واذا شئت ذلك فطهر أولا قلبك بالاخلاص ، والتوكل على الله ، والرضا بقضــاء الله فى كل أمر ، وتوجه الى الذى فطــر السموات والأرض حنيفا ، مستقيما فى طريقك من غير تواهن و تلجلج بقوة عزم وصدق إرادة ، وذلك بعد تطهر النفس من العلائق الرذيلة القاطعة من حب الدنيا ، والميل إلى الشــهوات ، وما أشــبه ذلك من الشبهات ، ولا أظنها تخفى عليك ثم تطهر بعــد ذلك من الأوســاخ ، وثيابك من الأدناس ، وجميع الأرجاس •

وتعمد الى خلوة طاهرة خالية من حســوس البشر ، وينبغى أن يكون ذلك فى بيت ضيق مظلم ، وان لــم يتفق ذلك ففى حيث أمكن من الخلوات ، فى بيت أو مسجد أو كهف ، أو جبــل أو شىء من السيوح والأودية ، وتكون صائما نهارك كله فى مدة الخلوة وفطرك على ما ليس

فيه روح ، ولا خرج من روح من الأكل اليسير ، بمقدار ما يقوى به على أداء الفرائض ، وذكرك فى مدة الخلوة كلها اسم الجلالة وحده ، هكذا الله الله الله الى أربعين يوما ، لا تفتر عنه ليلا ولا نهارا إلا فيما لابد منه من الصلوات اللازمات من الفرائض والسنن المؤكدة ، ولا تنم إلا عن غلبة ، ومتى انتبهت تداركت الذكر فى الحال •

وان احتجت الى صاحب يناولك طعامك وشرابك ، فلا يضرك ذلك ، ولكن لا تكثر الحديث له ، ولا يضرك ان حدثته بالقليل فيما لا تجد بدأ عن ذلك ، وينبغى أن تحضر فى مجلسك ما تقدر عليه من الطيب ، وتطيب نفسك وثيابك والموضع •

واحذر اذا انكشف لك شيء من الأسرار أن تشتغل به عن وردك ، بل كن كأنك لم تر شيئا من ذلك أصلا ، فما ترتقى من كشف إلا وجدت وراءه ما هو أكبر منه وأجل ، والغزالى لا يشترط فى ذلك مدة معلومة ، ولكن يقول : تبقى على ذكر الاسم الى أن تجد قلبك حاضرا فيه الاسم ، كأنه يتكلم به ، ولو لم تنطق لسانك •

فاذا بلغت ذلك فاثبت عليه ، ودع حركة اللسان ، فليس المطلوب إلا حركة القلب بالحضور الكامل ، فاذا بلغت هنالك ، فاثبت على ذلك ، الى أن تجد معنى الاسم حاضرا فى القلب ، ثابتا من غير حركة باللفظ ، فهى المرتبة الكبرى ، فاثبت عليها ولازمها الى أن يتمكن ذلك من قلبك فينسيك كل ما سواه ، فلا تشعر بنفسك ولا دنياك ولا بشيء غير الله قطعا ، فهذه هى المرتبة لا فوق فوقها فى شيء من هذا العلم ، وهى هى التى يسمونها بالفناء الغيبى ، وكيمياء السعادة الأبدية •

وعندها تشاهد بالكشف مواطن الملك والملكوت ، وتشاهد العجائب والغرائب ، وتشرف على مقام كن أكبر الله أكبر الله أكبر ، أمر جليل يحق للعارف أن يسمح بالنفس فى طلبه ، وذلك سهل لمن يسره الله تعالى له ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « كل ميسر لما خلق له » •

وأما نحن فقد التقطنا أحاديث الأقوام ، فقمنا نتكلم على قياس ما ذكروا من ذلك من غير تجرد ولا تجربة ، لكن دلتنا شواهد العقول ، وصحة النقول ، على أنها من المقبول كما جاء فى الحديث النبوى : « من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه » فهى هى وإلا فالمرء من المؤمنين قد يخلص فى أكثر من تلك المدة ، ولا يكون كذلك ، ولا يتكل الانسان فى ذلك على الأربعين ، فان القلوب قد تختلف أحوالها ، ولا شك فان استحكم فيه الصدى ليحتاج أكثر من المدة لجلائه وتطهيره ، حتى يكون قابلا للطائف الواردة عليه ، بخلاف الطاهر الزكى •

واذا كان نبى الله موسى عليه السلام مدده ربه ثلاثين ليلة فأظنك بمن كان من أمثالنا ممن غلب عليه الصدى ، فافسد قلبه •

اللهم نسألك الاعانة على سلوك هذه الطريق ، والأمن من مواطن أخطارها ، والهداية لقطع أوعارها ، وأن تجعلنا ممن أخلص لك ، وتوكل عليك ، فكنت له أنت وكيلا ، وكنت له دليلا ، ويسرت له اليك سبيلا ، فهديته الى ما هو له أقوم قيلا ، وجنبته عن مواطن الزيغ والردى ، وأشرقت فى قلبه مصابيح الهدى ، فانه لا سبيل الى ذلك إلا بك ، ولا قوة لنا على شىء منه إلا بتوفيقك ، (اياك

نعبد ، واياك نستعين • اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) •

فهــذه يا والــدى نصيحتى لك ، وذخــرتى لديــك ، واللــه خليفتى عليــك •

* مســألة :

ومنه : أن الشيخ ناصر بن أبى نبهــان يقول : لا يعلم اليوم أحدا يقرأ القرآن بتجويد ، وان كتب التجويد من قومنا لا يصح الاعتمــاد عليهــا فى ذلك ، وأنه قال : لو سمعت أحدا يدعى تجــويده ، وهو امام لما صليت خلفه ، هذا كلامه فأوضح لنا حقيقته ، والســلام عليك ؟

الجــواب :

أما قوله : لا يعلم فذلك اخبــار عن علمه بقراء زمانه ، وغــير مكلف ما لم يطلع عليــه ، ولذلك أنه لم يقــل بالقطع انه لا يوجــد فى دهرك من يعلم تجــويده ، ويحسن ترتيــله وترديده ، لأن هــذا مقتضاه القطع بالغيب ، وتعاطى الغيوب من العيب ، فلذلك نزه الشيخ نفســه عن ذلك ، ثم انه لم ينكر هذا العلم التجــويدى ، ولا قال ببطــلانه •

وانما أخبرك عدم العلماء فيمن وجــد من أهــل زمانه ، وانى لأقول بحــق ، من حــديث صدق ، انى لا أعلم فى دهرنا من أهــل عصرنا من هو فى مصرنا بالتجــويد خبير ، عالم بصــير ، فان كنــت واجــدا ولو واحــدا فدلنى عليه ، ودعنى من المتكلفين الذين يدعون العلم بجوامعه ، وهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، لم تجــد منهــم ميمونا على ذلك مأمونا ، فنتخــذه لنا قدوة ، ونرضى به لنا أســوة ،

والمصنفات المذكـورة ، ولو كانت مشهورة ، فلا يمكن تعاطى ذلك العلم منهـا بالنقل عنها ، إذ لابد فيـه من مشاهدة شيخ يريك رسـومها ، ويكشف مختومها ، بعـد تخلصـه من رياضة نفسـه ، متفرغا لتمرين غيره بادراجه فى سمط المجاهدات ، بمعاهدات تلك الرياضات ، فانه علم الرياضة اللسانية بأحكام المخـارج الحرفية ، بالأنواع الكمالية .

من عجائب صفاتها ، على قوانين اختلافاتها أو ائتلافاتها ، مـع تنوع مواقعهـا ، فى مراتب مواضعها ، بمحـكم درجاتها ودقائقهـا ورقائقهـا ، وما أظنـك عـارفا بكيفية هـذا العلم أصلا ، والا لمـا استنكرته مما سمعته جهلا فانه علم غريب ، وبناء عجيب ، قد وجدناه مأثورا ، فى الكتب مسطورا ، فلم نستطع عبـورا فى بحره لبعد فقـره ولم نستغن لتعريفه ، من الكتب بتوصيفه ، إلا لنتحـدث بما وجـدنا كما استفدنا ، كقواهم فى مخارجهـا الأصلية ، حلقيـة ولهوية وشجرية وأسلية ولثوية وذلوقيـة وشفوية وهوائيـة ، أو صفاتها الضرورية ، كالجهـر والهمس والرخاوة والشـدة والمنفتحة والمنخفضـة والمستعلية والمضمنة ، والمذلقة والصفير والمتفشية والمسـتطيلة واللهتـوية والقلقة أو نعوتها الجمالية الحسنية الكمالية ، كالترقيق والتفخيم ، والامـالة والفتح والتسهيل والتخفيف ، والاخفـاء والقلب أو الادغام أو الروم أو الاشـمام وهـلم جـرًا فى سـائرها الى آخـرها ، بتفـاريع وجوهها ، على اختـلاف أنواعهـا ، بمراعاة الجائز فيها حال وصولها ، أو الوقوف على فصلها .

وقد وجدت منها فى الوقف على الهمزة من الوجـوه المروية لحمزة خمسة وعشرين فى : (هؤلاء) ، وسـبعة وعشرين فى : (قل أئنبئكم) ،

وستين وجها فى قـولـه : (ان أولياؤه) فأين رجـال هـذا الميـدان ، وفحـولـه وهذا الأفنان ، قد ضمتهم الأرماس ، وغيبت منهم النـاس ، وبقينا من وجود أمثالهم على اليأس ، فكان الأولى بنا الرجـوع الى لسـاننا السليقى ، وأنه بحمد الله لعربى .

وكان الشيخ قد ظهر له من حـال المتكلفين ما حاصـله تشـدق بالكلام ، وذلك بعيد عن المرام ، فلذلك شـدد النكير فيـه وقال : فكلامه صحيح لـكن على تخصيص معلومـه ، لا يتنـاول الـكل بعمـومه ، فلو وجـد الخبير به لكان القـول باستحسانه منـه قـولا فصـلا ، ولصار الرجـوع اليه أصـلا ، وغير ملوم أنت ان ذهب بك العجب الى كل مذهب ، فالمـرء عدو ما جهـل والسـلام .

* مسـألة :

ومنه : وما تقول فى دخول الكنيف بالأسرار ، ولبس الجنب لهـا أهمـا مما يبطلهـا أم مما يكـره ؟ واذا ثبت أنهمـا مكروهان أتـكون كراهيتهما كراهية تحريم أم تنزيه لهـا تفضـل بالبيان ؟

الجـواب :

لا أدرى فى الأسرار قولا من أهل العلم مما يكره لحائض ولا جنب ، ولا فى كنيف ولا فى غيره ، ولا ان شـيئا من ذلك مما يبطلهـا ، لأن موضعها القلب ، ولا يلتبس شىء من هـذا لم أرد بقـولى الأسرار ما أخشى فيه من المودعـة فى القلوب ، فانما أردت بها ما انطـوت عليه أسـماء الله العظام من الأسرار الخفيات .

فهل ترى فيها ما استفهمتك عنه فى مسألتى التى أجبتنى فيها حسب ما أفهم لفظها ؟

الجــــواب :

لا نـام المجيب على ما فى القلب هو السر العجيب ، وقد أجمل السائل لما احتمل كثيرا من الصور فيما هو قائل ، ففى الحديث أن سر الله فى الأرض القدر ، وبعض أهل العلم قال للسر فى الحجر ، ورآه آخرون فى الشجر ، وأثبته قوم فى الشعر ، وفرعه آخرون الى كثيرة أنواع أخر •

وان رجعنا الى ما كان من الأسرار فى الآيات ، أو فى الأسماء المعظمات ، أو الحروف المطلسمات ، أو الاوفاق المشكلات ، فأمر آخر يقتضى ، ولابد لحملة أحكام لكن نفس الأسماء ، وما تنطوى عليه من الأسرار الخفية يشبه أن يكون على وجوه كثيرة من البسط والتكسير ، والمزج والترتيب ، والاستخراجات والتكعيب ، والتوليدات المتسلسلة المستنتجة من بعضها بعض بالقوانين الحرفية ، والمرباطات الفلكية ، وقد يكون فى بعضها لبعده عن الأصل أو قربه منه ، ما تتبدل الأحكام به ، حتى لا يكره لبسه على حال •

ونفس الأسماء لا يمنع منها جنب ولا غيره ، ذكر أولا حملا ولا لبسا ، بخلاف الآى الشريفة كما ثبت عن الله تعالى لقوله لموسى عليه السلام : اذكرنى على كل حال ، فانه خير لك ، وذلك لا يبطل سرها •

اللهم إلا لأن الجنب والحائض ينبغى وضعهما لذلك ، لما ثبت فى الحديث أن الملائكة لا تقربهم بخير ، وهذا مضاد للأسرار المأمولة ، وأخاف أن يكون فيها ما يبطل ذلك من غير نص أحفظه ، فينبغى

أن ينظـر فيـه ، فانـه لا على الاطـلاق أيضـا فيما أرجـوه ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنه : وقد وجدنا شيخنا فى الخطبة لا ينسى الله لعباده عمـلا ، ولم نعرف نصب هذا الجـلال وأولـه إلا وكل موفر حظـه كملا ، لا يسى الله لعباده عمـلا ، وهو بخط ناسخ نحـوى عمر بن مسعود المنذرى ؟

الجـــواب :

نصبه غلط من الناسخ ، والصواب رفعه ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنه : وقد ارتابت شيخنا قلوبنا من موت الأطفـال وغصصهم بخـروج الـروح ، وهم لم يجنـوا شيئا فى دنياهم ، أهـذا شيخنا عبرة للناظرين ، أم يكون لهم عذاب فى الدنيا لئلا يخـرج أحـد منها من غير مكابدة ؟

الجـــواب :

أما تألم الأطفال وغيرهم من البهـائم بالأمراض والمـوت ، فليس هو محتاج الى عـلة لا من ذنب ولا غيره ، فليس السقم مقصـورا على حاجـة ، ولكنـه من فعـل ما لا يسـأل عمـا يفعـل وهـم يسألون •

سؤال من خميس بن سليم الأزكوى لشيخنا الخليلى :

أنهى الى البـــدر الـــذى تبلجـــا
فى ذا الزمـــان نـــوره وقـــد دجـــى

ومن هـــو المـــرء اذا ما عرجـــا
عليـــه قمـــر ناظـــر وابتهجـــا

والخطب أن يـدج جـــلاه بالحجـــا
والنجـــم لا يشرق الا فى الدجـــى

ومن غـــدا مقـــداره قـــد عرجـــا
فـــوق الســـها والفرقـــدين معرجـــا

ســـليل خلفـــان بن أحمد رجـــا
كل صريخ جـــاء يبغـــى المنهجـــا

حيث يقـــال ان يـــزغ ويرتجـــا
تفســـيرها أى أخبرنى فأنهجـــا

لازال فى العليـــا يعلو درجـــا
عـــزا يـــرى الأنس به والفرجـــا

مســـألة عـــن أرأيـــت انبلجـــا
فيهـــا مـــرامى فاهـــدنى المنهجـــا

اســـم لفعـــل هى أم فعـــل يحجـــا
وماضـــيا كصـــوغه المعلـــوم جـــا

ولفظها فعل مضى نهجا
فما لمعناه لأمر عرجا

والتاء فيها أضمير ولجا
هناك أم حرف خطاب نهجا

والكاف بعد التا لأى قد لجا
نحو أرأيتك اليحاميم العجا

ما لذى التا مطلقا بها يجا
مفتوحة ان كافها تولجا

فاكشف لنا برفع لبس مدمجا
عن وجهها لنبدى التبرجا

لازلت نبراسا لنا توهجا
فى كل ليل للخطوب قد سجا

ومن خميس خذ سلاما أبهجا
تحية منه اليك سجسجا

فأجابه رحمه الله :

هاك جوابا ببنات أعوجا
ينوء لو حملن منه الأرجا

والحق فى الوزن ثقيل حيث جا
يهدى تحيات بها تموجا

لطـــالب فى أرأيـت المنهجـــــا
فعـــلا بصــــيغة المضيى انتســــجا

والفاعــل التــا فى الأصــــح حججـا
والكاف حــــرف للخطـــاب أدمجـا

ومـــا بفعـــل غـــيره تولجــــا
إذ لاســـم فعـــل أو مضـــاهيه يجـــا

بـــه عـــلى الخصــــوص أنى ولجــــا
كمثـــل ذياك وهـــــاك البهجــــا

وذا الـــذى يســـهل فى التـــا النهجـــا
أكان هـــذا الكاف إذ لـــم يلجــــا

فعـــلا ولا محـــل اعـــــراب لجـــا
صـــار مـــع التـــاء كشىء نسجـــا

معـــا على فتحتهــــا ما سمجــــا
وعبروا عنهـــا بأخبـــرنى رجـــا

اصــــابة المعنى الـــذى تبلجـــا
ســـهلا لاســـتفهام ذاك المخرجـــا

كمثـــل أألســـلمتم يـــا من نجـــا
والعـــرض والتخصيص فيـــه خرجـــا

ذوا والدعـــا فليس يأبـــاه الحجـــى
فرحـــم اللـــه فتى لـــه ارتجـــا

معنـاه رب ارحمـه واكفـه الرجـا
ولكنهـا ممـا القيـاس اختلجـا

عنـه لتخصيص لهـا بـذاك جـا
والحمـد للـه الـذى قـد ثبجـا

من الهـدى ما قـد يزيـل البهرجـا
بالحـق حمـلا بالثنـاء مبهجـا

وما قولك فى قولك ؟ :

وفيهـا مقـامات لأهـل سـلوكها
سموسـا واقفـارا تنير وأنجمـا

لفظة تنير معدى أم لازم أم يجـوز فيها الوجهين وما محلهـا هنـا ؟

الجـواب :

لازمهـا تنـور ومعداها تنير ، وشـتان بين نير فى نفسـه غـير منير لغـيره ، وبين منور لغـيره نير فى نفسـه ، لأنـه كلما أنـار لغـيره فلا شـك أنه نير فى نفسـه ، وإلا لمـا تعـدى النـور منه لغـيره ، والمقـامات المذكورة واسـعة الأنوار ، مبثوثة أنوارهـا فى صدور أهليهـا ، وبهم لغيرهم أيضـا بما حصل التعـدى فيها .

*** مسـألة :**

ومنه : وما تقول فى الوفق والأسماء المتخذات للأوراد لشىء من

المعـانى اذا أجنب حاملهن فى المنـام وأزالهن منه فى الحين مع يقظته ، أتبطـل الخاصية منهن ، ويبدل غيرهن ، أم لا بأس بذلك عرفنى الحال وأنت المأجـور ؟

الجـــواب :

أما ابطال السر فالله أعلم ، لا أحفظ فيــه شيئا ، ويعجبنى أن لا تبطل ، وان خــاف بطلانه فليبدله ، والله أعلم •

*** مســألة :**

ومنه : وما تقول فى اخراج أعـداد الأملاك من الأوفاق إذا تقدم فى اللفظ الأقل من العـدد أو الأكثر منـه ، أو الأسـط أكله سـواء أم لا ؟

الجـــواب :

يقدم الأقل إلا مع الألوف ، والله أعلم •

سؤال من جمعة بن خصيف :

هيـا من زكا فعـلا وفرعـا ومحتـدا
ومن برداء النزه والـورع ارتـدا

وأشرقت الأرضـون من نور علمـه
فلم يـدح ليـل الجهل مذ نوره بـدا

وعطـرت الآفـاق ريـا خصـاله
فلـم تـأت إلا وهـى فى أرج النـدا

ومن هـوان وافتـه عوصـاء راضهـا
وجـلا معانيهـا فنـار بهـا الهـدى

سعيد بن خلفـان المحلى الى العـلى
سـما كرمـا فخما ومجـدا وسـؤددا

فتيت فتى فى النائبـات مراغمـا
لـكل صريخ مقتـد بـك مهتـدى

أتيتـك روم الحـق لا متعنتـا
ولا عائبـا فيمـا بـه جئـت فى ددا

أيثبتـت قـول القـائلين بأنـه
الصـلوات ما أجيـب لهـا النـدا

عـلى جبنهـم أثنى على غلـط أتـى
وأثبتـه سـهوا شفيعا لهم غـدا

فان صح ما قالوا فمن أين قـد صفـا
وسـاغ لهم هـذا قبـولا ومـوردا

وقد كان معصوما من السهو فالـذى
أتانا بـه من ديننـا أمثـل الفـدا

وكان عـزيزا ذكـر ربى لـم يـكن
ليأتيـه الشـيطان قد ضل واعتدى

والا فمـا معنى تمنى نبينـا
واخـوانه ان كان فى الذكـر مـوردا

والقاء ابليس اللعين ونسخه
أفدنى جوابا شافيا يكشف الصدا

ببسط وتفصيل رحاقا ختامه
من المسك سلسالا صفا يقطع الصدا

فاجابه رضوان الله عليه :

ألا قل لمن ألقى البحوث وأوردا
الى من باعياء وعى تفددا

وضاق بحل المشكلات ذراعه
وفى واضح التأويل لم يمتدد يدا

ولكن ذيا عن حمى الآى قادنى
لدفع دواعى الطعن ممن به اعتدا

لقد شاع فيما ذاع بين أئمة النقا
سير فى ذاك النزاع ممهدا

فقيل تمنيه لإيمان قومه
مزيدا له حرصا عليه موكدا

وقيل تمنى دفع مسكنه به
فأصبح مشغول الفؤاد مبددا

وفيه عن الله اشتغال بغيره
فأضحى الى الشيطان ذلك مسندا

كمـــا قال فى الشـــيطان أيوب مسنى
بنصـــب وتعـــذيب عـلى تعـددا

فسـاه رب العرش ان كان مصطفى
تمنى يـلاق ما لقيـت ليحمـدا

ولـكن يزيـل الله بالنسـخ عنهـم
وسـاوس ابليس وما كان شـيدا

ويحـكم آيـات الكتـاب بعصمة
النبيـين إذ كان الإلـه مسـددا

وقيـل تمنـى أى تـلا آى ربـه
تمنـى داود الزبـور المؤيـدا

فخـلط فيـه قـومه ما يغمـه
بنسـبتهم إيـاه للوحـى مسـندا

ومـا كـان إلا إفكهـم دون قـوله
وما نطقـت منـه لسـان لا اعتـدا

فـذلك ما ألقـاه شـيطانهم لهـم
كمـا قال والغـوا فيه من كان ملحـدا

فينسـخ عنـه اللغـو والإفـك ربنـا
ويحـكم آيات بهـا النـور والهـدى

وقيـل بـلا والنجـم فى مجلس بـه
يخاصم فى الأصـنام من كان أفسـدا

فقال أهاتيك الغرانقة العلى
وهل يرتجى منها الشفاعة والندى

كلاما له عن نفسه فى احتجاجه
عليهم به مستفهما تلكم العدى

كما قال ابراهيم هل يسمعونكم
وهل منهم ضر ونفع تولدا

وهمزة لاستفهام تقدير حذفها
يصح ومن يفعل فليس مفندا

وان نكث الأقوام خلى سبيلهم
وعاد الى القرآن يتلوه منجدا

فما رابه إلا متى خر ساجدا
مغالطة منهم يخرون سجدا

وسموا عنادا مدخة منه ما بدا
على أنفها أمضى الحسام المجردا

فأخبره جبريل والله منزل
من الآى ما تبقى على الدهر سرمدا

فهذا الذى الشيطان ألقاه هاهنا
وينسخه الرحمن نسخا مؤبدا

وما صار كيد المشركين وإفكهم
ولن يطفئوا من نوره ما توقدا

ومن قـال ان المصـطفى زل أو سهـا
وفى الوحى بالوسواس قـال وزيـدا

فقـبول مخـل بالوثـوق بعصـمة
النبيين والقـرآن والوحـى ان بـدا

وجـوز بعض كـونه من قبيـل مـا
به يبتـلى الرحمـن من قـد تعبـدا

ليعـلم من فى ايمـانه راسـخ ومن
يزلزلـه شـك ويزعجـه الـردى

ومن أعجب الأشـيـاء شىء سـمعته
رسول أتى بالوحى من ربـه الهـدى

يقول ولـم ينطـق هـوى ثم أكـدت
بان هـو إلا الوحـى من رب أحمـدا

ويتبعـه بالسـهو فى إثر قـوله
وإلقـاء شـيطان عليـه تمـردا

أمـا فى متـون الآى مارد نطقـه
بهـا زللا آمنت بالآى فاشـهدا

وما جعـل الرحمـن فى الآى مدخـلا
لإلقـاء شـيطان وتلبيسـه اعتـدى

وظاهـر ذى الآيـات لـم يأت كـله
تأولـه والحـق يجـلى به الصدى

أصاب وجوه الحق فيه عصابة
جلوا منه للسارين بدرا مخلدا

فهذا جواب من ضعيف فان يكن
هدى فاشكر الله الذى عبده هدى

سؤال من جمعة بن خصيف :

سؤال لشيخى الفقيه الرشيد
سعيد بن خلفان غوث الطريد

لمن ذا تكون الشفاعة من
أهلها يوم تبدو أفعال العبيد

فما ان تجوز لأهل المعاصى
الجديرين بالنار ذات الوقود

وأفلح أهل الفعال الجميل
بدون شفيع بفضل المجيد

وفيم تكون من الإثم ياذا
البراءة يا ذا المقال الشديد

فهات الجواب هديت الصواب
جزيت الثواب لذا المستفيد

فأجابه رضوان الله عليه :

ألا بلغن رواة القصيد
مقال سراه نحارير صيدا (١)

لقد خالفوا البطل إذ وافقوا
على الحق آى الكتاب المجيد

فما لظلوم شفيع يطاع
نفت كونها لغوى مريدا

ولا يشفعون لمن لا ارتضى
بها تثبتت لولى سعيد

فلا تثبتن من الاسم جزما
شفاعته من كبير سديد

ولكنه شافع للورى
بيوم القيامة يوم الوعيد

إذا اشتد كرب بطول الوقوف
وغصت بذلك نفوس العبيد

فيأتون آدم يستشفعون
به وخليل العزيز المجيد

---

(١) الصيد : جمع أصيد ، وهو الملك والأسد ، والنحارير : جمع نحرير وهو العالم البليغ ، كأنه ينحر العلوم نحرا ، وسراة : جمع سرى وهو الشريف . ا . هـ .

ومـوسى وعيسـى فـلا يشـفعون
لتفـريج شـدة كـرب مزيـد

فينهض خاتمهـم شـافعا
ويلهـم كل الثنـاء الحميـد

فيأتـى ويشـفع فيهـم ويعطى
لـوى الحمـد فى يـده والسـعود

فهـذا ومحتمـل غـيره
لأهـل التقـى فى جنـان الخلـود

كرفـع محـل وتقـربيه
وتعظـيم منزلـة للسـعيد

وأمـا مقالهـم أنهـا
لأهـل الكبـائر غـير الجحـود

فهـذا جـواب لمـن جـاء عن
إلـه السـموات رب ودود

فخـذ ما أتـاك ودع غـيره
وربـك فاشـكر تفـز بالمـزيد

وله رضـوان الله عليـه :

تـوق اذا سـافرت ان كنت تتقـى
جهـات بأيـام أتـت عـن منمـق

ففى الأحـد احـذر مغـربا كعـروبة

وفى السـبت والاثنـين دع كل مشـرق

ومثـل الثـلاثا الأربعـا فى شـمالها

وجانب جنـوبا بالخميس توفـق

وله أيضـا رحمه الله :

فى الشـهر يومـان رتبت كلمـا

خـذها محـاذية عـد الشـهور معك

ألفاظهـا من حروف الجمـل ائتلفـت

للفصـل فى وسـطهن الواو يظهر لك

دوهـى أوج يـوك أوه بوهـى أود

ايوبى حـرد ووط ووح ونـوه و د ك

محرم صفر ربيع الأول ربيع الآخر جمادى الأول جمادى الآخر

رجب شعبان رمضـان شـوال القعـدة الحجـة

ومن كلامه رضوان الله عليه :

فى كل شهر رأوا يومـا بـه نحـسا

خـذها مرتبـة والواو فيصـلها

بأحـرف ضمن سـمط مفـرد جمعـت

ينبيـك عن عـدها المشـهور جملها

بـــى وى ودوح ودك و ب و ب ى
وجك ودك و ح و ح ك و ح تــم مجملها

محرم صفر ربيع الأول ربيع الآخر جمادى الأول جمادى الآخر
رجب شعبان رمضـــان شـــوال القعـــدة الحجــة

ومن كلامه أيضـا رحمه الله :

ان التى منجيـــات ســميت ســور
خــذ نظم أســمائها كالدر فى الســلك

كهــف وجـــرز ويس وفصــــلت
الدخـــان واقعـــة بالحشر والمـلك

ومهلكات المعــدى ســبع أتاك بهـــا
بيت بتــورية من أحســن الســبك

مزمــل فى بــروج طـــارق بضحى
لشرح قــدر قريش فى شــذا المســك

والمنقــذات لنا ســبع بكوثرهـــا
وافت وســت تليهـــا بعــد كالحبك

بســم الله الرحمن الرحــيم

وبه نســتعين •

الحمــد لله الذى هدى عباده لمعرفة الحساب ، فضــبطوا السنى وقائعهم وأيام نوادرهــم بالتاريخ لئــلا يقــع فيهــا الارتياب •

وصلاته وسلامه على رسوله القرشى ، وعلى آله وصحبه فى الضحى والعشى •

أما بعد :

فهذه أبيات منقولة فى ضبط التاريخ سيل عظيم وقع بمكة شرفها الله تعالى ، حتى قيل : ان الماء وصل الى القناديل ، ودخل الحرم الشريف وهى هذه الأبيات قوله شعرا :

أتى السيل مجتاحا لمكة طالبا
فطهرها واجتاح منها الأباطيلا

وما قصد الضر الشنيع وانما
أراد من الركن المعظم تقبيلا

يقولون أرخ كونه قلت فاكتبوا
سمعت بأن الماء لاقى القناديلا

لما مر على هذه الأبيات شيخنا العلامة الفقيه الأستاذ سعيد ابن خلفان الخليلى راقته طرتها ، وأعجبته بردتها ، فاستطرف منها صيغة التاريخ غاية الاستطراف ، إلا أنه استدرك على ناظمها معنى معنى البيت الأول منها ، لكونه أثبت لمكة وحرمها أباطيلا ، كأنها قارة فيها فاجتاحها هذا الآتى المزيد ، وكان الأولى حسم ذكرها رأسا ، واستعمال ما يدلى بالمدح الجميل لها ، والثناء الحسن عليها ، والتقديس لمحلها عن اقترانها بالأباطيل ، كما تقرر رعاية لها ، لما خصت به من الشرف الباذخ الغريق ألا هو حرمة البيت العتيق •

وحين كشف لى هذا الشـــيخ عن هـــذا المعنى الحسن البسن ، وأطلعنى على ذلك النسج الدقيق بل له نسج اليمن ، تشـوقت الى سكه فى قالب الحسن واللطافة ، وتاقت نفسى الى ابراز صـــــورته النورانية كمـــا استجلى أوصافه ، فلم أر من بذلك الغرض نسيج وحده فى عصره ، سوى ذلك الشيخ الـــذى تشرف القلم آنفـــا بذكـــره ، فحاولت حينئذ من جنانه حديا قصـــدى ، ففاض به ثمدى وأورى به زندى •

فقال : وقد ضمن ذلك التاريخ السيل الذى وقع بمكة ، ودخـــل حرم الكعبة فى سنة ١٣٧٩ •

فقـــال :

لقـــد حج بيـــت اللـــه ســـيل عرمرم
وطـــاف كمـــا طـــاف الحجيج وســـلموا

تشـــوق للبيت العتيـــق ومكـــة
فجـــاء كمـــــا يأتى المشـــوق المتيم

وقبـــل منـــه الركـــن والحجـــر الـــذى
تســـــاما فحيـــاه الحطـــيم وزمـــزم

فلا تعجبـــــــوا ان عاد ذكـــرا فانـــه
تعاظـــم قـــــدرا مثـــل ما يتعظـــــم

وما كان مجتـــاحا ولا مفســـدا لهـــا
ولـــكن بـــه من رحمـــــة الله أنعـــــم

يطهـــر أوســـــاخ البقـــاع مقدســـا
لمـــا مســـــــه منهـــا عصى ومحرم

كمـا بفنـاء البيت والحجـر اغتـدت
تطهـر أوساخ الذنـوب وتحسـم

فللـه من أرض مقدسـة بـه
وتاريخـه حيـا غمام مسـلم

فتأمل فيها أيها المتوسم ، فهى لعمرى خريدة لا يظفر بمثلها الخطاب ، تكاد أن تعشق بمجرد الصفات من وراء الحجاب ، ثم ان شيخنا البحر الزاخر الفرات ، بعد ما طرز حواشى هذه الأبيات ، سنح له فى تأمل ذلك التاريخ ابرازه فى صورة غير الأولى ، على أرفع من الربيع ، فقال شعرا :

قد سمعنا ما لم يكن مذكـورا
آيـة تمـلأ المسـامع نـورا

ذرفـت أعـين السحائب من خشـية
رب السـماء دمعـا غـزيرا

سكبته مـاء ولـو انهـا اسـطا
عت لأجـرت من الدمـاء بحـورا

فأتـى سيلها وفى القـلب منـه
خفقـان تظنـه مذعـورا

عجبـا هى عطفـه وهو الزحـا
ف والجفـن منـه أضحى سـهيرا

أقلقته مخافة الله حتى
حل بطحاء مكة مستجيرا

أدركته عناية أوردته
حرم الله بيته المعمورا

يطلب العفو والأمان من الله
وكان المولى سميعا بصيرا

عقد النذر والطواف فقل:
تاريخه فاجى السيل وافى النذورا

فنزه أيها الناظر ناظريك فى رياض نظم هذا الشيخ المولوى إجتلاء محاسن غيره ، واجتناء أطاييب ثمره الطرى ، فانك تظفر هنالك بما يربوا فى القيمة على العين ، بل لعمرى بمنية النفس وقرة العين ، وقد نظمت أيضا على هذا النمط ، وان كان ما نظمته عن مشاعر ذلك الشيخ وسط .

فقلت وهذه ستة أبيات مع النثر لخميس بن سليم الأزكوى :

رووا أن سيلا حج فى عسكر مجر
وقد فاز لما طاف بالبيت والحجر

وأحرم كى يقضى مناسك حجه
الى البيت من شفع هناك ومن وتر

دعاه الى ذلك الخضوع لربه
فلباه كالساعى على رجل الخضر

ولا غـــــرو اذ لا شيء إلا بحمـــده
يسـبح أو حجبت اذن أدمـع القطـر

ومـا كان جيحـون وسـيحون مثـله
ولا الدجلة الزوراء ولا النيـل فى مصر

ولكن فى تاريخـه وصف قـــدره
فتاريخـه أضحى وقـد فاح كالبحـر

نقلت من خط العـلامة الخليلى ولعـل البيتين من كلام القافيتين الهائية والرائية له رحمة الله عليه •

ومن كلام جمعة بن ضيف :

ما لنـــا لا نســـتعمل التشـــميرا
أنرجـى فى هــــذه التعمـــيرا

متوانـــين فى المســير الى اللـــه
وما حـــظ مبطـــىء موفـــــورا

وســـــوانا بالبـــاب فى كل حـــين
واقـف يطلـب الرضـــا مســتجيرا

ان فى ذا الآيــــة ودليـــــــلا
لفتى كـــان بالأمــــــور بصـــيرا

ومن الآى ان تطـــــوع ســـيل
حـين حج البيـــت العتيـــق منـيرا

جـــاءه واســـــــلا بـــه مســـــتجيرا
ومن اللـــــه خائفـــــــا مذعـــورا

قبـــل الحجـــر منه والحجـــر الأســـود
ان فى ذلك الســـــــواد لنـــــورا

أغبطتـــه الســـــيول اذ حاز فضـــلا
من ملاقـــاته الحطـــــــيم كثـــــيرا

وتعـــالى قـــد قـــدر العليـــا ما حـــج
لـــذا كـــم قـــد صـــار بحـــرا غـــزيرا

أرخـــوه قـــد بايـــن البيـــت حـــزنا
بعـــد أن حـــج حجـــــــه مـــبرورا

وقال بعضهم شـــعرا :

من خـــاف من نـــاب الزمـــان وعضه
فليزرع القـــت النضـــير بأرضـــه

فى كـــل شـــهر منـــه تأتـــى غـــــلة
تغنيـــه عن دين النجيـــل وقرضـــه

فقال مجاوبا له رحمه الله :

من خـــاف من نـــاب الزمـــان وعضه
فليـــدع رب العـــرش خـــالق أرضـــه

فى كل يـــوم منــــه تأتـــى رحمـــة
تغنيـــك عن دين البخيـــل وقرضـــه

وللمتنبى فى هذا الشأن :

اذا لم تجـــد ما يبتر العمر قاعـــدا
فقم واطلب الأمـــر الذى يبتر العمـــرا

همـــا خلتـــان ثـــروة أو منيـــة
لعـــلك ان تبقـــى بواحـــدة ذكـــرا

ومن كلامه رضوان الله عليه الشيخ الخليلى :

اذا أنت لن تبـــلغ فى العـــلم رتبـــة
فقـــم واعبد المولى وأخلص لـــه الشكرا

همـــا رتبتـــان لكـــرام عبـــاده
وعـــلم بهـــن اللـــه يحيى لـــه ذكـــرا

ومن كلامه رضوان الله عليه :

أيا ســـائلى صرعـــا صحيحا مجـــربا
اليـــك مقـــالى بينـــا ليس يكتـــم

هو الواو ثم الشـــين واللام بعـــده
ضـــع الغين والخا أول الاســـم تعـــلم

وزاى تليهـــا الراء والطـــاء بعـــدها
ولام وهـــذا الاســـم بالهـــاء يختـــم

وضـــع ألفـــا من قبـــل وتاليـــا
للام وبين الـــكاف والغـــين يرســـم

فـذلك خوشـلغ برز طـلة اقتفـى
ويتلـوه اخـلاكاع واللـه أعـلم

ثلاثـة أسـماء تظـاهر فضـلها
على أنهـا فى كف ذى الطهـر ترقم

فضـع كل اسـم مرتـين على الـولا
ومن بعـدها اكتب احضروا وتكلمـوا

ويسن تتلـوها الى حيـث قـوله
وكـل لدينـا محضرون لتعلمـوا

وما كل انسـان صـحيح موافقـا
لصرع ولـكن يصرع البعض منهمـوا

فدونـكه صرعـا صحيحا رويتـه
عن ابن أبى نبهـان ذاك القليـذم

هو العـالم الحبر المسـمى بناصـر
فلازال باللطـف الالهـى ينعـم

روى عن أبيـه السـيد القطب جاعـد
هـو العالم البحـر العظيم الغطمطـم

عليـه سـلام مثـل ما هـو أهـله
وذلك شىء حصـره ليس يعـلم

ومما هو مضـاف الى الكتاب عن شـيخنا البطاشى اسم الـزوج يطـلق على الواحـد أم على الاثنـين ويـكون مثـل الشـفع فى التسمية أم لا ؟

الجـــواب :

لا يحسن عندى أن يكون الزوج كالشـــفع ، لأن الشفع اســم للاثنين ، والزوج اسم لـكل واحـــد معه آخـــر فيقال فيهما : زوجـــان لاشفعان ، والله أعلم .

*** مســألة :**

وعنه وما ذكـــرته من السؤال فى الرجـــوع بتاء الفاعل الى ما عليه أصل البناء من السكون ؟

فالجــــواب عنه :

أن ذلك لا يمكن أن يكون لوجهين :

أحدهما : أن كون المبنى على حرف واحد مانع من السكون .

والثانى : أن تاء الفاعل يسكن لأجلهـــا ما قبلهـــا ، فاذا سكنت هى التقى ساكنان على غير حـــده ، وذلك ممتنع لا فى حـــالة الوقف ، والله أعـــلم .

وما ذكرته من السؤال عما قيل ان ألف الإلحـــاق تتميز عن ألف التأنيث اذا وقعت فى آخر اسم يوازن شـــيئا من أوزان الأســـماء ، وان وقعـــت فى آخـــر اســـم لا يوازن شـــيئا من أوزان الأســـماء ، فهى ألف تأنيث ؟

الجـــواب عنه :

أن ذلك ظاهـــر فى الاســـمين المذكـــورين فى كتـــابك ، وهمـــا أجـــلا بفتح حروفه الثلاثة اسم لمكان وبردا يفتح حروفه الثلاثة اسم

لنهر دمشق ، فان ألفهما تأنيث ، إذ ليس فى الأسماء فعال بفتح الفاء والعين واللام الأولى تكون هذان الاسمان ملحقين به ، فتعينت ألفهما للتأنيث •

واما سؤالك عن الجمع بالألف والتاء فشرطهما أن تكونا مزيدتين ، وشرط زيادة التاء احتراز عن نحو تاء أبيات ، وشرط زيادة الألف احتراز عن ألف نحو قضاة ، ولأنهما أصليتان •

وأما تعليل اختيار هذين الحرفين للجمع المؤنث فان كل واحد منهما له دخل فى الجمعية على انفراده ، كرجال فى الألف ، وقضاة فى التاء ، وقد يجتمعان فى نحو : صياقلة وصيارفة فلذلك أوثرا على غيرهما فى الجمع المؤنث السالم ، والله أعلم •

أما السؤال عن تسكين تاء الفاعل فيؤتى ، وأما السؤالان الأخيران فلا ، وأما خطك فى ذلك التعريف فكله يؤبى لتداخل بعض حروفه فى بعض •

※ مسألة :

وعنه : قال أبو نبهان شعرا :

وقد كان من أوصافها فى صفاتها
على العكس كون العكس شرعا دعى لبيا

وصف الشىء نعته فى الواصف له ، والصفات جمع صفة هى كالعلم للموصوف بما كان من خَلْق أو خُلُق ، وذهب قوم الى أن الصفة هى الوصف وليس بصحيح •

وقال فى موضع آخر :

تجلى ظهورا بالصفات لذاته
الى طوره فاندك من نورها شهبا

تجلى بمعنى ظهر ، ونصب ظهورا على المصدر ، والظهور نفس التبيين يقال : ظهر الشىء اذا بان ، والصفات جمع صفة وهى ما بان به الشىء من غيره على ما به هو فى نفسه •

وذهب قوم الى أنها هى الوصف ، وقد مضى القول فيما مضى أنه ليس بصحيح انتهى كلامه نقلا بحروفه رحمة الله عليه ورضوانه لديه •

فانظر فيه قال : فقد صح من فحوى كلامه رحمه الله تعالى أن الوصف كلام الواصف للموصوف حيث يصفه بصفته فافهم رحمك الله •

وقد ذاكرتنى سابقا فى قول القائل : أنا أفقر الخلق الى الله ، وأحوجهم اليه ، فأجبتك بما أجبتك ، ثم ظهر لى جواب ثان وهو : كل انسان يرى بالنظر الى نفسه انه كذلك ، وان كان غيره مثله ، وهذه طريقة مستمرة فى الكلام •

ومنه قوله تعالى : (وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها) أى ان كل واحدة من تلك الآيات ، ترى بالنظر الى نفسها أكبر من أخواتها •

ومنه قول الأنصارية وقد سئلت عن بنيها أيهم أفضل فقالت :

فلان ، ثم قالت : بل فلان ، ثم قالت : ثكلتهم ان كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها •

ومنه قول القائل :

من تلــق منهــم تقــل لاقيت ســيدهم
مثل النجــوم التى يسرى بهــا السارى

ومن جــواب عنــه :

ان الله تبارك وتعالى يقول : (وربك على كل شىء حفيظ) هكذا أظن الآية أو ما يشبهها ان لم تكن كــذلك بحروفهــا ، والمعنى فى ذلك فيما أرجوه ان كل شىء من مثقال الذرة وما دونهــا وما فوقها محفوظ عنــده ، لا يغرب عن علمه منه شىء •

وأما الحفظ لمعنى الكلاءة من الآفات هو مختص بمن يريد سبحانه أن يكلأه منهــا ، فظهر بذلك أن الحفظ الأول عام ، والثانى خاص ، والله أعــلم •

ومن جواب عنه أيضــا :

أن اللـــه ولــى جميع خلقــه ومولاهــم فى الدنيــا والآخــرة ، والمعنى أنـــه مالكهــم وقاهرهم ، وأما وليهــم ومواليهــم ومولاهــم بمعنى ناصرهم فلا يكون إلا للمؤمنين ، ومن ذلك قوله تعالى : (ذلك بأن الله مولى الذين آمنــوا وأن الكافرين لا مولى لهم) فظهر بــذلك أن الولاية الأولى عامة والثانيــة خاصة فافهم ، والله أعلم •

ومن جواب عنه آخر :

ان الصراط رويت فى السبع فيــه : القــراءات الثــلاث : الصــاد الخالصة ، والسين الخالصة ، وهى الأصل والصاد مبدلة منها فى اللغــة العالية ، والثالثة إشمام الصاد صوت الزاى إلا أنى لا أعــرب كيفية اللفظ به ، واما الزاى الخالصة فقد عرفنا فيه أنه خطأ ، والله أعلم •

وعنه أيضا :

ما الوجه فى كتابة الصلوة والزكاة والحيوة والربوا بالواو عرفنى بــذلك ؟

الجــــواب :

أما كتابة الصلوة والزكوة والربوا فقد قيل انهــا على لغــة من يفخيمها ، والله أعلم • فانظر فى جميع ذلك ثم لا تأخــذ منه إلا الحق •

*** مســألة :**

وعنه أيضا : ان عظم الشمس مقــدار كبر الدنيا كلهــا ، برهــا وبحــرها مائة مرة وســتين مــرة ، وأن ســدرة المنتهى فى الســماء السابعة ، وأن علم الخــلائق لا يجاوزها أحــد من الأنبيــاء ولا من الرســل صلوات الله عليهم أجمعين ، ولا مبلغ علمهم اليها •

وعنه : السبرات هى الليــالى الباردة اللاتى يــكون فيهــا البرد الشــديد •

*** مســألة :**

وعنه : وهل شيء من سور القرآن اذا بــدأ بقراءتها لا يجــوز تركهــا إلا بعد تمامهــا ؟

الجـــواب :

لا أعلم فى ذلك إلا ما قد قيل من الكراهية فى ســـورة الأنعـــام ، والله أعلم •

رجع الى كتاب التمهيد •

*** مســـألة :**

وما تفسير قوله تعالى : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها) الى تمام الآية بين ســـيدى لى ذلك ولكل الأجـــر ؟

الجـــواب :

قيل : أنزلت فى كفار مكة ، منعوا النبى صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام ، والسعى فى خرابه ، هو منع ذكر الله فيه •

*** مســـألة :**

ومنه : وما تفسير قوله تعالى : (وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) الى تمام الآيـــة بين لنا ذلك ولك الأجـــر ان شـــاء الله ؟

الجـــواب :

أنا غير عالم بتفســـير مشكلات القرآن ، فاســـأل عنـــه العلماء ان شئت ، وهـــذه من الآى المشـــكلات فيـــه التى لا يحـــل عقـــدها إلا العلمـــاء •

ميل : سأل النبى صلى الله عليه وسلم • فقال : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ثم يدخلهم الله الجنة برحمته •

قلت : فهذا هو كما ترى عن سيد الورى صلى الله عليه وسلم وعلى مقامه لديه ، كذلك لكن يحتاج الى تفسير الأنق ، وشرح طويل ، وتفصيل عجيب ، وللعبد غنية عن التكلف ، فالتسليم واجب ، والايمان به حتم ، ولم يجد فيه صريح تفسير لائق مطابق واف بالمقصود حتى أرفعه لديك ، ولكن أقول : انه ثبت القول : (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) وموت العبد إما على طاعة وإما على معصية ، فكيف هذا الوقوف والحبس ؟

ثم ان الأعراف ما هو ؟ هو فيما قيل : اسم سور بين الجنة والنار ، وهو المشار اليه بقوله تعالى : (فضرب بينهم بسور له باب • باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) •

ونفى الكلام على من عليه كيف حالهم ، فذلك هو الذى تحير فيه جم العارفين ، والذى ظهر فى الحال احتمال الحبس للمؤمنين المقصرين فيوقفون على مواضع من الأعراف ، ينظرون الفريقين يمرون عليهم هؤلاء الى الجنة وهؤلاء الى النار ، وهم هنالك الى أن يقضى الله عليهم ما يشاء ، ألا ترى أن الله قد قسم أهل الجنة الى السابقين والى أهل اليمين ، فلا شك أن أهل السبق هم يدخلون الجنة والناس فى عرصات القيامة وقوف ، وعلى قدر مسارعة العبد وبداره الى مرضات ربه يكون السبق غدا ، فمنهم من يدخل الجنة بغير حساب ، ومنهم من يدخل الجنة بعد الحساب والمناقشة ، ومنهم من يدخلها بعد الحبس واللوم والتعيير ، وما يدريك لعلهم كانوا ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا من غير الكبائر التى هى المهالك ، كذلك قال صلى الله عليه وسلم فى عبد الله بن رواحة الأنصارى حين تأخر بالراية ثم

تقدم بها ، فقتل فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « حبس عن الجنة بقدر ما تأخر عن القتال » فى كلام هذا معناه ان لم يكن بعينه •

وليس الحبس ثم حبس عقوبة ونكال ، إنما هو وضع مرتبة وتأخير عن سبق السابقين الى الجنة حتى يكون فى الآخـرين من الداخلين •

وان قيل : فى الرواية يحبسون خمسين عاما أو نحو ذلك فيما قيـل فما هو ببعيد ولا بمستنكر فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة •

كذلك يروى عن النبى صلى الله عليـه وسلم : « يخـرج قـوم من قبورهم لهم نجب يركبونها لها أجنحة خضر تطير بهم فى عرصـات القيامة حتى يأتوا على حيطان الجنة ، فاذا رأتهم الملائكة قال بعضهم لبعض : من هؤلاء ؟ فيقولون : لا ندرى لعلهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيأتيهم بعض الملائكة فيقول : من أنتم ومن أى الأمـم أنتم ؟ فيقولون : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فتقول الملائكة : هل وزنتم ، هل حوسبتم ، هل قرأتم كتبكم ؟ فيقولون : لا ، فتقـول الملائكة : ارجعوا فكل ذلك وراءكم ، فيقولون : أعطيتمونا شيئا فنحاسب عليه ما ملكنا شيئا ، ولكن عبدنا ربنا حتى دعانا فأجبنـا ، فينـادى مناد : صدق عبادى ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم » •

وهذا شأن السابقين ، فما ظنك بالمقصرين ألا يتأخرون فى أهوال يوم القيامة على قدر المرتب والسلوك الى الله ، وغير بعيد أن يجعـل من يشـاء منهم على الأعراف ، حتى ينظر ويخـاف ، ويرجو الى أن يفيض الله عليه برحمته ، أو لا تسمع ما قيـل فى عبد الرحمن بن عوف ، أنه يدخل الجنة حبوا ، كل ذلك عبارة عن تشـديد الأمر فى يوم القيامة على قدر الأدب الحاصـل من العبد بين يدى الله تعالى ، ثم اذا أدخله جنانه ورحمته ، فياسعد من فاز بها ، وان كان فى المرتبة لا كالسابقين ولا كالأعلى من أهل اليمين •

وهذا الباب يتسع القول فيه ، وقد قيل بغير ذلك ، ولكن هذا هو الأصح الآن لموافقة الأحاديث النبوية ، والشواهد العقلية فهذه هذه ، وإن لم نجد مشروحا كذلك فاعرف ذلك ، وبالله التوفيق .

✻ مسألة :

وما تقول شيخنا فى معنى قوله تعالى : (كأنهن بيض مكنون) فقد وجدنا فى بعض التفاسير أن المراد هنا بيض النعام ، فكيف تصح أن تكون الحور العين مثل بيض النعام ، وهو من متاع هذه الحياة الدنيا الدانية ، أم للآية الكريمة معنى عند أصحابنا غير هذا ، تفضل أزح عنا الحيرة ، وأرح قلوبنا من الشك أراحك الله مما نحن فيه من ليل الجهل ، ونور قلبك بنور العلم ؟

الجواب :

قد شبههن الله تعالى فى كتابه العزيز بما يعرفه الناس ويستحسنونه ، ولا يلزم ان كان المشبه به أفضل من المشبه ، فقد يكون بالعكس ، وقد شبههن بالياقوت والمرجان أيضا ، وهذا كما تشبه الشمس المنيرة بسبيكة الذهب المستديرة .

وليس المراد به من متاع الحياة الدنيا إلا لمعنى الحسن فقط دون سائر الصفات ، كما يشبه الشجاع بالأسد فى معنى الشجاعة والقوة خاصة ، لا فى الصورة الكريهة والمنظر القبيح وغير ذلك من الصفات ، وهذا كله مشهور مع أهل البيان .

※ مسألة :

ومنه : وجدنا فى بعض الكتب أن أشياء من الجنة موجودة من مأكولات ومشروبات فى هذه الدنيا ، أيصح ذلك عندك ، لأنه قد تقرر فى العقل أن نعيم الجنة ولذاتها لا تقايس لذات الدنيا وان كل ما يتنعم به فى هذه الدنيا من هذا المذكور وهو من نعيم الدنيا ، وهل يصح أن تكون هذه الأشياء أنزلت من الجنة ، ويعد انزالها غيرت لذاتها عن حالها ، أم هذا لا يصح أبدا ، ونعيم الجنة لا وجود لشىء منه إلا فيها ؟ أم يصح ذلك على بعض المعانى وما تفسيره ، تفصل بينه لنا ؟

الجواب :

نعم هذا صحيح ، وليس المعنى أنها موجودة بعينها ، ولكن معناه أن هذه الأشياء التى فى الدنيا مستحسنة نموذج لما فى الجنة من أمثالها ، على أن ما فى الجنة ولا شك أشرف وأكمل ، ولكن هذه دلائل واشارات الى مبادىء ما فى الجنة من حسن وكمال لا يتناهى ولا يحصر ، ولولا وجود هذه لما عرف شىء ما يذكر من أمثاله فى الجنة ، وان تفاوت فاعرف ذلك .

※ مسألة :

ومنه : وما معنى صديق مخسر عدو مبين ، بين لى بيانا كافيا ؟

الجواب :

هذا كلام عامى لم يأت به كتاب ولا سنة ولا اجماع صحيح ، ولا أثر صريح ، فلا يعتنى بمثله .

* مسألة :

ومنه : وما معنى قوله تعالى : (وبئر معطلة وقصر مشيد) ما هذه البئر وما هذا القصر الذى جاء نصا فى كتاب الله بين لى ؟

الجواب :

أهل البئر والقصر قوم أهلكهم الله والسلام .

* مسألة :

وما تقول فى قوله تعالى : (ويخلد فيه مهانا) أم ويخلد أم يجوز الضم والفتح على الياء واللام عرفنا ؟

وقوله تعالى : (ياليتنى مت قبل هذا) ؟ وقوله : (ويقول الانسان اذا ما مت) يجوز ضم الميمين وكسرهما أم لا عرفنى ذلك ؟ وقوله : (ولقد علمتم النشأة الأولى ، فلولا تذكرون) يجوز تشديد التاء والذال وتخفيفهما جميعا أم لا تفضل بين لنا ذلك ؟

الجواب :

يخلد بفتح الياء وضم اللام ، ومت يجوز بضم الميم وكسرها حيث وقعت ، ولا يجوز تشديد التاء فى تذكرون ، ويجوز تخفيف الذال وتثقيلها ، والله أعلم .

* مسألة :

ومنه : وبعد شيخنا تفضل علينا بالجواب فى هذا الجسيم آخذناه على ما قلت نحن ومن اتبعنا فيه ، لكن منهم من أخذه على

سبيل الشك ، ومنهم من أخـذه على سـبيل التقليد مخـافة أن يتركوا ما لا يسعهم تركه من رد الحجة ، ودخـول الشبهة ، وأخذوه على هذا السبيل ، فوقع الاختـلاف فى الباطن ، وصح الاعتقـاد فى الظـاهر كما قال المنافقون : نشهد انك لرسول الله فى الظاهر والله يشهد إن المنافقين هم الكاذبون فى الباطن ؟

وذكرت فى هذا الجيم كمن ترك القاف وأخـذ بالكاف ، فهـذين معنيين قائمين ، وحروف معرفة اذا تركت أحـدهما صرت فى الثـانى ، فصـارا بين حجتهـا عند الجاهل لأنه لا يمكن اجتماعهما ؟

وهـذا الحرفان اذا تركت أحدهما صـار الآخـر شـاذا ولـم نعـرف حجة نعتقدها فيه ، فمن ذلك احتجنا الى بيـان الحجة الواضحة من طـريق اللغـة والتأويل ، فبين لنـا رحمـك الله بيـانا لا بعـده إلا الإضرار والادبار عن حجة الله وحجة علمائه التى لا يسع جهلهـا بعد قيامها على من سمعها من الجاهلين بهـا ؟

الجـــواب :

انا لم نختلف نحن واياكم فى حـرف الجيم ، اذا نطـق به بحرف الجيم المعروف فى أصـل اللغة الأصلية ، وأما اذا نطق به على حسـب اللغات المختلفة عن الأصـل كمن يجعـل الجيم قافا والقـاف جيمـا أو الجيم حرفا ثالثا متركبـا من حرفين كما هـو فى لغتكم ، فليس هو شىء ، وانما هو بدلا من الجيم الحقيقى بحـرف منكر مجهـول عنـد العرب إلا من اختص به ، وكثير من الحروف ما تتشـابه فى ذلك كالياء المتركبة من بين الياء والفـاء فى لغة كثيرين ، وما يشاكل هذا كله ، فلا تجـوز القراءة به .

ومن لـم يحسن النطـق به فعليه أن يتعلمه مع القـدرة ، كمـا يتعلم الفرق بين الضاد والظاء ، واذا جاز هذا جاز أن ينطـق بالجيم

فى موضع القاف فيقول فى القدوس القدير الجدوس الجدير ، ولا وجه لجـوازه ، وان استعمله جهلة البادية من الشـام واليمن وغيرهم فى هذا الزمن ، فلا التفـات اليـه لمخالفتهم لغة الأصـول ، وهـذا كله أصل واحد ان جاز بعضه جاز كله ، وان فسـد بعضه فسـد كله ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنه ولِمَ حذفت تاء لست لغير اجتماعها مع السـاكن الصحيح أم لا ، وما العلة فى نقـل ضمة يقوم الى القاف للثقل أم لغيره ؟

الجـــواب :

حذفت تاء لســت لاجتمـاعها ساكنــة مع الســاكن الصحيح ، فحذف الساكنين من المعتل لخفته ، ولاستثقال اجتمـاع الضمة مع الواو نقلت الى الساكن الصحيح قبلها وأسكنت •

*** مسـألة :**

ومنه : وألف معاوية إذ صغر هل يكون •••••• (١) لأنـه من باب فاعـل ، تفضـل أخبرنى عن جميع تصريفه ، ولك من اللـه عظـيم الأجـر ؟

الجـــواب :

يحذف ألفها فتكون معنوية ، فيدغم الـواو فى اليـاء فتكون معية على الأشهر ، والله أعلم •

---

(١) بياض بالأصل •

*** مســألة :**

ومنه : فى تأويل قوله تعالى فى بدو هذه الســورة ، مثل حمعسق وكهيعص ؟

الجـــواب :

قد اختلف المفسرون فى ذلك ، فقيل : هى أسماء للسور ، وقيـل : هى من أسماء الله تعالى ، فالحـاء من حكيم ، والميم من مجيد ، وهكذا الى آخـرها •

وقيل : انها حروف أقسم الله بها ، وقيل : اسم الله بالأسماء الدالة عليها كالكاف من كافى ، والهاء من هادى ، وقيل : انه ذكر هذه الحروف على سبيل التعديد تحـديا لمعجزة للمعارض مع كون النبى الآتى بهـا أمثالا يحسن شـيئا من ذلك ، فأتاهم من حـروف المعجـم نصـفها الأشرف ، فذكر من المهموســة نصفها ، ومن المجهـورة نصفها ، ومن الشـديدة نصفها ، ومن الرخـوة نصفها ، ومن المطبقـة نصفها ، ومن المنفتحة نصفها ، ومن القالقة نصفها الأقل لقلقلتها ، ومن اللينتين نصفها ، ومن المستعلية نصفها الأقل لثقلها ، ومن المنخفضة نصفها ، ومما يدغم فى مثاله ، ولا يدغم فى المتارب نصفها الأقل ، ومما يدغـم منها نصفها الأكثر ، ومن الذلقيــة ثلثيهــا ، وكـذا من الحلقية لكثرة دورهـا فى الكلام •

وبالجملة مما لم يذكر مكتوب عله فذلك بما ذكـر فكأنه تحداهم بالحروف كلها ، وكأنمـا خاطب أهل الأسرار الحرفية من الكتب القديمة ، مما ذكره من الحروف النورانية المعروفة عندهم ، واضرب عن الحروف الظلمانية كلهـا ، فسبحان من دقت فى كل شىء حكمته ، وبيــان ذلك مما يعجز الفقير عنه فلا يبلغ اليه •

*** مســألة :**

وعن رجل يسبح الله تعالى بلام وألف يجـوز لـه أم لا ، واذا

سمع رجل من يسبح بلام وألف أينكره عليه أم يتركه أم لا يلزمه شيء ؟

الجواب :

أنا لا أعرف كيف يقول من يسبح الله باللام والألف ، والظاهر أنها كلمة لا ، ولا أدرى كيف التسبيح بها ، والله أعلم •

بيان :

فاذا كان هاء ضمير مذكر يفرد قلبه ساكن ، فلا يحتاج بعده الى اشباع ، وانما ينطق بحسب ما يقتضيه من الحركة من ضم أو كسر ، فالكسر مختص بما يكون قبله ياء تجويفية ، واليه وعليه ، ويجوز ضمها قليلا فيقال اليه عليه ، وبه قرىء : (وما أنسانيه) والضم فيما سوى ذلك ، فاذا كان ما قبل هذا الضمير متحركا وجب اشباعه بمدة تجانس حركته •

ومن الضمير أن يكون ما قبله مكسورا فالكسر ، وكذا ان كان ما قبله ساكنا غير الياء فالضم له لازم نحو : ثم يضربه ، لكن يحذف الاشباع اذا كان قبله ساكن مطلقا ، وحيث وجب اشباعه فترك الاشباع جائز فيه مطلقا فى بعض اللغات ، ولكن لا نحفظ أن أحدا قرأ بها فى القرآن ، وأما فى الشعر واللغة فهو كثير ، ومن كانت لغته فقرأ بها فلا نخطئه اذا وافق بعض اللغات العربية ، وان كنا لا نستحسن ذلك ، ولا نأمر به ، والله أعلم •

☀ مسألة :

معرفة ما يشبع وما لا يشبع من الضمير ، وما فى موقعه وذلك اذا كان ما يلى الضمير ساكنا نحو : أل وجب خلوه من الاشباع نحو : له الملك وله الحمد وما أشبهه ، وان كان ما يليه متحركا ، والمتحرك

غير همزة ، فالاشباع نحو ما لهم به من علم ، ولم يكن لله كفـوا أحد وما أشبهه ، وان كان ما يليـه همـزة فالمد نحـو قولك : ان زيـدا له أموالا وما أشبه ذلك •

وقولنا : وما فى موقعه وهو كل اشباع وقع فى هذا الموضع ، فهو مثله نحو : حتى وعسى والى وكل ما كان فى وزنه فهـذا حكمه فقسه فانه سهل واضح •

وعن غير أصحابنا قال الشـيخ : وما أخبر به النبى صلى اللـه عليه وسلم فى اشتراط السـاعة من خروج الدجـال ، ودابة الأرض ، ويأجوج ومأجوج ، ونزول عيسى عليه السلام من السـماء ، وطلوع الشمس من مغربهـا ، فهو حـق ، والمجتهد فى العقليـات والشرعيات الأصلية والفرعية قد يخطىء ويصيب ، ورسل البشر أفضل من رسـل الملائكة ، ورسل الملائكة أفضل من رسل عامة البشر ، وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة •

من الشرح قوله : فهو حق لأنها أمور ممكنة أخبر بها الصـادق •

قال حذيفة بن الغفارى : طلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ، فقال : « ما تذكرون ؟ » قلنا : نذكر الساعة ، قال : « انهـا لن تقوم حتى تروا قبلهـا عشر آيات » فذكـر الدخـان والدجـال والدابة وطلوع الشمس من مغربهـا ، ومن نـزول عيسى بن مريم ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم ، والأحاديث الصحاح فى هذه الأشراط كثيرة جدا •

وقوله : والمجتهـد فى العقليات الى آخره ذهب بعض الأشـاعرة والمعتزلة الى أن كل مجتهـد فى المسائل الشرعية الفرعية التى لا قطـع فيهـا مصيب ، وهذا الاختـلاف مبنى على اختلافهم فى أن لله فى كل

حادثة حكما معينا ، أو حكمة فى المسائل الاجتهـادية ، ما أدى اليـه رأى المجتهدين وتحقيق هذه الأبحاث أن المسـائل الاجتهادية ما أدى اليـه رأى المجتهدين ، وتحقيق هذه الأبحـاث ، إما أن لا يكون لله فيهـا حكم معين قبل اجتهـاد المجتهـدين أو يكون ، وحينئذ إما أن لا يكون من الله تعالى دليـل أو لا يكون ، وذلك الدليـل إما قطعى وإما ظنى ، فذهب الى كل احتمال جمـاعة ، والمختـار أن الحـكم معين ، وعليـه دليل ظنى ان وجـده المجتهد فقـد أصاب ، وان فقـده أخطأ ، والمجتهد غير مكلف باصابته لغموضه وخفائه فلذلك كان المخطىء معذورا بل مأجـورا •

والدليل على أن المجتهد قد يخطىء فيه وجوه :

الأول : قوله تعالى : (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) والضمير للحكومة والفتيا ، ولو كان كل من الاجتهـادين صوابا لمـا كان لتخصيص سليمان بالذكر حرية ، لأن كلا منهما قد أصاب •

والثانى : قوله عليه الصـلاة والسـلام : « ان أصبت فلك عشر حسنات وان أخطأت فلك حسنة » •

الثالث : أن القياس مظهر لا مثبت ، فالثابت بالقياس ثابت بالنص معنى ، وقد أجمعوا على أن الحـق فيما ثبت بالنص واحـد لا غـير الرافع أنه لا يعرفه فى العمومات الواردة فى شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بين الأشخاص ، فلو كان كل مجتهـد مصيب لـزم اتصاف الفعـل الواحـد بالمتنافيـين من الخطـر والاباحـة والصحة والفساد ، والوجود وعدمه •

وتحقيق هذه الأدلة والأجوبة عن تمسكات المخالفين بطلب من كتاب التلويح فى شرح التنقيح •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : أما ما ذكره فى أشراط الساعة من طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدجال وغير ذلك ما خلا ما ذكره الله تعالى فى كتابه ، فى فتح يأجوج ومأجوج ، وخروج الدابة ، فلم يأت به تنزيل ، ولا قامت الحجة بصحته عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا ينعقد فيه اجماع يلزم قبوله إلا بصحة الرواية ، أو صحة تأويل التنزيل ، ولم يصح اجماع بذلك ، وأما باجماع اجتماع العلماء على صحة ذلك بغير دليل إلهى ، ولا صحة رواية نبوية فلا ينعقد اجماع دينى ، لأنه لا مخرج له عن الظن الى اليقين •

وأما خروج يأجوج ومأجوج والدابة فقد نطق بهما القرآن ، ويحتمل أن يكون المعنى المقصود هو على ظاهر اللفظ ، ولكن معنى ظاهر اللفظ يخالفه قوله تعالى : (لا تأتيهم إلا بغتة) والقرآن لا يخالف معناه بعضه بعضا ، فعلى هذا يحتمل أن يكون على تقدير لو ، أى لو فتحنا عليهم يأجوج ومأجوج ، فهم من كل حدب ينسلون ، فيكون بقاء السد عليهم نعمة من الله لعباده ، ذكر بها عباده المتقين ، ذكرهم ليشكروه •

وكذلك خروج الدابة يحتمل أن يكون المعنى مقدرا بلو أخرجنا لهم دابة تذكرهم اذا حق عليهم القول بحكم الكفر عليهم ، وبهلاكهم لم ينفعهم ذلك أن الناس كانوا بآياتنا لا يؤمنون ، اخبار من الله عنهم لا اخبارا عن كلام الدابة على هذا الوجه من التأويل ان صح ، والله أعلم بتأويل كتابه ، وبالله التوفيق انتهى •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى كل هذا ؟

قال : الله أعلم ، وأنا به غير بصير ، لكن ما ذكره الشيخ من تقدير لو فى فتح يأجوج ومأجوج ، وفى خروج الدابة من الأرض

لا معتمد له ، ولا أصل لعدم الدليل عليه ، والعدول عن الظاهر لا يصح فى التأويل إلا السبب يوجبه ، ولا دلالة على ذلك هاهنا من لفظ ، ولا معنى فليس هو بشىء •

وأما قوله فى سائر العلامات أن الاجماع من الأمة لم ينعقد فيها على شىء ، فهو من قوله صحيح ، وحينئذ فتبقى مبهمة الحكم لغيرها من المحتملات إلا ما قام دليل على فساده وبطله ، فينبغى النظر فى ذلك كله ، والله أعلم •

ومن شرح لقومنا فيما أحسب قوله : والكتاب حق أى المثبت فيه طاعات العباد ومعاصيهم يؤتى للمؤمنين بأيمانهم ، والكفار بشمائلهم ووراء ظهورهم حق ، لقوله تعالى : (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) وقوله تعالى : (وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) •

والمصنف سكت عن ذكر الحساب اكتفاء بالكتاب ، أن مستلزم الحساب أنكره المعتزلة زعما منهم أنه عبث ، والجواب ما مر قوله ، والسؤال حق لقوله عم أى صلى الله عليه وسلم : « ان الله يدنى العبد المؤمن فيضع عليه كتفه ويستره ويقول أتعرف ذنب كذا وذنب كذا يقول : نعم ، أى رب حتى قرره بذنوبه ، ورأى فى نفسه أنه قد يهلك فيقول تعالى : سترتها لك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته » •

وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الكاذبين •

قوله : والحوض حق لقوله تعالى : (انا أعطيناك الكوثر) ولقوله صلى الله عليه وسلم : « حوضى مسير شهر زواياه سوى مائة أبيض

من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه أكثر من نجـوم السماء من يشرب منه فلا يظمأ أبدا » والأحاديث كثيره •

قوله : والصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنـم ، أدق من الشعر ، وأحـد من السيف ، يعبره أهل الجنـة ، وتزل به أقـدام أهل النـار ، وأنكره أكثر المعتزلة ، لأنه لا يمكن العبور عليـه ، وان أمكن فهو تعذيب للمؤمنين ؟

الجـــواب :

أن الله تعالى قادر أن يمكن من العبور عليه وييسـهله على المؤمنين حتى ان منهم من يجـوزه كالبرق الخاطف ، ومنهم كالريح الهـابة ، ومنهم كالجواد الى غير ذلك كما ورد الحديث •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهـان فى هذه الأربعة التى ذكـرهـا الكتاب والسؤال والحوض والصراط : فأما الكتاب فلا شك أنه حـق ، ولكن معناه يمكن أنه ليس المراد فى صحيفة جسمية مكتوب فيهـا بشىء من الحروف على ما أنكر المعتزليون أن يكون كذلك ويمكن كونه كذلك ، والقول فى تحقيق معناه محال ، لأنه من الممكن كونه مكتـوبا على المعنى المفهـوم حقيقة ، ويمكن ان حفظ الملائكة لـه هـو المعنى المقصـود من أنه مثبوتا كتـابا ، واذا احتمـل المعنيـان لم يتحقق أحدهما ، ولا يجوز الشـك على أن جميع أعمـاله مكتوبة فى كتاب ، وأن المتقى يعطى اياه بيمينه ، والكافر يعطى اياه بشماله ، كمـا أخبر الله تعالى بذلك ، ولكن يجوز الشك فى معنى الكتاب أهـو على المفهـوم الظاهر أو على المجـاز •

وأما أن الله تعالى يدنى المؤمن الى آخـر كلامه ، فان كان المراد أنه يدنيه بقرب مسـافة ، فلا شـك أن ذلك مما لا يجـوز فى صفته

تعالى ، وكذلك المعنى ان كان يحاسبه ويكلمه بنفســه يسمع كلامه ، فهو من الباطل المستحيل فى صفة الله تعالى •

وقوله : يغفر لــه ذنوبه ، فلا يغفر الكبــائر لقوله تعالى : (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) وان كان المراد أن الحساب يكون على يد الملائكة والسؤال منهم للعباد ، فذلك مما لا شــك أنه حــق •

وأما الحوض فليس مما يلزم اعتقاده أنه حق ، وهو من الممكن كونه أنه حق ، ومن الممكن عدمه ، إذ لا فائدة فيــه ، إذ لو كانت فائدته شرب المؤمنين منه اذا عطشوا فى موقف الحساب ، فكــذلك يحتاجون للأكل وان كان يؤتى لأوليــاء الله من الجنة ما يأكلونه ، فالــذى يأتى لهم بالمأكول يمكنه أن يأتى لهم من المــاء اذا كان المراد من الآية قوله تعالى : (وإذ نادى أصحاب النار أصحاب الجنــة أن أفيضوا علينــا من المــاء) فانــه يتلو المــاء قوله تعالى : (ومما رزقكم الله قالوا : إن الله حرمهما على الكافرين) اذا كان المراد بهــذا النداء فى موقف الحســاب لا فى فى الجنة وهو الأصح فيما أراه ، لأن أهل الجنة بعــد أن يدخلوا الجنــة فلا يســوغ فى العقول السليمة أنهم يرون أهــل النار ، إذ الجنــة عريضة ، فلو فرضنا أن النار قريبة منهــا لم يلــزم قرب كل موضع منهــا ، فان كان الخطــاب لأهل القرب منهــا فلا فائدة لأهــل الجنــة أن تكون النــار قريبــة منهم فيسمعون شهيقها ويرون قبح منظرها ، فالعقل يبعــد ذلك وتقرب أن هذا الخطــاب واقــع فى الموقــف •

ومن قال بوجود الحوض على ما يراه فى عقله أنه حق ، وان قال لا شىء على ما يراه أنه أصح فهو جائز له ، ولا يجــوز له أن يدين بأحــد القولين فى ذلك ، ولا يجــوز أن يلزم نفســه ، ولا يلزم غيره

اعتقـاد كونه لاحقا ، ولا أنه غـير شيء ، لأنه لم يرد فى التنزيل ، ولا قامت الحجة بصحة السنة فى ذلك ، وليس فى ذلك اجمـاع •

وأما صراط الجسر على أنه أحـد من السيف وأدق من الشـعر على متن جهنم ، يعبرونه الخلائق الى الجنة ، فهذا من أنواع اللعـب واللهـو الذى يوصف بـه فى الدنيـا الصبيان أهـل اللعـب والبأس مما ينبغى أن ينزه البارىء سبحانه عن فعل العبث ، وان كان لا يقبح فى فعل الله شىء ولكن جعل الله العقول حجة فى معرفة صفاته اللائقـة فى وصفه بهـا ، والتى لا تليق فقال تعـالى : (وما خلقناهما عبثا) وقال : (وما كنـا لاعبين) فنزه نفسـه عن أفعـال اللعب والعبث ، وهذا ما لا شك فيه فى كل ذى عقـل سليم ، أنـه من فعـل اللعـب والعبث ، وهـذا ما لا شك فيـه فى كل عقـل سليم أنـه من فعـل اللعب والعبث فى العقول •

وقال النبى صلى الله عليـه وسلم : « ما رآه المسلمون حقـا فهو حق وما رأوه باطلا فهـو باطل » أى ما ثبت فى العقـول السليمة المنيرة بنـور المعرفة على التحقيق فهو حق وما رأته أنه باطـل فهو ولا دليل له فى الذكر الحكيم •

والصراط المستقيم الذى ذكره فى كتابه هو طريق عبادته ، سماها صراطا وسراطا وزراطا وسـبيلا ونجـدا ، فقال تعالى : (وهدينـاه النجـدين) أى طريق الطاعة وطريق العصيان ، وقال تعالى : (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سـبيلا وان يروا سبيل الغى يتخـذوه سـبيلا) وقال تعالى : (هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تفـرق بكم السبيل) وهذا الجسر على هذه الصفة ، وليس هو صراط مستقيم ، فهو على خلاف وصف الذكر الحكيم لصفة الصراط ، وما خالف القرآن

العظيم من اختلاف الأمة فهو الباطل على كل حال ، والأصح أن لا فائدة فى بقاء القرآن فينا •

وما الفائدة فى تكليف أهل التقوى المرور على ذلك ، لأن الجنة لا يدخلها كافر ، ولو فتحت جميع أبوابها بين أيديهم وسهلت طرقها ، وما الفائدة فى الذى لا يستطيع أن يمر فيه إلا بمشقة ، فان الله تعالى اذا عفا عنه ذنوبه المعفو عنها فحاشا أن يعذبه بعد ذلك بذلك ولا بغيره ، واذا كان ليمكنهم حتى يسهل العبور بطلت فائدته ، ولم يكن فعل ذلك من صفات الحكيم ، وكان الأولى بفعله أن تكون طريق الجنة لأوليائه على المستحسن فى المتعارف •

وما فائدة تكليف أهل الكفر المرور عليه ، ومن المعلوم أنه من المستحيل فى ظاهر الأمر أن يعبره ، وفى الذكر على أن الزبانية تسوقهم الى النار وبئس القرار ، فان كان المراد بهذا الصراط هو الأعراف بقوله تعالى : (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) أو المراد هو السور الذى ذكره تعالى بقوله تعالى : (وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) فليس فى ذلك دلالة على أن العبور يكون عليه أهل الجنة وأهل النار ، وأنه كذلك صفته لقوله تعالى : (وعلى الأعراف رجال) فلابد لأنه أدق من الشعرة وأن العبور يكون عليه •

وما لم تقم الحجة بالصحة على الشىء يشبه العبث واللعب أن ينزه البارى عن فعله ، وأن يحمل على أنه غير صحيح ، وما قامت الحجة بصحة الشىء وكان فى ظاهر الأمر أنه كأنه يشبه اللعب والعبث وسلم الأمر فيه الى الله ، واعتقد أنه غير عبث ولا لعب ، وانما غيب علمه •

وأما فما لم تقم به الحجة بالصحة فاما أن ينزه البارى تعالى فعله ، واما أن يقال ان أمكن فعله من الله تعـــالى فلا لعب ولا عبث ، والروايات ليست بحجة مع تخالف أهل المذاهب فيهـــا ، ومع مخالفـــة أحكام التنزيل ، وأحكام العقول غالبا وبالله التوفيق •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقـــول فى كل هذا ؟

قال : الله أعلم ، والذى عندى أنى ضعيف عن الخوض فى مثـــل هذا ، ولست من أهل النظر فيه ، والذى أقوله : ان الكتاب المثبت فيه أعمال العبـــاد هو حق بنص القرآن ، والتعبير به عن حفظ الملائكة الكرام خلاف للظاهر بغير دليـــل ، ويأباه قوله تعالى : (ونخـــرج لـــه يوم القيامة كتابا يلقـــاه منشورا • اقرأ كتـــابك كفى بنفسك اليـــوم عليـــك حسيبا) فلو كان معنويا كمـــا ذهب اليه من قاله أو كان من حفظ الملائكة فما معنى اخراجه منشـــورا ، وما وجه قراءته لكتابه ، وما معنى اعطـــاءه إياه بيمين قوم وبشمال آخرين ، فظواهر الآيات كلها دالة على وجدانه كذلك كتابا مرقوما يخـــرج منشـــورا يقـــرءونه سطورا وأى مانع من جواز ذلك عقـــلا أو نقـــلا حتى يعـــدل به عن مفهـــوم القرآن ، وظواهر الآيات الى التأويل البعيد بغـــير دليـــل ، ولا حجة فلينظر فيه •

وكذا لا مانع فى عقل ولا نقـــل من ثبوت الحوض للنبى صلى الله عليه وسلم فانـــه مما أكرمه الله به ، وليس هو المـــراد بالافاضـــة فى آية الأعراف إذ ينادى أصحاب النار أصحاب الجنة •

وقوله فى أهل الجنة لا يسوغ فى العقول السليمة أنهم يرون أهل النار ، اذا الجنـــة عريضـــة قول فى سخافته وركاكة معنـــاه يشـــبه الهذيان ، فأى مانع منـــه وقـــد ثبت فى الدنيـــا مثله قال الله تعالى :

(وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض) فاذا جاز فى حق ابراهيم وهو فى هذه الأرض أن يرى ملكوت السموات فكيف لا يسوغ فى حق أهل الجنة أن يروا أصحاب النار ، وقد ثبت ذلك فى نص القرآن قال الله تعالى : (فاطلع فرآه فى سواء الجحيم) وقد ثبت مخاطباتهم لبعضهم بعض فى قول الله تعالى : (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) الى آخر الآيات ، فمنع كون النداء منهم إذ هؤلاء فى الجنة وهؤلاء فى النار ، لأجل بعد المسافة باطل ، فالقدرة واسعة والفيض عظيم .

وتلك الدار الآخرة محل خرق العوائد ، وظهور الكرامات ، وفيها ما تشتهيه الأنفس ، فلا يستبعد أن يكون فيها ما ليس بمألوف مثله فى هذه الدار ، فان أكثر ما هنالك كذلك ، والله أعلم .

والصراط الحق ، هو الطريق الموصل الى الله تعالى على سبيل الاستقامة فى الدين ، وما يخالفه فهو الباطل ، ولا قائل بأن الصراط هو الأعراف ، ولا السور المضروب بين الجنة والنار ، وما قالوه من ذلك لم يقم به دليل قاطع ، والله أعلم .

هذا وان تحقيق القول فى الكتاب والحساب والصراط والميزان والشفاعة والعلامات التى قبل الساعة من عذاب القبر وغيره ، علم عظيم ، يصعب الخوض فيه ، وكشف وجوهه يستدعى الى بحوث جليلة ومعان بعيدة ، تحتاج الى مصنفات وحدها ، فالتعرض لها فى هذه الكراسة لا جدوى له ، وانما بيين ان شاء الله من قول شيخنا المشار اليه ما لم يظهر لنا وجه لموافقته ، لئلا يغتر به الواقف عليه ، والسائل عنه ، والله أعلم .

* مسـألة :

ومنه : وفي كتب الله روى أن أبا ذر الغفارى قال : يا رسول الله كم كتابا أنزل الله تعالى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « مائة كتـاب وأربعة كتب أنزل الله على شيث خمسين صحيفة ، وعلى أخنوخ وهو إدريس ثلاثـين صحيفة ، وعلى ابراهيم عشر صحائف ، وعلى مـوسى عليـه السـلام قبل التـوراة عشر صحائف ، والتـوراة والانجيـل والزبور والقرآن العظيم » والحق الامساك عن عددها في عدد معين ، لـما مر في عدد الرسل .

قال الشيخ ابن أبى نبهان : حسن ما قاله لفظـا ومعنى ، ومن قال بالعدد معينا له في الرسل والكتب ، وكان في علم الله أكثر أو أقل لم يضره تعيين العدد ، لأنه مؤمن في الأصل بجميع الانبيـاء ، وبجميع الكتب ، فان كان أكثر في الجملة اذ لم يتعين أفراده ، وان كان أكثـر خرج من الجملة لأن ايمانه بالأنبياء لا بمن ليس منهـم ، فلا يوهن ذلك زهده ، ولا شبهة عليه اذ قال بما قيل انه قيل كـذا وكـذا ، ومعلوم أنه من علم الغيب ، والله أعلم . انتهى .

وعن قومنا : ولا يجوز على الأنبياء خلف في القول في وجـه من الوجـــوه .

وقال : وبعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانت على رأس أربعين عاما ، والأغلب في ارسال الرسل بلوغهم الأشد وهو أربعون سنة ، ومن شروط الرسالة أيضا أن يكون النبى أعلم من جميع من يبعث اليهم بأحكام الشريعة التى بعث بها أصلية وفرعية ، ولم يتعـلم موسى من الخضر عليهما السلام حكما شرعيا .

وأما ما يتعلق بأمور الدنيا للصرفة فلا يضرهم عدم اتقان عـلى

طريق ما يتقنه أهلها ، ولا يجوز أن يقال انهم لا يعلمون شيئا من أمور الدنيا ، لأنه بما يوهم البله والغفلة ، وهم منزهون عن ذلك كما مر بيانه ، وقال : وهم معصومون من الكفر قبل النبوة •

وقال : وأما الكبائر غير الكفر أراد غير الشرك ، ومنها اللسانية والجنانية قد أجمع الناس أيضا على امتناع صدورها عنهم ، واختلفوا فى دليل امتناعهما ، فقيل : السمع ، وقيل : العقل •

وأما الصغائر عمدا أى قبل البعث ، فقد جوزها عليهم جماعة من السلف وغيرهم كامام الحرمين منا وكأبى هاشم من المعتزلة واليه ذهب أبو جعفر الطبرى ، وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، ومنعها المحققون من الفقهاء والمتكلمين ، وبه جزم فى النظم فهم معصومون من الصغائر عمدا ، كما أنهم معصومون عن الكبائر •

وقال : قال بعض : هذا بعد البعثة ، وأما قبل أن يبعثوا فقال الجمهور من أصحابنا وجمع من المعتزلة : لا يمتنع أن يصدر منهم غير الكفر أراد غير الشرك ، وقال أكثر المعتزلة : يمتنع الكبيرة ، وان تاب منها لأنها توجب النفرة المانعة عن اتباعهم ، ومنهم من منع كل ما ينفر الطباع من متابعتهم •

وقالت الروافض : لا تجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة ، لا عمدا ولا سهوا ، ولا خطأ فى التأويل ، واختلف فى عصمتهم عن المعاصى قبل النبوة ، فمنعها قوم وجوزوها آخرون ، والأحسن تنزيههم عن كل عيب ، وعصمتهم وكل ما يوجب الريب ، وقوله : وجائز فى حقهم كالأكل وكالجماع ، فيجوز عليهم وطء النساء بالملك مطلقا مسلمات أو كتابيات لا مجوسيات ، خلافا لابن العربى فى تحريمه عليه صلى الله عليه وسلم وطء الأمة الكتابية بالملك •

قلت : وهو قضية تعليلهم منع نكاح الحـرة الكتـابية له ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم أشرف من أن يضـع ماءه فى رحـم كافرة ، أو لأن تكون صاحبته ، وأشـار الناظم الى الاباحة له ، وان ترك ذلك تنزيهـا •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهـان : يحتمـل أن اللـه تعـالى حرم على الخصوص نكاح الكتابية التى على غير دينه ، ويحتمـل أنـه أباح ذلك له ، لأن الآية على العمـومة واباحـة ذلك ليس مما ينقص فى فضله ، ولو كان نقصـان درجات من حيث صحبته مسلم لمشركة لمـا أباحه الله تعالى أو أباحه على وجه خـوف العنت ، كمـا أباح نكاح الأمة بالترويج ، ومن خاف العنت ، والله يفعل ما يشاء ، وما يفعـن إلا وهو الأحمد من الأمور ، لأن له الحمـد فى كل شيء • انتهى •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى هذا ؟

قال : هذا أحسن ، وأحسن منذ تنزيه مقـامه صلى الله عليـه وسلم عن صحبة المشركات مطلقا ، فانه لمـا استصفى لنفسـه بعض الإماء من السبايا ، فامتنعت عن الاسـلام لم يقر بهـا حتى أسلمت ، وقال : ما ينبغى لـه أن يأخـذ مشركة فلا نـدرى ذلك من المحـرم عليـه ، أم مما تركه نزاهة واختيارا وكله محتمل •

وبالجملة فالنبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج كتابية فضلا عن المشركات ، وقد كان له فى الصالحات مقنع وكفاية ، والله أعلم •

ومما قاله قومنا قالوا : فلما شب ابراهيم عليه السلام وهـو فى السرب قال لأمه من ربى ؟ قالت : أنا • قال : فمن ربك ؟ قالت : أبوك • قال : فمن رب أبى ؟ قالت : نمرود • قال : فمـن ربه ؟ قالت لـه :

اسكت ، فسكت ، ثم رجعت الى زوجهـا فقالت : أرأيت الغـلام الذى كنـا نحدث أنه بغير دين أهل الأرض انه ابنك ، ثم أخبرته بما قال ، فأتاه أبوه آزر فقال له ابراهيم : يا أبتـاه من ربى ؟ قال : أمك • قال : فمن رب أمى ؟ قال : أنا • قال : فمن ربك ؟ قال : نمرود • قـال : فمن رب نمرود ؟ فلطمه لطمة وقال له : اسكت •

فلما جن عليـه الليـل ، دنا من باب السرب فنظـر من خـلال الصخرة ، فأبصر كوكبـا قال : هذا ربى ، ويقـال انه قال لأبويه : أخرجانى فأخرجاه من السرب ، فانطلقا به حين غابت الشمس ، فنظر ابراهيم الى الإبل والخيل والغنم فسـأل أباه ما هـذه ؟ فقال : إبل وخيل وغنم ، فقال : ما لهذه بد من أن يكون لها رب وخالق ، ثـم نظر فاذا المشترى قد طلع ، ويقال : الزهـرة ، فكان فى تلك الليـلة فى آخر الشـهر ، فتأخـر طلوع القمر فيهـا ، فرأى الكوكب قبـل القمر ، فذلك قوله عز وجل : (ولـما جن عليه الليل) أى دخـل الليل ، يقال جن الليل وأجن الليل وأجنه الليل ، وأجنه عليه الليل يجن جنونا وجنـانا اذا أظلم وغطى كل شىء ، وجنـون الليـل سواده •

(رأى كوكبـا) قرأ أبو عمرو بفتح الراء وكسر الألف ، وبكسرهما ابن عامر وحمـزة والكسـائى وأبو بكر ، فان اتصـل بكاف أو هـاء فتحهما ابن عامر ، وان كفيهـا ساكن كسر الراء وفتح الهمزة وأبو بكر وفتحهما الآخرون •

(قال هـذا ربى) واختلفوا فى قوله ذلك ، فأجـراه بعضهم على الظاهر ، وقالوا : لو كان ابراهيم عليه السلام مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقـه الله تعـالى ، وآتـاه رشـدا فلم يضره ذلك فى حـال الاستدلال ، وأيضا كان ذلك فى حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه ، فلم يكن كفرا ، وأنكر الآخرون هذا القول ، وقالوا : لا يجـوز أن يـكون

لله رسول يأتى عليه وقت من الأوقات إلا وهو موحد ، وبه عـارف ، ومن كل معبود سواه برىء ، وكيف يتوهم هذا على من عصمه اللـه وطهره وآتاه رشـده من قبل ، وأخبره عنـه وقال : (إذ جـاء ربـه بقلب سـليم) •

وقال : (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض) أفتراه أراه الملكوت ليوقن ، فلما أيقن رأى كوكبا قال هذا ربى ، معتقـدا ، فقال : هذا لا يكون أبدا . ثم قالوا فيه أربعة أوجـه من التأويل :

الوجه الأول : أن ابراهيم أراد أن يستدرج القوم بهذا القـول ، ويعرفهم خطأهم وجهلهم ، فى تعظيم ما عظموه ، وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ، ويرون أن الأمور كلهـا إليها ، فأراهم أنه معظم ما عظموه وملتمس الهـدى من حيث ما التمسـوه ، فلما أفـل أراهـم النقص الداخل على النجوم ليثبت خطـأ ما يدعـون ، مثل هذا مثل الحوارى الذى ورد على قوم يعبدون الصنم ، فأظهر تعظيمه فأكرموه حتى صدروا فى كثير من الأمور على رأيه الى أن دهمهم عدوّ ، وشاوروه فى أمـره فقال : الرأى أن ندعـوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد أظلنـا ، فاجتمعوا حوله يتضرعون ، فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يرفع دعاهم الى أن يدعـو الله فدعـوه ، فصـرف عنهـم ما كانـوا يحـذرون فأسلموا •

والوجه الثانى من التأويل : أنه قال على وجه الاستفهام : تقديره أهذا ربى كقوله تعالى : (أفإن مت فهم الخالدون) وذكره على وجـه التوبيخ منكرا لفعلهم ، يعنى ومثل هذا يكون ربا ، ليس هذا ربى •

والوجـه الثالث : أنه ذكره على وجـه الاحتجاج عليهم ، يقول : هذا ربى مزعمكم ، فلمـا غاب قال : لو كان إلها لمـا غاب كما قال : (ذق انك أنت العزيز الكريم) أى عند نفسك وزعمـك ، وكمـا أخبر

عن موسى أنه قال : (وانظر الى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا) •

والوجه الرابع : فيه اضمار وتقديره يقولون : هذا ربى قوله تعالى : (واذ رفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا) (فلما أفل قال : لا أحب الآفلين) ربا لا يدوم •

(فلما رأى القمر بازغا) طالعا قال : (هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى) قيل لئن لم يثبتنى ربى على الهدى ليس أنه لم يكن مهتديا ، والأنبياء لم يزالوا يسألون الله الثبات على الإيمان ، وكان ابراهيم عليه السلام يقول : (واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام) (لأكونن من القوم الضالين) أى عن الهدى •

(فلما رأى الشمس بازغة) طالعة قال : (هذا ربى هذا أكبر) أى أكبر من الكواكب والقمر ، ولم يقل هذه مع أن الشمس مؤنثة ، لأنه أراد هذا الطالع أورده الى المعنى ، وهو الضياء والنور ، لأنه رآه أضوأ من النجوم والقمر ، (فلما أفلت) غربت (قال يا قوم انى برىء مما تشركون • انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى هذا ؟

قال : قد مضى من القول فى هذا ما يستدل به وكفى ، ومن العجب أن يكون الله تعالى قد حكى فى كتابه العزيز من قصص الصبيان وحكاياتهم فى حال الطفولية ، ثم أعجب منه أن لا يبين ذلك ان كان من ابراهيم ، إذ كان طفلا فى سربه قبل معرفته بربه ، ثم يثنى عليه بذلك ويقول : (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) أليس فى هذا ما دل على أن قولة القائلين بهذا فى محل البعد العظيم عن إصابة مفصل الصواب ، بل الحق الواضح الذى لا شك فيه أن ذلك كان من ابراهيم عليه

السلام فى مقام الجدال لقومه بايضاح الحق لهم ، واظهار ما عليه من الباطل فى اعتقادهم النفع والضرر من النجوم والتأله لها بالعبادة من دون الله تعالى ، فجرى معهم فى ذلك على أبلغ أسلوب ، وأحكم طريقة وأوضح مثال •

وانما ألهمه الله تعالى ذلك ليكون حجة عليهم ، ولهذا قال : (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) ثم وصفه برفع درجته عنده ، وعلو مقامه معه ، فقال : (نرفع درجات من نشاء إن ربك عليم حكيم) ، وإذ كانت هذه هى حجة الله بلسان ابراهيم ، فتمحل الوجوه لها طلبا للمخرج لقائلها لئلا يلزمه الشرك بما قاله ، والاعتداد له بالوجوه البعيدة عناء محض ، وهذيان بحت . فان نفس الإذن به من الله تعالى كاف عن طلب المعاذير له ، كيف والحق أنه كلام محكم جائز صحيح ، ولو لم يثبت النص به ، فان ايراده على تلك الطريقة فى غاية الحسن ، ونهاية الأحكام والإتقان ، ومن أمثال هذا الباب ، قصة الجوارى المذكورة هنا ، وهى فى غاية الحسن ، وبهذا القدر من القول كفاية فى هذا المحل ، والله أعلم •

وعن قومنا : قال الشيخ النسفى : ولله تعالى كتب أنزلت على الأنبياء ، وبين فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده من الشرح ، وكلها كلام الله تعالى •

قال الشيخ : والمعراج للرسول عليه الصلاة والسلام فى اليقظة لشخصه الى السماء ، ثم الى ما شاء الله من العلى حق من الشرح ، أى ثابت بالخبر المشهور ، حتى أن منكره يكون مبتدعا وانكاره وادعاء استحالته انما يبتنى على أصول الفلاسفة ، وإلا فالخرق والالتئام على السموات جائز ، والأجسام متماثلة يصح على ما يصلح للآخر . والله تعالى قادر على الممكنات كلها •

وقوله : فى اليقظة اشارة الى الرد على من زعـم أن المعراج كان فى المنام على ما روى عن معاوية أنه سأل عن المعراج ، فقال : كانت رؤيا صالحة ، وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما فقـد جسد نبينـا محمد ليلة المعراج •

وقد قال الله تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التى أرينـاك إلا فتنة للناس) وأجيب بأن المـراد من الرؤية روية العين ، والمعنى ما فقـد جسده عن الروح ، بل كان مع روحه ، وكان المعراج للجسد والروح معـا •

وقوله : لشخصه اشارة الى الرد على من زعم أنـه كان للروح ، ولا يخفى أن المعراج فى المنام أو الروح ليس مما ينكر كل الانكار ، والكفرة أنكروا أمر المعراج غاية الانكار ، بل كثير من المسـلمين قـد ارتدوا بسبب ذلك •

قوله : الى السماء اشارة الى الرد الى من زعـم أن المعراج فى اليقظة لم يكن إلا البيت المقدس ، كما نطق به الكتاب •

قوله : الى ما شاء الله من العلى اشـارة الى اختـلاف أقـوال السـلف ، فقيل : الى الجنـة ، وقيل : الى العرش ، وقيل : فـوق العرش ، وقيل : الى طرف العـالم فالاسراء من المسجد الحـرام الى بيت المقدس قطعى ثبت بالكاتب ، والمعـراج من الأرض الى السـماء مشهود ، ومن السماء الى الجنة أو العرش أو غـير ذلك آحـاد ، ثم اتضح أنه عليه الصلاة والسلام انما رآى ربه بفؤاده لا بعينه ، وقال اللقانى فى شرحه لأرجوزته ، وجـزم أنـه من أنكر المعـراج حـكم بتبديعه وتفسيقه ، وهو صواب فى خصوص المعـراج •

قال الشيخ ناصر بن نبهان : ان خبر الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس ، قد نطق به التنزيل ، فلا يجوز الشك فيه بعد الحجة بصحبته على من قامت عليه الحجة بمعرفته ، وهو من قسم ما لا تقوم به الحجة إلا بالسماع ، كما سيأتى بيان هذا القسم فى محله من بيان الأحكام الشرعية ان شاء الله تعالى •

وأما خبر وقوع معراج النبى صلى الله عليه وسلم برؤية عقله فى اليقظة فممكن ، والأصح وقوعه لقوله تعالى : (ولقد رآه) أى جبرائيل عليه السلام (نزلة أخرى • عند سدرة المنتهى • عندها جنة المأوى • إذ يغشى السدرة ما يغشى • ما زاغ البصر وما طغى) (أفتمارونه على ما يرى) •

وقد جاء ان من تلا ليلا ونهارا لا ينام إلا عن غلبة ، ولا يأكل إلا قليلا ، ولا يفتر عن الذكر ، ولا يذكر ذكرا غيره إلا ما لابد منه ، ولا يلتفت قلبه بذكر غيره ، ويكون بعيدا عن الناس ، ولا يأكل من ذى روح ، ولا ما خرج من ذى روح ، ولا يقارب النساء ولا الصبيان كذلك بقلبه إن استطاع لا بلسانه ، وإن استطاع بحضور العقل لا غير ، كان أبلغ وباللسان وجه يصح إلا أنه أضعف من الوجهين اسم الذات الذى لا يتوجه مطلوبه ، أى الاسم الى الذات أربعين يوما •

ففى السبع الأولى يرى كلما أخذته سنة أو أخذه نوم بين اليقظة والمنام عجائب الأرض •

وفى السبع الثانية عجائب السموات ، وفى كل سبع يرى أعلى من التى قبلها ، ثم يتم الأربعين يوما أعطاه التصريف بالاسم الأعظم •

ولكن الحجاب الأكبر عن بلوغه كثرة الالتفات القلبى الى ذكـر غيره ، فان رأى نفسه لا تستطيع قطع ذلك ، فهو يدل على أنه ليس من أهل اليسر ، وان وجد نفسه فيها جمع همه لمراده قليل الالتفات القلبى الى ذكر غيره فعسى أن يكون من اهله بالاجتهاد فى ذلك ، وقد دل والدى أبو نبهان رجلا فاستعمل ذلك •

ففى السبع الأولى كلما أخذته سنة أو أخذه نوم كان مضطجعا أو قاعدا رأى كأنه يدور فى أقطار الأرض •

وفى السبع الثانية رأى كأنه يطير فى الهوى •

وفى السبع الأخرى كأنه يدور فى السموات ، ويرى الملائكة فى نومه فى السموات •

وفى الأربعين جاوز السموات ورأى مكانا ليس فيه إلا ملك قاعد على كرسى فقال له : من علمك هذا ؟ فأخبره بالذى علمه إياه ، فقال له : أنا صاحب هذا الاسم الموكل بأسراره ، ولكنك قصرت فى سلوكك •

ومن رام سره والتصريف به ، فلابد من السلوك اليه بشروطه ، فارجع الى معلمك فى ذلك ، فرجع الى والدى رحمه الله ، فوجده لم يعمل بشروطه التى ذكرناها ، وأظن أنه علمه شروطه مات قبل شروعه الى استئناف العمل ، وبهذا الاسم يكشفون ما يريدون كشفه المتصوفون •

وقيل : ان قول النبى صلى الله عليه وسلم : « من أخلص لله أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة على قلبه » أراد بذلك الى هذا

المعنى الذى ذكرنا به عن الصوفيين ، ومن أراد بـــه ذلك فلا يحتــاج الى قطع أكل كل ذى روح ، وما خرج من ذى روح ، ولا ترك النكاح ، وانما عليـــه ما بقى من الشروط •

واذا كان هكذا فى حق غــير نبى فكيف بالأنبيــاء ، وكيف بالنبى الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم ، وقلبه لا يغفل عن ذكر الله ليــلا ولا نهــارا فى يقظــة ولا منــام طرفة عين ، لقــوله صلى الله عليـــه وســلم : « تنام عيناى ولا ينام قلبى » •

وأما معراج النبى صلى الله عليه وسلم الى السموات بجســده وبروحه التى بها حيــاة ، وبعقله مفارقــا للجســد فلا يصح ، لأنــه بمفارقة الروح الجســد يصير الجسد ميتا ، وبمفارقة العقــل الجسد يصير مغميا عليـــه كالميت •

وأما معراجه بجسده وروحه معا الى السماء أو الى ما هــو أعلى فلم يأت صريح التنزيل بذلك ، ولا قامت الحجــة بصحيح الســنة ، ولا يصح فيه الاجمــاع الذى لا يجوز خلافه إلا ما بصحة تنزيــل لعله تأويل أو بصحة سنة ، والصحيح لا يحتمل الوجهين : الوقوع وعدم الوقوع ، وهــو من الممكن كونه وعــدمه ، والله تعــالى قــدير على ما فعل كل ممكن ، فعلى هذا فلا يلزم اعتقاد كون وقوعـــه أنه واقع ، ولا أنه غير واقع •

ومن صور له عقله أنه واقع فقال : انه صحيح فجائز لـــه ما لم يدن بذلك ، وما لم يخطىء أحدا بخلافه ، ومن دان بـذلك أو فســق من قال بخلافه فلا شــك أنه هالك آثم ظالم فاسق •

وكذلك من رأى فى عقله أنه غير صحيح فقال : انه يراه فى نفسـه

غير صحيح فجائز له ما لم يدن بذلك ، وما لم يخطىء أحـدا بخلافه ، ومن دان بذلك أو فسـق من قال بخلافه فلا شـك أنه هالك آثم ظالم فاسـق •

وكذلك من رأى فى عقله أنه غير صحيح فقال انه يراه فى نفسـه غير صحيح ، جائز له ما لـم يدن بذلك أو يخطىء من قال بخـلافه فى دينـه •

ومما يستحسن أن لا يقطع أنه غير صحيح ، فان قطع كذلك لفظا وفى نفسـه يريد أنه يرى كذلك ، وان لم تحضره نباهة لم يكن اثما اذا كان فى أصل عقيدته أن القطع بعلم الغيب على التحقيق لا يجـوز ، وان لم ينته الى هذا كله فلا بأس عليـه •

وفيما يدل عليه كلام عائشة رضى الله عنها على أنه لم يعـرج بجسده ، وان حاول هذا الشـارح له تفسـيرا غير هـذا فالاصح ان تفسيره غير ما فسره هـو وانما استجلب لـه معانى ليكون على وفـق مذهبه ، ولو كان مذهبه غير التقليد لرأى أن الحق فى تفسيره ، كمـا ذكـرناه فنفسى تميل الى أنه لم يسر بجسـده ، وان جميع ما ذكروه فيه من رؤية فى السموات الأنبيـاء •

وذكر تخفيف الصلوات وتردده على الله غير صحيح ، والله تعالى أسرى بجسده وروحه من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، وأنزل فى كرامته له هـذه تنزيلا فى ذكرها لتؤمن بها فيـه ، فكيف لا يذكـر البارى تعريجه فى الأرض الى السموات ، أو الى أعلى من السـموات فى تنزيله ، ولو كان صحيحا لأنزل ذكر ذلك البارى فى تنزيله ، وجهـل علم وقوع المعراج مما يسـع ، فليس هـو من العقـائد الدينيـة ، والله أعـلم • انتهى •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول ؟

قال : ان قول شيخنا الفقيه فى هذه المسألة العظيمة هو الحق الذى لا يأباه منصف ، ولا يتجاوزه إلا متعسف ، فهو القول الصحيح ، والحق الصريح ، والله أعلم .

ومما عن قومنا : وأول الأنبياء آدم ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم . فأما نبوة آدم عليه السلام فبالكتاب الدال على أنه أمر ونهى مع القطع بأنه لم يكن فى زمنه نبى آخر ، فهو بالوحى لا غير . وكذا السنة والاجماع ، فانكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا .

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : اختلف العلماء فى آدم أنه نبى أو انه ولى ، والشك مع الاختلاف لا يكون كفرا اذ لم يصح ثبوته نصا فى القرآن ، ولاقامت الحجة بالصحة أنه نبى من السنة ، ولا صح فيه اجماع وأبلغ منجزة ، وأبقى معجزة النبى صلى الله عليه وسلم وهو القرآن العظيم ، إذ معجزة كل نبى لم يبق وجودها بعد موته ، ولا معجزة القرآن ومعجزة كل نبى يوجدها شبيه فى العلم ، أو السحر ، وان كانت الآية التى هى المعجزة أبلغ من الشبه ولكن يمكن المنكرون أن يقولوا هذا سحر عظيم وأما تركيب نظم القرآن بحيث صار معجزا ، فلا يمكن المنكرون أن يقولوا إن السحر يمكن أن يكون منه ، هكذا وبالحق أن جميع معجزات الأنبياء لا يشبهها شىء فى العلم ولا فى السحر ، بل هى خارقة لعادة ما يظهر فى العلم أو السحر من خوارق العادات ، فالمعجزة خارقة العادات الخارقة للعادات ، فافهم ذلك . رجع .

فان قيل ورد فى الحديث نزول عيسى عليه السلام بعده •

قلنا له : نعم ، ولكن يتابع الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن شريعته قد نسخت ولا يكون اليه وحى ، ونصب أحكام بل يكون خليفة رسول الله عليهما الصلاة والسلام ، ثم انه لا يصح أنه يصلى بالناس ويؤمهم ويقتدى به المهتدى لأنه أفضل فامامته أولى •

قال الشيخ ناصر بن جاعد : والحق فى ذلك معى أن نزول عيسى عليه السلام ، وخروج المهدى المنتظر كل هذا غير صحيح ، وليس له فى الكتاب ولا فى السنة ، ولا فى دليل العقل من دليل صريح ، ولا من دليل تأويلى ، وما الفائدة فى بعث عيسى عليه السلام والمهدى ، وما الفائدة فى بعثهما معا ، فان شريعة النبى صلى الله عليه وسلم قائم ضياؤها ، واضح برهانها •

فان كان لأجل التفرقة بين الحق والباطل من افتراق الأمة ، فان كل الحق لا يمكن معرفته إلا بهما ، فكيف يترك أمة النبى صلى الله عليه وسلم على ضلالهم عند افتراق الصحابة الى خروج عيسى والمهدى ، وكثير من عباد الله يريد أن يعبد الله تعالى بدينه الحق ، فيتركه الله بضلاله ، وصار لا فائدة لبعث النبى صلى الله عليه وسلم إلا لنفسه ولأصحابه الذين ماتوا قبل وقوع الأحداث الواقعة بينهم ، وان كان الحق معروفا بدون عيسى والمهدى ، فما فائدة بعثهما فأينما توجهت فى البحث تجد هذا غير صحيح ، والله أعلم • رجع الى قولهم •

وقد روى بيان عددهم فى بعض الأحاديث ، والأولى أن لا يقتصر على عدد فى التسمية ، وقد قال الله تعالى : (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) ولا نؤمن فى ذكر العدد أن يدخل فيهم من ليس منهم ، أو يخرج منهم من هو منهم ، وكلهم كاف مخبرين مبلغين عن الله عز وجل •

وأفضل الأنبيـــاء النبى صلى الله عليه وسلم ، والملائكة عباد الله العاملون بأمره ، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة من الشرح .

فان قيـــل : أليس قـد كفر ابليس وكان من الملائكة بدليـــل صحة استثنائه منهم ؟

قلنا : لا بل كان من الجن ففســق عن أمر ربه ، لكنــه لمــا كان صفة الملائكة فى باب العبادة والرفعة ، صح استثناؤه منهم تغليبا .

وأما هاروت وماروت هلا صح أنهما ملكان لم يصــدر عنهما كفــر ولا كبيرة ، وتعذيبهما انما هو على وجه المعاتبة كما يعاتب الله الأنبياء عليهم الســلام على الزلة والسهو ، وكانــا يعظــان النــاس ويعلمان السحر ويقولان : انما نحن فتنــة فلا تكفر ، ولا كفر فى تعليم السحر ، بل فى اعتقاده والعمل به ؟

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهـــان : وردت القراءتان جميعا قــوله تعالى : (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت) بكسر اللام على أنهمــا من ملوك الانس ، وبفتح اللام على أنهمــا من الملائكة ، ولا يصــح الحق أن يكونا إما من الملائكة ، أو من ملوك الانس ، فلا سبيل الى تحقيق الحــق على هذا ، أو على هذه الصفة أن لو صح أنه كذلك لــم تجر الصـــلاة بهــذه الآية على هذه الصفة ، خــوفا أن تــكون على خلاف الحق ، وهذا لابد منه على كل حال اذا كان على هذا التأويــل ، ولا شك أن هذا باطــل لقــوله تعالى : (لوجــدوا فيــه اختــلافا كثيرا) .

ولا نعلم أن أحدا حرم الصلاة بآية لثبوت شك فيهــا ، فلما بطل هذا التأويل صح أنهما ملكان فى النسب بكسر اللام همــا ملوك بابل ،

وأنهما ملكان بفتح اللام باتصافهما بصفات الملائكة فى أفعالهما بالأسرار الروحانية كأفعال الملائكة ، أو يفعلون بالأسرار بتسخير الله الروحانيـة لهم ، ولحسن أخلاقهم وأفعالهم الخـارقة كفى بتسميتهم من الملائكة إخبـارا من الله عنهم فى صـلاح أحوالهم ، وتسخير الروحانية لهم ، ويعلمون بالناس العلم والسحر فتنة من الله لقومهما ليطيعوا الله تعالى أو ليعصوه •

وبهذا التأويل لا يمكن الغلط بأى القراءتين قرأهما القـارىء كان مصيبا ، والدليـل أنهما من البشر قوله تعالى : (ما أنزل على الملكين) فلو كانا من الملائكة لقـال وما أنـزل به الملكان ، وقـال تعـالى : (ولو جعلنـاه ملكا لجعلنـاه رجـلا وللبسنا عليهـم ما يلبسـون) وقال تعالى : (ولو كان فى الأرض ملائكة يمشـون مطمئنين لنزلنـا عليهم من السماء ملكا رسـولا) فكلمة لو تـدل على أنـه لم يكن فى الأرض ذلك ، إذ لو قـد كان لم يكن هنـالك حرف لو ، فصح أن الحـق ما قلنـا •

وحرام وفسق ومعصية من وصفهما أنهما عصيا الله تعالى ، وقد أثنى الله عليهما فى كتابه ، ومدحهمـا على أفعالهما ، فان كان من قوله تعالى : (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحـد حتى يقولا انمـا نحـن فتنـة فلا تكفر) فصـح أنهمـا ينهيـان عن الكفر ، وانمـا أنزل عليهمـا السحر والعلم الحق ، ويعلمون الناس السـحر باذن الله ، ويعلمانهم الحق فيتبعون السحر وهو الباطل الذى حـرماه عليهـم ، ولا يريدون العلم الحق ، وما فعلا ذلك إلا باذن الله وأمره تعالى عليهما لازما فتنة للنـاس ، ليعلم الله من يطيعه ومن يعصيه •

كما ابتلى أصحاب السبت بتحريم الصيد عليهم يوم السبت فتنة ، ليعلم الله من يطيعه ومن يعصيه ، وهكذا جميع التعبد انما هو فتنة من جميع أحكام دين الله ، من واجب ومحرم ومندوب ، ووسيلة ومكون ومباح ، من صلاة أو صوم أو زكاة أو حج الى جميع الأحكام الشرعية ، انما هى فتنة للعباد •

والمعنى المراد بالفتنة الاستخبار ليعلم الله من يطيعه فى ذلك ومن يعصيه ، والله تعالى عليم بهم من غير أن يفتنهم ، أى يستخبرهم بذلك ، ولكن أراد فى كل امرىء أن يعلم نفسه بنفسه فيجازيه على عمله بفعله ، فلم يكن تعليم السحر الناس من هاروت وماروت هو الفتنة لا غير ، وليس المعنى هنا من الفتنة مثل معنى قوله تعالى : (والفتنة أشد من القتل) أى فتنة العالم الذى ليضل بمذهبه الباطل أمة الى يوم الحشر •

بل المعنى هنا بالفتنة الافتتان قال تعالى : (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) وقال تعالى : (انما أموالكم وأولادكم فتنة) •

والقول أنهما ملكان معذبان على زلة فعلاها باطل لا يجوز بصريح التنزيل على الثناء عليهما ، وبما ذكرناه من قوله تعالى : (ولو جعلناه ملكا) وقوله : (ولو جعلنا فى الأرض ملائكة) فاعرف ذلك ، وبالله التوفيق • انتهى •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى هذا ؟

قال : فالذى عندى أن هذا كله حسن جائز من قول شيخنا جزاه الله خيرا ، والله أعلم ، إلا أنه ينبغى النظر فى قوله : إنه اذا ثبت

القول بالوجهين فلابد من دخول الشك فى معنى الآية الشريفة ، وحينئذ لا تجوز الصلاة بها ، وهذا لا يلزم ، ولو قدرنا أنهما ملكان من الملائكة كانا ملكين فى بابل من الملوك أو أنهما ملكان بالكسر من الانس كانا ملكين بالفتح لما يعمل ان عمل الملائكة مدحة لهما ، وثناء عليهما ، وتخصيصها لهما بما يعملان بذلك العلم من الأحوال الخارقة والأعمال التى لا تتأتى للبشر لكان الوجهان صحيحين ، ولم يكن فى ذلك اختلاف معنى ولا لبس ولا اعتراء شك يوجب القدح فى معنى الآية والشك فيها ، حتى لا تجوز الصلاة بها ، فهذا ما لا وجه له البتة فيما عندى •

وأما توجيه الشيخ فى تأويل هذه الآية الشريفة ، فهو من قوله : حسن فيما عندى ، والله أعلم •

وعن قومنا أيضا فى تأويل قوله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها) وذلك أن المشركين قالوا : ان محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلاف ما يقوله إلا من تلقاء نفسه ، يقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا كما أخبر الله : (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر) وأنزل : (ما ننسخ من آية أو ننسها) فبين وجه الحكمة فى النسخ بهذه اللغة •

والنسخ فى اللغة شيئان : أحدهما بمعنى النقل والتحول ، ومنه نسخ الكتاب ، وهو أن يحول من كتاب الى كتاب ، فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخا ، لأنه نسخ من اللوح المحفوظ ، والثانى يكون بمعنى الرفع ، يقال نسخت الشمس الظل ذهبت به وأبطلته ، فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخا وبعضه منسوخا وهو المراد من الآية ، وهذا على وجوه أحدها أن يثبت الخط وينسخ الحكم مثل آية الوصية للأقارب وآية عدة الوفاة بالحول ، وآية التخفيف فى القتال ، وآية الممتحنة وغيرها •

وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : (ما ننسخ من آية) ما نثبت خطها ونبدل حكمها ، ومنها أن نرفع تلاوتها ، ويبقى حكمها مثل آية الرجم ، ومنها أن يرفع أصلا عن المصحف ، وعن القلوب كما روى عن أبى أمامة ابن سهل بن حنيف أن قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرءوا سورة ، فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، فغدوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها » .

وقيل كانت سورة الأحزاب ، مثل سورة البقرة ، فرفع أكثرها تلاوة وحكما ، ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس إلى الكعبة ، والوصية للأقارب نسخت بالميراث ، وعدة الوفاة نسخت بالحول الى أربعة أشهر ومصابرة الواحد العشرة فى القتال نسخت بمصابرة الاثنين .

ومنها ما يرفع ولا يقام غيره مقامه كامتحان النساء ، والنسخ انما يعترض على الأوامر والنواهى دون الأخبار ، أما معنى الآية قوله : (وما ننسخ من آية) قراءة العامة بفتح النون والسين من النسخ أى نرفعها، وقرأ ابن عامر بضم النون وكسر السين من الانساخ ، وله وجهان أحدهما نجعله فى المنسوخ ، والثانى نجعله فى المنسوخ نسخة لك ، يقال نسخت الكتاب أى كتبته وأنسخته غيرى اذا جعلته نسخة له ، أو ننسخها عن قلبك .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : نتركها لانسخها أراد ننسها ، قال الله تعالى : (نسوا الله فنسيهم) أى تركوه فتركهم ، وقيل ننسها أى نأمر بتركها ، يقال نسيت الشىء اذا أمرت بتركه ، فكون النسخ الأول من رفع الحكم ، واقامة غيره مقامه ، والانساء يكون نسخا من اقامة غيره مقامه ، وقرأ ابن كثير وابن عمرو : ننساها

بفتح النون الأول والسين مهموزا أى نؤخـرها فلا نبدلها ، يقـال : نسأ الله فى أجـله ، وأنسأ الله أجله ، ففى معنـاه قولان :

القول الأول : نرفع تلاوتهـا أو نؤخـر حكمها كمـا فعل فى آية الرجم ، فعلى هذا يكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم •

والقول الثانى : قاله سعيد بن المسيب وعطاء أما (ما ننسخ من آية) فهو ما قد نزل من القرآن جعلاه من النسخة (أو ننسـاها) ، أى نؤخرها ونتركها فى اللوح المحفوظ ، فلا نترك (نأت بخير منهـا) أى بما أنفع لكم وأسهل عليكم ، وأكثر لأجلكم لأن الآية خير من آية ، لأن كلام الله واحـد ، وكله خيرا ، أو مثلهـا فى المنفعة والثواب •

فكل ما نسخ الى الأيسر فهو أسهل فى العمـل ، وما نسـخ الى الأشق فهو فى الثـواب أكثر ، ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير من النسـخ والتبديل ، لفظـه استفهام ، ومعناه تقـرير ، أى انك تعلم • انتهى •

قلت لشيخى الخيلى : ما تقـول فى هذا ؟

قال : أقول انه كلام حسن ، ولم يبن لى فى شىء منـه ما يخـرج به عن الصـواب ، والله أعلم •

وعن قومنا أيضـا فى تأويل قوله تعالى : (يمحوا الله ما يشـاء) من الفرائض (ويثبت) قرأ ابن كثير وعمرو وعاصم ويعقوب ، ويثبت بالتخفيف وقرأ آخرون بالتشديد ، واختلفوا فى معنى الآية :

فقال سعيد بن جبير ، وقتاده : يمحوا الله ما يشـاء من الشرائع

والفرائض فينسخه ويبدله ، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه ولا يبدله •

وقال ابن عباس : يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة ، ورويناه عن حذيفة بن أسيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : « يدخل الملكان على النطفة بعد ما تستقر فى الرحم بأربعين أو بخمسة وأربعين يوما فيقولان : يارب أشقى أم سعيد فيكتبان . فيقولان : أى رب أذكر أم أنثى ، فيكتبان ، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ، ثم تطوى الصحف . فلا يزاد فيها ولا ينقص •

وعن عمرو وابن مسعود أنهما : يمحوا الله السعادة والشقاوة ، ويمحوا الله الرزق والأجل ، ويثبت ما يشاء •

روى عن عمرو أنه كان يطوف البيت وهو يبكى ويقول : اللهم ان كنت كتبتنى فى أهل السعادة فأثبتنى فيها ، وان كنت كتبتنى على الشقوة فامحنى وأثبتنى فى أهل السعادة والمغفرة ، فانك تمحوا ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، ومثله عن ابن مسعود •

وفى بعض الآثار أن الرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثون سنة ، فيقطع رحمه فيرد الى ثلاثة أيام ، ويكون الرجل قد بقى من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيرد الى ثلاثين سنة ، أخبرنا عبد الواحد المليحى ، ثنا أبو منصور السمعانى ، ثنا أبو جعفر الربانى ، ثنا حميد بن زنجويه ، ثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى الليث بن سعد ، حدثنى زياد بن محمد الأنصارى ، عن محمد بن كعب القرضى ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبى الدرداء أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينزل الله عز وجل فى آخر ثلاث ساعات بيقين من الليل فينظر فى الساعة الأولى منهن فى أم الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره ، فيمحو ما يشاء ويثبت » •

وقال : معنى الآيـة أن الحفظـة يكتبون جميع أعمـال بنى آدم وأقواله ، فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيـه ثواب ولا عقاب ، مثل قوله : أكلت شربت دخلت خرجت ونحوها من كلام هو صـادق فيه ، ويثبت ما فيه ثواب وعقـاب هـذا قول الضحاك والكلبى . وقال الكلبى : يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طـرح منه كل شىء ليس فيه ثواب ولا عقاب .

وقال عطية عن ابن عباس : هو الرجل يعمل بطاعة الله عز وجل ، ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله ، فهـو الذى يمحـو ، والذى يثبت : الرجل يعمل بطاعة الله فيموت وهو فى طاعـة الله عز وجـل ، فهو الذى يثبت .

وقال الحسن : يمحو ما يشـاء أى من جـاء أجله يذهب بـه ، ويثبت من لم يجىء أجله الى أجله ، وهو سعيد بن جبير قال : يمحو الله ما يشـاء من ذنوب العبـاد فيغفرها ، وقال عكرمة : يمحو الله ما يشـاء من الذنوب بالتوبة ، ويثبت بدل الذنوب حسنات ، كما قال الله عز وجل : (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) وقال السـدى : يمحـو الله ما يشـاء يعنى القمـر ، ويثبت ما يشـاء يعنى الشمس بيانه قوله تعالى : (فمحونا آية الليـل وجعلنا آية النهار مبصرة) .

وقال الربيع : هذا فى أرواح يقبضها الله عند النـوم ، فمن أراد موته محاه فأمسكه ، ومن أراد بقاءه أثبته ورده الى صاحبه ، بيـانه قوله عز وجـل : (الله يتوفى الأنفس حين موتهـا) الآية .

(وعنده أم الكتاب) أى أصـل الكتاب ، وهـو اللوح المحفوظ الذى لا يبدل ولا يؤخـر ولا يغير .

قال عكرمة : عن ابن عباس رضى الله عنهما : هما كتابان كتـاب

سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت وأم الكتاب الذى لا يغير منه شيء . وعن عطاء بن عباس قال : ان لله تعالى لوحا محفوظا مسيره خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوت ، لله فيه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة ، يمحو الله ما يشاء وعنده أم الكتاب .

وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب قال : علم الله ، ما هو خالق وما خلقه عاملون . انتهى .

وعن قومنا أيضا فى تأويل قوله تعالى : (يدبر الأمر من السماء الى الأرض) أى يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر من السماء الى الأرض ، وقيل ينزل الوحى مع جبريل من السماء الى الأرض (ثم يعرج اليه) يصعد اليه جبريل بالأمر فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، أى فى يوم واحد من أيام الدنيا وقدر مسيره ألف سنة خمسمائة نزوله وخمسمائة صعوده ، لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام يقول : لو سار أحد من بنى آدم لم يقطعه إلا فى ألف سنة ، والملائكة يقطعونه فى يوم واحد ، هذا وصف عروج الملك من الأرض الى السماء .

وأما قوله : (تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) أراد مقدار المسافة من الأرض الى سدرة المنتهى التى هى مقام جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين سنة فى يوم واحد من أيام الدنيا ، هذا كله معنى قول مجاهد والضحاك ، وقوله : (اليه) الى الله ، وقيل هذا التأويل الى مكان الملك الذى أمره الله عز وجل أن يعرج اليه .

وقال بعضهم : ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها فى القيامة يكون على بعضهم أطول ، وعلى بعضهم أقصر ، معنا يدبر الأمر من السماء

الى الأرض مدة أيام الدنيا يعرج أى يرجع الأمر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا ، وانقطاع الأمر وحكم الحكام فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة •

وأما قوله : (خمسين ألف سنة) فانه أراد الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة ، وعلى المؤمنين دون ذلك • حتى جاء فى الحديث : « أنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا » قال ابراهيم التميمى : لا يكون على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر ، ويجوز أن يكون اخبار من شدته وهو له ومشقته •

وقال ابن أبى مليكة : دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان ابن عفان على ابن عباس ، فسأله ابن فيروز عن هذه الآية ، وهى من قوله خمسين ألف سنة ، فقال له ابن عباس : أيام سماها الله تعالى لا أدرى ما هى ، وأكره أن أقول فى كتاب الله ما لا أعلم • انتهى •

قال شيخنا الخليلى رحمة الله عليه : الله أعلم ، وأقول فى هذه وما قبلها بما قاله ابن عباس هنا جزاه الله خيرا ، والله أعلم •

وعن بعض قومنا : وأخباره تعالى لا تتعلق بالزمان ، والمتعلق به المخير عنه ، والتغير عليه لا على الأخبار كما فى الأخبار وفى السنة الى الأزل ، لا يتصرف بشىء من الأزمنة ، إذ لا ماضى ولا مستقبل ولا حال بالسنة الى الله تعالى لتنزيهه عن الزمان ، كما أن علمه أزلى لا يتغير بتغير الأزمان ، ولما صح بأزلية الكلام ، حاول التنبيه على أن القرآن أيضا قد يطلق على هذا الكلام النفسى القديم ، كما يطلق على النظم المتولى ، فقال : والقرآن كلام غير مخلوق •

وعقب القرآن بكلام الله مما ذكـر المشـايخ من أنه يقال القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ، ولا يقال القرآن غير مخلوق لئلا يسـبق الى الفهم أن القرآن المؤلف من الأصوات والحروف قديم ، كما ذهب اليه الحنابلة جهـلا أو عنادا ، وأقام غير المخلوق مقـام غير الحادث تنبيهـا على اتحـادهما ، وقصـد الى جرى الكلام على وقف الحديث حيث قال عمر : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال : انه مخلوق فهـو كافـر بالله العظيم ، وتنصيصا على محـل الخـلاف بالعبـارة المشهورة فيما بين الفريقين ، وهو أن القرآن مخلوق أو غير مخلوق ، وهذا يترجم لهـدى المسـألة بمسـألة خلق القرآن أى يقـال لهـذه المسألة مسألة خلق القرآن ، فلا يستلزم من قال بهذا القول أنه أوجب خلقه ، بل كذلك جرت تسميتها مع من يقول انـه غير مخلوق ، ومـع من يقول انه مخلوق ، وتحقيق الخلاف بيننا وبينهم يرجع الى ثبـات الكلام النفسى ونفيـه ، وإلا فنحن لا نقول بقـدم الألفاظ والحروف ، وهم لا يقولون بحـدوث كلام نفسى ، ودليلنا ما مر أنه ثبت بالاجماع وتواتر النقل من الأنبيـاء من أن الله تعالى متكلم ، ولا معنى لـه سـوى أنه متصف بالكلام ، ويمتنع كلام اللفظى الحادث بذاته تعالى فتعين النفسى القـديم •

وأما استدلالهم بأن القرآن متصف بما هو من صفات المخلوق ، وسمات الحـدوث من التأليف ، والتنظيم والانزال والتنزيل ، وكونه عربيـا مسموعا فصيحا معجزا الى غير ذلك ، فانما تقـوم الحجـة بذلك على الحنابلة لا علينـا ، لأنا قائلون بحـدوث النظم ، وانمـا الكلام فى المعنى القديم ، والمعتزلة لمـا لم يمكنهم انكار كونه تعـالى متكلما ذهبوا الى أنه متكلم بمعنى ايجـاد الأصـوات والحـروف فى

محالها ، أو ايجـاد أشكال الكتابة فى اللوح المحفوظ ، وأن يقرأ على اختلاف بينهم ، وأنت خبير بأن المتحرك من قامـت به الحـركة لا من أوجدها ، ولا يصح اتصـاف البارى بالأعراض المخلوقة له تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

قال المؤلف : لا يوجب ذلك فى صفات الله تعالى أن يكون متكلما بغيره أن لو قدر أن كلام القرآن مخلوق ، لأن البارى سبحانه وتعالى قادر أن يخلق فى اللـوح كلاما عربيا منظوما آيات عظيمة بالغـة فى الفصاحة معجزة لفصحاء من خلقه فيه توحيـد ، ووعد ووعيد وأخبار وأمثال ، ونهى وأمر ويأمر جبريل عليه السـلام أن ينزل به الى رسول من رسـله تعالى ، ويكون فيه كلام خلقـه الله فى اللـوح المحفوظ وأمر جبريل أن ينزل به على رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ذلك الرسـول .

فلو فعـل الله ذلك فلمن ينسب ذلك الكلام الذاكـن آللرسـول أم لجبريل أم ينسب الى الله تعالى وهو يجـوز لا ينسـب الى الله تعالى ، فيقال : هذا كلام الله تعالى ، وقد شرطنا أنه خلقه ، فكان فى اللوح المحفوظ كما شـاء أن يخلقه ، لأن إضافة الكلام الى اللـه على وجهين : كلامه تعالى الذى هو موصوف به ذاته أنـه لم يزل متكلما ، فـذلك كلامه هو غـير مخلوق ، ومن قال : انـه مخلوق فقـد كفـر بالله تعالى .

والوجه أنه ينسب اليه كل شىء خلقه بغير واسـطة مخلوق كما يقال : سماء الله تعالى ، وأرض الله تعالى ، وكما يقال : عيسى عليـه السـلام روح الله ، وجبريل روح الله ، كـذلك الكلام الذى قدرنا أنه لو خلقه فى اللوح المحفوظ فينسب الى الله تعالى أنه كلام ، وكتـاب الله ، وآيات الله ، وأمر الله ، ونهى الله ، وأخبـار الله ، ووعد الله ،

ووعيد الله ، والمعنى أنه لم يكن أنه كلام أحـد من المخلوقين ، بل خلقه الله تعالى هـو كذلك ، فأضيف الى الله اضـافة ابداع له ، وإقرار أنه عن اللـه •

فصح أن من قال : ان كلام القرآن هـو مخلوق لا يوجب أنـه وصف الله تعالى بأنه متكلم بصفة هى من صفات ذاته قائمـة بذات غيره من مخلوقاته ، غيره من أهـل مذهبه كما بينـاه سابقا ، ولا يوجب بذلك أن يكون متصفا بالأعراض المخلوقة ، وجميع ما آتاه من قواعـده النفى خلق القرآن أراها متلاشية على هذا المثـال ، وأما اثبـاته أن كلام الله كلام نفسـه هو غير مخلوق ، فذلك حق ، ولكن هذه القاعدة لا تستلزم حـكم كلام القـرآن ، لأن كلام ذات الله الذى هـو من صفاته •

قال غيره : تفضل سيدى بالنظر فى جميع هذا وايضـاح ما عندك فيـه ، فاننا لذلك محتاجون ، وفى معرفته راغبون •

قال غيره : نظرت والذى معى أن قول الشيخ فى هذه المسألة على سبيل الاجمـال غير خارج من الصواب ، وهذا كاف فى هذا الموضـع عن الاطالة بالبحـوث ، والله أعلم •

ومن بعض شروحهم أيضا : قوله : والجنـة حق ، والنـار حق ، لأن الآيات والأحاديث فى شأنهما أشـهر من أن تخفى ، وأكثر من أن تحصى •

وتمسك المنكرين بأن الجنة موصـوفة بأن عرضها كعـرض السماء والأرض ، وهو فى عالم العناصر محال ، لأن عالم العناصر أصغر من عرض السماء ، وهـو ما بين السـماء والأرض ، وفى عالم الأفلاك ،

أو عالم آخر خارج عنه مستلزم لجواز الخرق والالتئام عند الدخول فيهما ، وهو باطل •

قلنا : هذا مبنى على أصلكم الفاسد ، وقد تكلمنا عليه فى موضعه •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : يمكن أن يكون فى عالم غير هذا العالم ، لأن الله على كل شىء قدير ، وهذا مذهب غير هذا الشارح ، وصاحب العقيدة فيما يدل عليه معانى لفظهما ، ويمكن أن الله تعالى يزيل الأرض والسموات ، ويكونان لا شىء ، ويخلق فى مكانهما الجنة والنار ، وهذا باطل مع هذا الشارح ، وصاحب العقيدة ، لأن الجنة والنار عندهما وعند صاحب الأرجوزة مخلوقتان ، ولا دليل على بطلانه لقوله تعالى : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات مطويات بيمينه) وقوله : (واذا الشمس كورت • وإذا النجوم انكدرت) الى (أحضرت) • رجع الى شرحه •

قوله : وهما مخلوقتان الآن ، موجودتان ، تكرير وتأكيد ، وزعم أكثر المعتزلة أنهما انما يخلقان يوم الجزاء ولنا الحجة عليهم قصة آدم وحواء عليهما السلام ، واسكانهما الجنة ، والآيات الظاهرة فى اعدادهما ، مثل (أعدت للكافرين) و (أعدت للمتقين) إذ لا صورة فى العدول عن الظاهر ، فان عورض بمثل قوله تعالى : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا) •

قلنا : يحتمل الحال والاستمرار ، ولو سلم فقصة آدم تبقى سالمة من المعارضة ؟

قالوا : لو كانتا موجودتين لما جاز هلاك أكل الجنة لقوله

تعالى : (أكلها دائم) لكن اللازم باطل لقوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) •

قلنا : انه لا خفاء في أنه لا يمكن دوام أكل الجنة بعينه ، وانما المراد أنه اذا أفنى منه شيء جيء ببدله ، وهذا لا ينافى الهلاك لحظة ؛ على أن الهلاك لا يستلزم الفناء بل يكتفى الخروج عن الانتفاء به ، ولو سلم فيجوز أن يكون المراد أن كل ممكن فهو هالك فى حد ذاته ، بمعنى أن الوجود الامكانى بالنظر الى الوجوب الواجبى بمنزلة العدم •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : لا دليل قطعيا من التنزيل ، ولا من السنة القائمة الحجة بصحتها ، ولا من حجة العقل أن الجنة والنار الآن مخلوقتان ، ولا أنهما لم يخلقا ، واذا كان كذلك فهما من الممكن وجودهما الآن ؛ ومن الممكن عدمهما الآن ، ولا شك فى علم الله أنهما مخلوقتان فى الوقت الذى يريده تعالى ، ولا علينا الاعتقاد أنهما مخلوقتان لا محالة ، وأما لزوم الاعتقاد فى أنهما مخلوقتان فباطل ، وبالدينونة يهلك المرء فى مذهبنا كما فى كيفية الكتاب ، وفى الحوض والجسر المسمى بالصراط ، فكل هذه لا تجوز الدينونة فى وجودهما ، ولا فى عدم وجودهما •

ومن قال فى ذلك برأيه ولم يخطىء من خالفه فلا بأس ، وما ذكره من اعداد النار للكافرين ، والجنة للمتقين ، لا يدل على خلقهما الآن ، وانما يدل على أنهما كائنتان لا محالة ، كذلك لا محالة ، كانتا الآن مخلوقتين أو لم يخلقا ، وما سبق فى علم الله كونه فهو كائن كان قد مضى كونه أو سيكونه فى وقته الذى أراده •

وقوله : (نجعلها) لا يدل على أنهما لم يكونا الآن غير مخلوقتين ،

إذ معنى نجعلهما أى نجازى بهما فى وقت الجزاء ، واذا احتمل الكلام معانى مختلفة وكلها من الممكن كونه ، ولا يخالف شيء منهـا السـنة القائمة الحجة بصحتها ، لم نجز أن تحمـل على معنى واحـد ، وابطال ما سـواه ، وقصـة آدم ليس فيهـا دليـل قطعى تحقيقى ، لأن جنة آدم بنفسها قـد اختلف العلماء فيهـا ، هل هى الجنـة الأخـرى وآية ، أم جنة خلقهـا الله له واختصها له من جميع خلقـه ولزوجته حـواء ؟

وأكثر قول العلماء أنهـا غير جنة الخلد ، ولا دليـل فى الذكـر الحكم على أنهـا جنـة ، إذ جنـة الخلد ليس فيهـا شيء حـرام ، ومن دخلها كان آمنا من الخـروج ، لأنهـا دار الخلد ، فلم تكن خلدا لكل من دخلهـا ، فقد خرج منهـا آدم ، ولـكل فريق حجج كثيرة لا فائدة فى ذكرها ، لأنها لا تقيد علما ، ولا سبيل الى القول فيهـا حتى يكون علما لأنه من الغيب ، كما لا سبيل الى معرفة الجنـة والنـار أنهما الآن مخلوقتان أو غير مخلوقتين إلا ظنـا وتخمينا ، واذا كان على هذا فكل من رأى فى نفسـه بدليـل أو بغير دليـل إلا ما رآه أنـه أصح فقال به جاز له ما لم يدن بـه ، ولم يخطىء من قال بخـلافه فى دينه ، ولو كان علما بما تراه النفس أصـح لقلت : ان الأصح معى فيما تراه نفسى كأنها تميل الى أنهـا غير مخلوقتين الآن لقـوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) وقال تعالى : (ويبقى وجه ربك ذو الجـلال والاكـرام) ولا فائـدة فى خلقهـا وانهلاكها ، ثـم خلقهـا ثانيـة ، وما لا فائدة فيه فالأصح أنه غير مفعول ، وان فعله الله تعالى سلمنا له الأمر أنه فيه فائدة لا نعلمها نحن وهو يعلمها ، ولكن نظرى للأصح فى ليس بعلم لى ولا لغيرى ، وبالله التوفيق • رجع الى شرحه •

قوله : باقيتـان ، لا يفنيـان ، ولا يفنى أهلهـا خالدين فيهـا أبـدا ؟

الشرح : أى دائمتان لا يطرأ عليهما عـدم مستمر لقوله تعالى فى حـق الفريقين : (خالدين فيهـا أبدا) وأما ما قيـل انهمـا يهلكان ولوحظة تحقيقا لقوله تعالى : (كل شىء هالك إلا وجهـه) فلا ينافى فى البقـاء بهذا المعنى ، على أنك قد عرفت أنـه لا دلالة فى الآيـة على الفنـاء •

وذهب الجهمية على أنهما يفنيـان ويبقـى أهلهمـا ، وهو قـول باطل مخـالف للكتاب والسـنة والاجماع ، ليس عليه شبهة فضـلا عن حجة •

قال الشـيخ ناصر بن أبى نبهـان : قوله وأما ما قيـل إنهمـا يهلكان ولو لحظة ، لم أدر أنه أراد قبـل دخـول الجنة فى الجنـة ، وأهل النار فى النـار ، أو بعد ذلك ، فان كان قبـل ذلك فما معنـاه حيث جعـل فرقا بين الهلاك والفنـاء ، إلا أن الهـلاك مثلا إذهـاب حيـاة الجسم مع بقاء الجسم على صورته ، أو يصـير ترابا ، والفناء العـدم أصـلا ، فان كان على هذا المعنى هو هلاك أهلهـا المخلوقين فيهـا أو الجنـة بنفسها •

فان كان المراد من الجنة مكانها فذلك وجـه ، ولـو أفنـاهم ثم أحيـاهم لم يكن فرقا لأنهم ، وان كان كذلك يصير غـير الأولين فى الحكم ، فالجزاء بالأولين وبالآخرين سواء ، فان جـزاء المسلمين فى الجنة مع لحم الطير غير طيور الدنيـا •

وان كان المـراد بأرض الجنـة غـير أشجارها ، إذ القـول فى الأشجار والطيور وما أشـد ذلك كالقـول فى حورها وخدمها ، وأمـا الأرض فما هلاكهـا ثم احياؤها فلا معنى له •

وان كان أراد كلاهما بعد دخول أهل كل دار منهما فهـذا باطـل ،

واذا ثبت هذا معه فقــد قال بقول مذهــب الجهمية الذى لم يجــزه للاجماع الذى ذكره •

وفى كتاب انســان الكامل : أن النار لا تبقى ولا يبقى من فيهــا ، ومتى خرج الى الجنة جميع من فيهــا يضع الرحمن قدمه عليها فيقول : قط قط ، وينبت فيهــا شجر الجرجر وهو بلغــة أهل عمــان المحــرقة تقارب شجرة الفجل ، وفيها حراقة قليــلة ، فلفلية ، ثم ان الجنــة أيضــا لا تدوم إذ معه لا يجوز أن يكون شيئا باقيا بلا نهــاية إلا ذات الله تعالى ، ولا أدرى هو من أى المذاهب ، وقد ذكرها أيضــا ، والذى عنه فى مسألة الخلودين فافهم • انتهى •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقــول فى كل هذا ؟

قال : الله أعلم ، وأنا لم يبين لى من قول الشــيخ فى هذا الموضع ما يخرجه عن الصــواب ، والله أعلم •

وعن قومنا أيضا : وما هــو الأصــلح للعبد ، فليس بواجــب على الله تعالى ؟

الشرح : وإلا لمــا خلق الكافر المعــذب فى الدنيا والآخرة •

ومن حاشية فى الكتاب : لأن الأصــلح للكافر المعــذب فى الدنيــا والآخــرة أن لا يخلق ، ولا يجب أن لا يخلق •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : قد أورد هذا الشارح فى مقدمة أول هذا الكتاب من شرحه ، حكاية أبى الحسن الأشعرى ، وكان معتزليا

تلميذا الأستاذه الجبائى — بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة — نسبا الى قرية البصرة ، وقيل بتخفيفها نسبا الى قرية بسستر ، وقيل بكازرون ، وهو من أئمـة المعتزلة ، وهـذا نص كلام الشارح :

قال الشيخ أبو الحسن الأشعرى : الأستاذ الجبائى ما تقـول فى ثلاثة اخوة مات أحدهم مطيعا ، والآخر عاصيا ، والثالث صغيرا ؟

فقال : ان الأول يثاب بالجنة ، والثانى يعاقب بالنـار ، والثالث لا يعاقب ولا يثاب .

وفى الحاشية : وفى اعتقادهم أن أولاد المشركين خدم أهل الجنـة بلا ثواب ، وعلى هذا يحمل قوله . رجع الى كلام الشارح .

فقال الأشعرى : فان قال الثالث : يـارب لـم أمتنى صـغيرا وما أبقيتنى الى أن أكبر فأومن بك وأطيعك ، فأعطى ثواب الجنـة ، فما يقول الـرب ؟

قال : فيقـول الرب : انى كنت أعلم منـك أنك لو كبرت لعصيت فأدخلت النار ، فكان الأصح لك أن تموت صغيرا .

فقال أبو الحسن الأشعرى : فان قال الثـانى : لِمَ لم تمتنى صغيرا لئلا أعصى مثل أخى ، فلا أدخل النار ، فماذا يقول الرب ؟

فبهت الجبائى من غير كلام هذا الشارح ، فقال له : أبك جنـة ؟ فقال أبو الحسن : لا ، ولكن أرى حمـار الشيخ وقف به فى العقبـه . رجع الى كلام الشـارح .

وترك الأشعرى مذهبه ، واشتغل هو ومن تابعـه بابطـال رأى

المعتزلة ، واثبات ما وردت به السـنة ، ومضى عليه الجماعة ، وسمى أنفسهم أهل السـنة والجماعة •

ومن الحاشية فى الكتاب : وقد صنف الأشعرى قبـل ذلك كتبـا كثـيرة فى تصحيح مذهب المعتزلة • رجـع الى كلام الشـارح •

ثم لـما نقلت الى العربيـة خاض فيهـا الاسـلاميون فحاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفـوا فيـه الشريعة ، فخلطوا بالكلام من الفلسفة يتحققوا مقاصدها فيتمكنوا من ابطـال باطلها ، وهلم جـرا الى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات ، وخاضوا فى الالهيات ، حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات •

ومن حاشـية فى الكتاب : الفلسفة أى الحكمة ، وهى فى لغـة اليونانى التشبه بحضرة الواجب الوجود فى العلم والعمل ، ثم سميت بهـا الحكمة ، والمـدون الأول من اليـونان من الفلاسـفة أرسـطو أى أرسطاطاليس ، ولذا سمى بالمعلم الأول ، والناقل لهـا الى اللغـة العربية أبو نصر الفارانى ، ولذا سمى بالمعلم الثانى •

قال الشيخ ناصر بن أ‍. نبهـا‍ : ا‍ اسم الفلسفة مطلق على احكام معرفة الشىء على ح‍ وعملا فهو المصطلح عليه م‍ الفلسفة ، وهى على أربعة وعلم الطبيعيات ، وعلم رياضات العقل بما ينوره من العلوم ، وعـلم الالهيـات •

فأما خطأهم فى الثلاثة الأولى فلا يضرهم فى دينهم لأنهـا ليست من علوم الدين ، وانما يخطىء من ضـل منهم فى علم الالهيـات ، وهـو علم التوحيد ، وليست الفلسفة تطلق على ضلالهم ، فالفلسفة هى تحقيق

الحـق فى كل أقسامها ، وكما أن الشريعة هى الحـق ، ومن ضـل فى الشريعـة فليس ذلك من الشريعة المطهـرة ، ولا يصـح اطـلاق على أرسطاطاليس ، ولا على من هو مثله أن ينسب اليـه ضـلالا ما قيل فى الفلسفة ، لأن أرسطو كان فيما قيـل وزير ذى القرنين ، ولهمـا سـير لبعضهما بعض ، ومخاطبات ، فكيف يضـل مع ذى القرنين الذى أثنى الله تعالى عليـه فى الذكر الحكيم ان أولى ما بـه أن ينزه عن تأثير كل باطل ، وان روى عنه من روى •

فقد روى عن صحابة رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وعنـه صلوات الله عليه وسـلامه ما يخالف شريعته المطهرة كـذبا عليـه ، ولولا ذلك ما افترقت أمته على ثلاث وسبعين فرقة ، كل فرقة تروى عنـه صلى الله عليـه وسلم فى كثير خـلاف ما يروى عنـه عليـه الصلاة والسلام ، فلا يجوز أن يسند ذلك •

واذا كان بهذه الأمة هكذا ، فما الفـرق فى أصحاب الفلسـفة ؟ والأصح أن الخطأ لا يجوز أن ينسب اليهم ، وانما ينسب الى الراوين عنهم ، ويحاشون بهم من ذلك •

وأما ما ذكـره أراد من الله تعالى لا يجب عليـه فعل ما هـو الأصح لعبـاده فحـق ، لأن الله تعالى لا يلزمه شىء على الاطـلاق لخلقه ، وما لخلقـه شىء ، وما جـاء فى القرآن من لفظ ، وعلى الله وعلينا مما أنـه فى موضـع لو كان ذلك اللفظ على مكلف يجب عليـه ذلك ، فليس معنى ذلك فى حـق الله على الوجـوب ، لقوله تعالى : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) ولا يكون الواجب واجبـا على أحـد إلا أن يكون اذا لـم يؤده وجب عليـه العقاب ، واذا وجـب أراد أداءه وجب لـه الثواب ، والبـارى منزه عن ذلك •

وأما أنه لا يفعل إلا الأصلح لعباده منة وفضلا من غير وجوب عليه ، فان كان المراد لغير أهل الشرك أو لغير فساق المسلمين فممكن ، وقال تعالى : (يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ولكن كما قال الله تعالى : (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) فان الاحاطة بعلم الأصلح للعبد فى كل أمر محال ، وانما يحيط بذلك البارى سبحانه وتعالى ، فيمكن أنه لايدرى بما هو أصلح له ، فيحكم أنه يفعل الأصح وغير الأصلح •

وبالجملة فان الله لا يفعل شيئا ويعرفه المؤمن الشاكر إلا ويكون ذلك الفعل من الصلاح للمؤمن ، لأنه يزداد به شكرا فيزداد به ثوابا ، ولا يعرفه فاسق إلا ويكون ذلك ليس له من الصلاح له لأنه يزداد به فسقا بقلة الشكر ، فيزداد به عقابا ان كان مما يستحق العقاب ، فهو ميزان فيهما لا يختلف • فافهم ذلك •

وأما ما ذكره من ثلاثة الاخوة ، فالطائع فى علمه أنه سيطيعه ، وفى حكمته تدبيره التى لا مجال للنظر فى معرفتها تركه حتى يكبر ويطيعه ويثيبه ، وذلك هو الأصح له •

وأما العاصى فليس له كرامة ولا منة بفعل الأصح له ، لأنه اختار لنفسه الأضر ، فكان له ما اختاره لنفسه •

وأما الثالث الصغير فلا يصح فيه القول بأنى لو تركتك حتى تبلغ لعصيت ، لأنه لم يكن فى علمه أنه ليكبر ، ولا أنه يعصى ، فليس فى علم الله لو ، وانما هى تكون فى الممكن فى علمنا ، وأما فى الواجب مما فى علمه ، وفى المستحيل خلافه لا يصح فى صفاته تعالى لو ، وانما أماته صغيرا لما كان فى حكمته وتدبيره فى خلقه كذلك منة له من الله تعالى ، ولا شك انما فعل الله من موته صغيرا هو الأصلح له ،

ولا نعتبر بالأصلح أنه لا يكون إلا ببلوغ الدرجة الأعلى وبدونها هـو الأصلح ، لأن الأصلح يطلق الى الأنفع ، والأنفع يطلق الى ما يقـابله من الأضر كانا قليلين أو كثيرين •

ومعى أن هذه المسيلة يسع جهلها ، ويجـوز فيهـا الاختلاف على أن البارى سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ، ولا يسـأل عما يفعـل وهم يسـألون ، ويجـوز أن يوصـف سبحانه وتعالى لا يفعـل فى تدبيره إلا ما هو الأصلح من غير أن يجعـل ذلك لازما عليـه ، تبارك وتعالى ، وانما المستحيل هنا هو الايجـاب عليه ، واللزوم فانه لا يجب عليـه شيء فاعرف ذلك •

والكريم الحليم يكافيء من كان حليما معه ، والعمـلْ له ما أراده منه ، ويجـازى أهل الفساد ، ويتفضـل على بعض من لم يصح منهم فعل طاعـة ، ولا فعـل معصية ، فهى من الصـفات الحسـنة ، فى الملوك ، كذلك يفضـل الله تعالى فى الآخرة على من لم يبلغ الحـلم ، ثم انه لا يليق بالملوك أنهم لا يحسـنون إلا من فعـل فيهم احسـانا ممن لم يعمـلْ شيئا من المعاصى لهـم ، فهى صفة مذمومة فيهـم ، والله فضله واسـع ، ولكن لا تلحقه صفات الذم لو لم يحسن إلا على حسن صفاته ، لأن صفاته لا يلحقها النقصان بذلك • انتهى •

قلت لشيخى وحبيبى وسيدى : ما تقول فى كل هذا ، وفى قول الشيخ ناصر : وأما الثالث الصغير فلا يصح فيـه القول بأنى لو تركتك حتى تكبر لعصيت ، لأنه لم يكن فى علمه أنه ليكبر ، ولا أنـه يعصى ، فليس فى علم الله لو ، وإنما هى تكون فى الممكن فى علمنـا ، تفضـل بين لنـا معنـاه ، فإنا قد عرفنا من كتب التوحيـد وبعقولنا أيضـا أن الله تعالى عالم بما لم يكن أن لـو كان كيف يـكون ، وكذلك قـد أشكل علينـا وأنت أهل سيدى لحل المشكلات ؟

قال : الله أعلم ، والذى عندى فى هذا من جـوابه أنه مما لا وجه لصـوابه ، وما كنا بتاركى قـول شيخنا ، ولا رادين على أحـد من علمـاء مذهبنا إلا حيث لا يجـوز الاتباع لخرقة الاجمـاع ، فان فى المجتمع عليه ، ومما لا يجـوز دخول الرأى عليه ، ولا وجـود النزاع فيه ، ولا القـول بخلافه أبدا فى رأى ولادين •

* مسـألة :

العلوم التى أجمع الفقهـاء فيهـا على أنه سبحانه عالم بما كان وما سيكون وما لم يكن ، لو كان كيف يكون فعلمه تعالى متسـع لكل شىء ، لا يخفـى عليـه شىء من الممكنات ولا من المستحيلات ولا من المفروضـات أن لو كانـت كيف تكون مـع علمـه بأنها لا تـكون ، وإلا لكان جاهلا بشىء من أنـواع العلم ، وهـو عالم الغيب والشهادة على الاطـلاق ، وما هذا إلا قسـم من علم غيبه الذى استأثر به على خلقه ، فهو العالم به قطعا ، لأنه بكل شىء عليم •

وهذا شىء من الأشياء ، وعلم من المعلومات ، فالقول بأنه لا يعلمه جهـل محض لنفيه العلم عن الله تعالى فى بعض الصـور ، وفى ذلك تجهيل له ، وتنقيص ، وحط عن رتبـة الكمال المطلق فى العلم بلا شك ، وهو مناقض لوصف الألوهية والجـلال ، وهى مسألة عظيمة فى بـاب ما لا يسـع جهله ، على من قامت بها حجة العقـل عليه بحضـورها فى باله ، فهى مما لا وسع فى جهـله من بعد ذلك أبدا فيما عنـدى •

والعجب من هذا الشيخ البصير ، والجهبذة الكبير ، كيف تلتبس عليه مثل هذه مع شـدة نورها ، وكمـال ظهورها ، ثم اذا أشـكل مثلها عليـه ، فكتاب الله بين يديه ، وقـد صرح بهـا فى غـير موضع ، وهو الحجة له وعليـه ، فكيف يصح القول بأنه ليس فى علمـه تعالى لـو ، وكتاب الله مشحون به •

قال الله تعالى : (ولو كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم) والله خبير بأنه لم يكتب عليهم ذلك أصلا ، ولا ليكتبه أبدا ، وقد خبر بما سيكون منهم أن لو كان ذلك ، وكذلك قوله تعالى : (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) وهو يعلم أنهم لا يردون من النار ، ولا يخرجون منها أصلا ، وانما قال على سبيل العرض والتقدير ، وهو يعلم ذلك منهم حقيقة أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ٠

وقال : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) وقال تعالى : (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وقال تعالى : (ولو أنزلنا عليهم كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا إلا سحر مبين) وقال سبحانه : (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون) وقال عز وجل : (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) وقال تعالى : (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ٠ لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وقال تعالى : (ولو أننا أنزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) وقال تعالى : (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) ٠

وهذا باب كبير ، وأصل عظيم من أصول كتاب الله تعالى ، فكيف يجوز خلافه فى مال ، أو يتصور نقضه لذى بال ، أو يجوز الشك فيه لاشكال يعتريه بعد ثبوته بالنص فى كتاب الله تعالى ، ولو قد كنت فى زمن الصغر مع هذا الشيخ وهو يتكلم فى هذه المسألة فعارضته بقول أهل العلم : ان الله عالم بما كان وما سيكون أن لو كان فقال : ما أنت ممن يتعاطى مثل هذه المسألة ، لأنها تفضى الى مسائل بعيدة ،

لأنا لو قلنـــا : ان الله تعالى قد يرى الأشـــياء جميعهـــا على حقائقها من قبـــل أن يخلق الأنبيـــاء معه صورا قديمة فى الأزل ، وليس هـــذا إلا من المدركات بخزانة الخيال ، والله منزه عنه فتركت الخوض معـــه فى ذلك •

وفى نفسى من ذلك ما لا أحب أن أبدأه ، مثل هذا الكلام يوجب القول بعدم علمه بما سيكون مطلقا ، فلا أدرى لأى معنى أتى بـــه فى هذا الموضع ، اللهم إلا أن يكون فى نفســـه قد خاطب من لا يفهـــم بما لا حقيقة له ، ولم يرده أصـــلا ، فقـــد يحتمـــل وهو أحسن ما يحمل فى الحـــق عليه ، وإلا فهو من الباطل المجتمـــع عليه فلا يعتنى برده ؛ لأنه أوضح من أن يشكل على من له أدنى مسكة من عقـــل أو مطالعـــة الأثر ، أو مجالسة لذى فقـــه وعلم ، فضـــلا من غـــيرهم ، فان علمـــه تعالى صفة من صـــفات ذاته القديمـــة الأزليـــة ، وهو محيط بمـــا كان وما سيكون ، وما لم يكن أن لو كان مطلقا ، ولو كان علمه بالأشـــياء لا يكون إلا مع وجودها أو بعـــده لكان علمه حادثا مكتسبا ، وكل مكتسب فهو حادث ، وكل حادث فله محـــدث ، وليس هو بقديم ، وكل محل للحوادث فهو حادث أيضا •

وليس بإله ، وتدخل فى هذا الأصل أيضـــا مسألة البدوات المجتمع أصحابنا على انكارها ، وهى القول بأنـــه سبحانه اذاأراد خلـــق شيء أو فعله بدت لـــه ارادة ذلك الشيء فى حاله ذلك ، فكان كمـــا أراده ، ولا شك أن البدء حادث ، والله غنى عن الحوادث ، فلا يجـــوز عليـــه ذلك اجمـــاعا ، لأنه قيـــل قبـــل بدء ذلك كان جاهـــلا به ، والجاهل ليس بآله ، ولأنه يكون محلا للحـــوادث ، وكل محـــل للحوادث فهو حادث ، والحادث ليس بإله ، ولأنه ادعـــاء الى ما يحـــدث اليـــه ومن كان كذلك فليس بإله •

هذا وأعجب منه مفتقر كون المعلومات له سبحانه وتعالى صـورا قديمة قائمة بعلمه ، أو متخيلات لـه كذلك ، ونفس التخيل على اللـه تعالى محال ، كمـا قاله ، وأجـاد فيـه ، لكن نادى العـلم اليـه بطريقة الاكتساب من المعلومات أيضـا محال ، لأن المتلق بالمحـال محال مثـله .

واذا كان علمه تعالى عبارة عن نفى صفة الجهل عنه عند المحققين ، فأين موضع القول بتعلقه بالمعلومات حتى تكون فى حقـه صـورا قديمة قائمة معه ، فيلزم عدمه بفقدها ، ووجـدانه بوجودها ، فيكون متوقفا عليها ، وهى حادثة فهو حادث أيضا مثلها ، وليس بعلم الله المعبر به عن عدم اتصـافه بالجهل بالأشياء مطلقا ، وهذه هى غاية الجهل ممن يقول به ، واذا كان هذا لا يلزم فى صفة العلم المخـلوق للعباد ، سـواء كان ضروريا أو مكتسبا ، فكيف به فى العلم الإلهى القديم الـذى هو من صفات الذات ، فانك خبير بأن المعلومات لنا أجلهـا قدرا ، وأعظمها شرفا ، وأعلاها محـلا ما لا يمكن تصـوره أصـلا ، فلا صـورة له ولا خيـال قطعا .

ومن ذلك العلم بالله تعالى وبصفاته وبأسمائه كلها ، وهو البحر الذى لا سـاحل له ولا قعر ، وهـذا الأصـل من العلم يسمى معرفة وعرفانا وعالمه يسمى عارفا بالله ولا يقال : عالم بالله تادبا بـلا حجرا ، فقد قالوا : العلوم ثلاثة : علم بالله ، وعلم بأمر الله ، وعلم بأيام الله ، وليس فى شىء من هذا كله مما يمكن فيه التصـور ولا ادعاء الصـور القائمة ، إذ لا يجـوز نسبة ذلك الى الله تعالى اجمـاعا ، فقـد ثبت حصـول العلم بغير صـور قائمة معه ، واذا فكر العبـد فى نفسـه يجـد ما لا يحصى عده من المعلومات التى لا يمكن تصورها .

فالعقل صفة موجودة ولا يمكن تصورها ، وهى معلومة لنا ، فكذلك العلم ، والعلم بالعلم ، والعلم بالجهل ، والجهل بالجهل ، والحلم والغضب ،

والشهوة والارادة وأمثالها مما يطـول ذكره ، فالعلم بـه كله حاصـل بغير تصـور منا ، فكيف يلزم ذلك فى حقه تعالى •

فكذلك نعلم أن لكل حيـوان روحا فى جسـده ، وبها قوام أمره ، وهى عمـدة حياته من غير التزام تصور لها منا ، فكيف يلزم ذلك فى علمه تعالى ، وبهـذا تعرف صحة ما أصلناه أن نفس العـلم بالشىء غير مقصور على تصوره البتة ، ولا متعلق به ، ولو تصفحت العالم كله لوجدت أكثر المعلومات مما لا يمكن التصور فيه أصـلا ، فكتاب اللـه تعالى كله بجميع آياته ومعانيه من هـذا الباب •

ونفس الارشـاد الى الحق ، والدعاء اليه ، والهدى به ، بل الحق نفسه أمر إلهى لا يمكن تصـوره بل العلم مطلقا من شريعة أو حقيقة أو غيرها ، ونتـائج الأفكار والعقول كلهـا معلومات لا صور لهـا قائمة فى العين ، والعلم بهـا حاصل من غير تأدية الى صور قائمة بهـا ، فمن أين جاز ذلك أو لزم فى علم الله تعالى وهو باطل •

ثم ان ما له صـور قائمة لا يتوقف العلم به على وجدان تصوره ، فان علمنا مثلا بوجـود سد ذى القرنين ، علم كاف فى معرفة وجوده غير موقوف على وجـدان صورة له معنـا ، كعلمنـا بذى القرنين ، وبآدم ونوح وابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وكعلمنا بجبريل وميكائيل واسرافيل ، وعلمنا بهؤلاء كعلمنا بالعرش العظيم وبالسموات السبع ، وبالكرام الكاتبين ، وبغيرهم من المعلومات التى لها فى الأصل صور قائمة ، لكن العلم بها فى حقنا غير متوقف على وجـدان الصور ، وقـد ثبت لنا نفس العـلم بهـا بمـا لا يجـوز الاختـلاف فيـه أبـدا •

واذا ثبت العلم بها غير متوقف على استحضار صورها ، فقد ثبت أن اسم العلم حاصل مع وجدان الصور وفقدانها سواء ، وهو مرادنا ، فالله تعالى غير جاهل بهذه الأشياء ولا بغيرها فى حالتى وجودها وفقدها سواء ، واذا كان غير جاهل بها فقد وصفناه بالعلم بها فى كلا حالتيها ، فهو عالم بها قبل وجدانها وبعده ، ومعه لم يتغير علمه بها فى كل حالة أبدا ، وانما تتغير المعلومات عدما ووجودا واضمحلالا ان كانت هى من جنس الحوادث المبدعة من نوعى الخلق ، أو الأمر جميعا فعلمه سبحانه وتعالى برسوله محمد صلى الله عليه وسلم مثلا من قبل خلق آدم عليه السلام ، بل من قبل خلق السموات والأرض ، هو علمه به لما أحدثه وأرسله الى خلقه ، وعلمه به فى حال بعثته ومن بعد موته سواء بسواء ، لا يجوز الاختلاف عليه أبدا •

وقد دل السماع على ذلك كله من الكتاب دلالة صريحة ، على أنه تعالى عالم بكل شىء من قبل أن يوجد ومن بعد أن يفقد سواه وشاهده فيما مضى قوله تعالى : (قال فما بال القرون الأولى) يسألونك عن القرون الأولى (قل علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) وشاهده فيما سيكون اخباره عن المغيبات الآتية ، كخروج الدابة ، وقيام الساعة ، والاخبار عن أهل الجنة والنار ، وأهل الأعراف وغيرهم بنص أقوالهم ، كما صرح به فى غير موضع من كتاب الله تعالى كقوله تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها ربى لا يجليها لوقتها إلا هو) وكقوله تعالى : (ونادى أصحاب الأعراف رجالا) وكقوله تعالى : (قال قائل منهم إنى كان لى قرين • يقول أئنك لمن المصدقين) وقوله تعالى : (قالوا يا مالك

ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون • وقال اخسئوا فيها ولا تكلمون) وغير هذا مما لا حاجة الى الإطـالة بـه ، إذ ليس فى الاسـلام من ينكره أصـلا •

وبالجملة فهو عالم الغيب والشهادة ، وهو بكل شىء عليم ، لا يعزب عنـه مثقـال ذرة فى السـموات ولا فى الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ، أليس فى هذا كله دلالة واضحة على أن علمه بهـا قبـل كونها لا يستلزم وجدان صورتها قديمة معه ، قائمة بعلمه ، لأنه لو جاز ذلك لكانت الأشـياء كلهـا قديمة معه ، لازمـة لعلمه القديم ، وهذا باطل اجماعا فانما ما سوى الله كله حادث بعـد كونه عدما محضـا ، وقد قام بذلك البرهان فلا منكر لـه من أهـل الاسـلام ، ولا حاجة هنـا الى ذكره ، وبهذا تعرف صحة ما قلنـاه فى هذه المسألة ان شاء الله تعالى ، فهذا كاف فى هذا الموضـع لبيـان المقصود ان شاء الله تعالى •

وأما ما أطنب فيه الشيخ من ذكر أرسـطو الحكيم ، فنحن لـم تقم معنا فيـه حجة تقطع أحكامه ، ولا تصحح اسـلامه ، ولا تثبت عـذره ، ولا تثبت كفره إلا ما ينسب اليـه فى الآثار الاسـلامية من مذاهب الضـلال الفلسفية ، فمن صح معه ذلك عـده هنالك كما قال ابن أبى الحـديد المعتزلى :

واللــه لا موسـى ولا	عيسى المسـيح ولا محمـد
علمـوا ولا جبريـل وهـو	الى محـل القدس يصـعد
من كنـه ذاتك غـير أنـك	وإحـدى الـذات سرمد
من أنـت يا رسـطو وأفلا	طـون قبـلك يا مبـلد
ما أنتـم إلا الفـراش	رأى السراج وقـد توقـد
فدنـا ليحـرق نفسـه	ما ضـره أن لـو تبعـد

وقولنا انه بحكم الأصل غير متطوع بهداه ولا كفره ، فهو فى حكم الوقوف كغيره ، لأن أحكام الله تعالى فى خلقه سواء ، فمن صحت معه هدايته وتقواه ، وجبت عليه ولايته فى دين مولاه ، ومن صح معه ضلاله فالبراءة هى التى يقتضيها حاله ، وإلا فهو على ما قلناه من حكم الوقوف ، والخلق فى أبواب الديانات على مذاهب شتى وصنوف ، وأن ارسطو وأفلاطون ورسطاليس وغيرهم كلا منهم على منزلته على حاله رهين أعماله ، وليس فى مدحة ذى القرنين ، ولا فى ولايته ما ينقل أحدا منهم فى الحكم عن حالته •

وليس ذو القرنين بأعظم منزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحابته ، ولم يثبت لهم حكم ولاية بماثبت من سعادته إلا على الخصوص فيمن كان له سابقة فضل فى حكم الظاهر ، أو شرفه بها الرسول صلوات الله عليه بنص من شهادته ، فكيف يصح ذلك القول فى رسطو أو من كان من أهل فلسفته انى لا أعرفه ، ولهذا نبهت عليه لينظر فيه من كان من أهل النظر ، ثم لا يؤخذ من قولى هذا ولا غيره إلا ما وافق الحق والهدى ، والله أعلم •

هذه أبيات فيما يؤنث من جسد الانسان ولا يجوز تذكيره :

يا أيها السائلى عن كل جارحة
فى المرء تأنيثها فى النحو يعتمد

العين والسن والأذن التى ذكرت
والعضد نيطت بها أصبع ويد

ثم الشمال ويمناها إذا بسطت
بكفها والقنا يوم الوغى قصد

من بعدها الأضلع العوجا على كرش
عدت على قدم لها تجد

والعقب والرجل ساق الى فخذ
والقلب والورك والخد لا والكبد

والاست والرحم والقتب الذى عهدت
والكتف من بعد فيها يكمل العدد

وفيما يجوز تذكيره وتأنيثه :

وهاك من الأعضاء ما قد عهدته
يؤنث أحيانا وحينا يذكر

لسان الفتى والعنق والابط والقفا
وعاتقه والمتن والضرس يذكر

وعد الذراع والكراع مع المعى
وعجز الفتى ثم القريض المصبر

كذا كل نحوى حكى فى كتابه
سوى سيبويه وهو فيه مكثر

يرى أن تأنيث الذراع هو الذى
أتى وهو للتذكير فى ذاك منكر

وفيما يذكر ولا يجوز تأنيثه :

يا سائلى عما يذكر بالفتى
لا غيره عن حاذق لك مخبر

رأسى الفتى وجبينه وقذاله
والثغر منه وأنفه والمنخر

والبطـن والفـم ثم ظهـــر بعـده
نـاب وخـد بالجبــاء يصـفر

والشبر والشـدى اليـدين وناجـذ
والبــاع والذقـن الـذى لا ينكـر

هـذى الجـوارح لا تؤنثهـا
فمـا فيهـا اختــلاف كلهـن مذكر

*** مسـألة :**

ومنه سؤال من محمد بن سالم بن سيف الحجرى : تفضل شيخنا اشرح لنا هذا البيت ، وهو من ألفية ابن مالك :

جمع الـذى الأولى الذين مطلقـا
وبعضهم بالـواو رفعـا نطقـا

كيف جمع الأولى ؟ وما مراد الناظم فى هذه اللفظة ؟ وكـذلك استشهاد الشـارح فى الشرح : ويتلى الأولى الـذين يستليمون على الأولى ؟ تفضـل اشرح لنا ذلك شرحا بينا لقلة فهمنا ، وقلة من يساعدنا فى هذه الدار ، وأنت مأجـور إن شـاء الله .

الجـواب :

قد قيل فى الموصولات انه للعاقل المفرد المذكـر ، فاذا كان فى جمع العقلاء المذكورين قالوا : الذين فى الجـر والنصـب والرفـع ، وبعضهم يقول : اللذون فى الرفع خاصة ، وهـو معنى قوله وبعضهم بالواو رفعـا نطقا .

واستعملت لفظة الأولى بضم الهمزة بعدها اللام مقصورة ويرسم بينهما الواو خطا لا لفظا ، فتكون فى موضع الذين استعملت الذين له ؛ أى هى موصولة للعقلاء المذكرين ، وهو معنى قوله : جمع الذى الأولى ، وليس المراد به أنها صيغة جمع كصيغ جموع التكسير ، ولا السلامة ، وانما سماه جمعا تسمية مجازية باعتبار اقامته مقام الجمع فى الاستعمال •

وما ذكره الشارح فى البيت المستشهد به •

وتبلى الذين يستليمون على الأولى
تراهن يوم الروع كالحد البقلى

فقد استشهد به على الأولى المقدمة فى البيت بمعنى الذين ، وأن الثانية منها قد استعملت فى جمع المؤنث ، وقيل فى معناه ان المنية تبلى الفرسان الذين يستليمون على الخيار اللاتى تراهن يوم الروع الى تمامه ، والله أعلم •

❋ مسألة :

ومنه : فى لا النافية تجزم الفعل أم لا ؟

الجواب :

لا يجزم الفعل بلا النافية ، ولكن يجزم الفعل المضارع لا الناهية ، وزيادة المدة فى لا كما هو فى السؤال غلط من الكاتب ؛ والله أعلم •

❋ مسألة :

ومنه ومما وجد عنه رحمه الله تعالى فى مراتب الأعداد المتربية

الهنـدية كما ترى عشرة آلاف هـكذا ١٠٠٠٠ . عشرين ألف هـكذا ٢٠٠٠٠ ، مائة ألف هكذا ١٠٠٠٠٠ ، ألف ألف هكذا ١٠٠٠٠٠٠ .

＊ مسـألة :

قال الله تعالى : (فاذا جاء وعـد الآخرة ليسـوءوا وجوهكم) ما معنى هذه اللام المكسـورة التى رفعت هذا الفعل ؟

الجـواب :

ان هذه اللام لام التعليل التى لا يقـال لها لام كى ، والفعـل حينئذ منصـوب بها ، وعـلامة نصـبه حذف النون من مضارع فعل الجماعة ، والمعلل محذوف تقديره : فاذا جاء وعـد الآخـرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ، والله أعلم .

＊ مسـألة :

وفى المذنب اذا ظلم شيئا من ماله أو عرضه أيصح عنـد أصحابنا أن ينتقم لـه يوم القيامة لأنـه قد ثبت أن لا أجـر له ، ولا عمـل خير له ، ولا له فى الآخـرة انها النار ، فما معنى يوم ينتقم للمظلوم من الظـالم ، أم هذا اختصـاص للمطيعين أم كيف ذلك ؟

الجـواب :

انى أجعل اللام من قوله للمظلوم لام التعليل ، أى ينتقم لأجـل ظلم المظـلوم من الظـالم ، فيعـم ذلك جميع المظلومين من الأبـرار والفجـار ، والله أعلم ، فلينظر فى جميع ذلك ، ثم لا يؤخـذ منـه إلا الحـق والصواب .

* مسـألة :

ومنه : وسئل عن تفسير قوله تعالى : (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنـات تجرى من تحتهـا الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم • يوم يقـول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسـور له بـاب باطنـه فيـه الرحمـة وظاهره من قبله العذاب • ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر اللـه وغركم بالله الغـرور) ؟

الجـــواب :

الله أعلم وأنا ضعيف عن تعاطى تأويل كتاب الله الجليل ، ولـكن فى قول المفسرين ما دل على أن هذا بيان لمـا وعـد الله به عبـاده المؤمنين والمؤمنـات ، مما لهـم عنـده فى يوم القيـامة من الشرف والكرامات ، فالمؤمن يأخـذ كتابه بيـده ويؤتاها عن يمينه ، كمـا أن المنافقين والكافرين يؤتونها عن شمالهم ، وتحول وجوههم عن هيئتها الى قفائهم ، فيأخذونها من وراء ظهورهم والعياذ بالله تعالى ، فكمـا يأخـذ المؤمنون صحائفهم من الجهتين ، يجعل الله لهـم كـذلك نورا يسعى بين أيديهم ، وعن أيمانهم يستضيئون بنوره فى ظلمات القيامة ، ويهتدون بضيائه فى صراط الآخـرة حتى يوصلهم الى محل الكرامة ، ومقعد الصدق فى فسيح الجنة ، ومنتهى الرحمة ، فيقال لهم بشراكم جنات تجرى من تحتهـا الأنهـار خالدين فيها ذلك الفـوز العظيم •

فالنور الحسى فى دار الآخـرة ، وهو نور الحـق الهادى الى سبيل الحـق فى هذه الدنيا بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، واتبـاع كتاب الله تعالى ، وسـنة رسوله صلى الله عليـه وسلم ، فمن كان

على نور من ربه فى دنيـاه ، فله بقـدره هنالك نـورا يستضىء به فى أخـراه ، والحـق نور كله لا ظلمة فيـه فى الدنيـا ولا فى الآخـرة ، والباطل كله بجميع أصنافه ظلمة لا نور فيه ، وهلاك لا نجـاة معـه إلا بتركه ، والمبطـل أعمى يتخبط فى دنيـاه وآخـرته تخبط العشوى ، كمـا قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الظلم ظلمات يوم القيامة » ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور •

فاذا جاز المؤمنـون يوم القيـامة بأنوارهم وكيـانا على نجائبهم كالبرق الخاطف فى سرعتهم ، وبقى المنافقون والعصاة فى ظلمتهم ، حفاة عراة عطاشا جوعى قد ألجمهم العرق ، وبلغت منهم القلوب الخناجر من الفرق ، قالوا للمؤمنين انظـرونا أى أمهلونا قليـلا لنسعى فى آثاركم متلبسـين من أنواركم ، فقد كنـا فى الدنيا بجـواركم ، مختلطين فى عماركم ، وهيهات قد انقطع الرجـا ، وعدم الملتجـا ، فمن لا نـور له يهـديه الى الحق فى دنيـا ، لاتباعه مجـرد هواه ، وغفلته عن الله فيما أمر به ونهـاه •

قد أحاطت به ظلمات ظلمـه ، فى جهـله أو علمه ، فلا نور لـه فى آخـرته فالى أين يذهب به ، ولهذا قيـل لهم على سبيل التهكم بهم ، والاستهزاء ، ارجعوا وراءكم التمسوا نورا ، وهيهات فلا نور لهم حينئذ إلا النـار ، ولا سلامة لهم إلا البوار ، فحينئذ ضرب بينهـم بسور له باب ، يدخـل منه أهل الجنـة اليهـا ، وهو المسمى بالأعراف فى قول المفسرين ، باطنه من جنـاب الجنة فيه الرحمة لأهلها الأبرار ، وظاهره من شـق نار الله الموصـدة فيه العذاب لأهلها والبوار •

ينادونهم المنافقون هم الذين ينادون يقولون للمؤمنين ، ألم نكن معكم فى دار الدنيـا ، مختلطين يذكرونهم بما كان بينهم من الصحبة والمجاورة والأنسـاب والقرابة ، يوم لا يجـزى والد عن ولده شيئا ،

لاو مولود هو جاز عن والده ، فيقولون لهـم : بلى أى كنـا كذلك ، ولكنكم فتنتـم أنفسكم ، أى محنتموها بالنفاق ، وأهلكتموها بالظـلم والشقاق ، وتربصتم الدوائر بالمؤمنين ، وارتبتم أى شككتم فى صـدق وعد الله ووعيده ، فلذلك أسأتم الأعمـال ، وأهملتم من الآخـرة كل الإهمـال ، وغرتكم الأمانى طول الآمال ، والطمع فى امتداد العمر بكثرة الامهال حتى جاء أمر الله بمغافصة الحمـام لانقضـاء الأيام . وغركم بالله الغـرور ، وهو الشيطان الكفور .

(فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير) فلينظر فى هـذه الآيـات المحكمات كل عاقل ، وليتنبه بها من رقـدة الجهـل كل غافـل ، قبـل (أن تقـول نفس : يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله ، وان كنت لمـن السـاخرين ، أو تقول : لو أن الله هدانى لكنت من المتقين . أو تقـول حين تـرى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) فهنالك يؤخـذ بالكظم ، ولا ينفع الندم ، فأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة ، وأنتم لا تشعرون ، واللـه ولى التوفيق لكل مسـلم بفضـله وكرمه ، والله أعلم .

* مسـألة :

ومنه : وهل تجـوز كتابة الطلسمات والأوفاق المكسرات الأحرف ، اذا كانت لا تعرف إلا أنه مكتوب هذا الطلسم ، والوفق للعلة الفلانية ، ولم يعرف الكاتب عدل ذلك ، أتجـوز لـه كتابته على هـذه الصفة ، اذا كان من ضرورة أم لا ترى رخصـه فى ذلك ، وما قولك فى المصحف المجلد عليه بالذهب أو الفضة ، أيجـوز حينئذ حمله للجنب أو الحائض . ودخول الخلاء به ، وكـذلك التمـائم المشـمعات أفتنا جميع ذلك ، كفيت المهالك ؟

الجـــواب :

تجوز كتابة الأوفاق والحرف المكسرات من الحروف والأعداد ، وكذا تجوز من الطلسمات ونحوها ، وان كانت لا تعرف ما هى ونحن نرى جواز ذلك ، وأما المسألة ففيهـــا اختلاف ، ولا يجوز للجنب والحائض حمـــل المصحف المجلد عليـــه بالذهب أو الفضة ونحـــوهما ، وأما مس الذهب والفضة فجائز ، ولعل ذلك لا ينعـــدم من الاختـــلاف على قول من يجيز للجنب أن يحمل المصحف بسيره ؛ فكأنه يشـــبه معنى الجواز فى هذا أيضـــا ، والله أعلم وبه التوفيق •

*** مســـألة :**

ومنه : وهل يجوز عمل الطلاسم والتحويرات للسارق الجائزة على وجه العدل من دون فساد •

ولا يجـــوز حـــرق القـــرآن ولا شىء من أســـماء الله تعالى ، والله أعـــلم •

ومنـــه :

بسم الله الرحمـــن الرحـــيم

الحمد لله رب العالمين ، حضر للجميع ، وفيه مدح لأهل العقـــول إذ منّ عليهم على من سواهم ، ولم يقل العوالم •

الرحمن الرحيم : التعريف للعهد ، لأن رحمته قديمة ، أو للحضر أى من فعـــل ذلك غيره رحمة ايجـــاد تعم الجميع ، رحمة امداد تخص المؤمنين بدلالة التكرير والمضاعفة •

ملك : اشارة الى أنه لم يبق هنالك ملك سواه ، وأن الخلق كلهم

ضعفاء تحت حكمه ، يفعل فيهم بقدرته ما يريد ، وفى هذا الخبر ذم الحياة الدنيا ، إذ لم يجعلها الله شيئا حتى كأنها لحقارتها لم يرض أن يتمدح بملكها ، وتعظيم لذلك اليوم ، وذكره دع ما وراءه يوم فيه تهويل للموقف ، إذ جميع تلك العظائم والأهوال ، والزلازل التى تبرز فى يوم واحد •

الدين : اشارة الى العدل ، فمن يعمل ومن لم يعمل كما تدين تدان ، وفيه تخويف وتحذير من موبقات الأعمال ، وفيه تبشير بلقاء العمل الصالح •

إياك نعبد : هذه من مقابلة رب العالمين ، وصف ربه بالربوبية ، وهنا وصف نفسه بالعبودية ، وتملق بين يديه أن جعل نفسه من عبيده رجاء أن يكفله ما أهمه ، وانقطاعه لمولاه ، لأن من عادة المولى كفاية عبيده ، وأن لا يهملهم سدى للشياطين ، ولا سيما ان كان يضعفهم عارفا ، وفيها سر اخلاص العبادة له ، وفيها سر تحقيق العبودية الموجبة للخدمة فى مقام الربوبية المدهشة لعظمتها ، فلا غرو أن يقول •

وإياك نستعين : هذه من مقابلات الرحمن الرحيم ، وكانه لما استغر شرفه الجلال ، فى مقام اياك نعبد ، ازداد من الاستكانة والخضوع ، ومشاهدة الذل والمهانة والحقارة ، الموجب لعدم القدرة على تحمل أعباء الطاعة ، وميثاق المجاهدة ، فلاحت له بعد الشريعة شريعة أخرى أخص من الأولى ، وهى الشريعة الحقيقية ، فقال : وإياك نستعين ، بواو العطف لسر الجمع ، أى نستعين بك مع القيام بالعبادة ، لا مع اهمال المقام الأول ، وفيها سر الاخلاص للتصريح بلفظة إياك نستعين ، أى لا نستعين بسواك قطعا ، وسر الرجاء الجازم لأن السؤال غير متردد ، وسر الاقرار بالعجز من العبد عن القيام بحق الرب ، فانه لا يستعين إلا من ظهر عجزه . فتبين له حزما •

وسر الأدب فيما سيأتى من الدعاء ، فانـه لم ينطق بطلب لشىء إلا بعد ما استعان واستنصر ، والتجأ وتضرع ، وصرح بالعبودية وأظهر الاستكانة ؛ وفيـه اظهار لسر قدرة الربوبية ، فان من لا يقـدر على شيء لا يستعان بـه فى شىء ، واظهـار لسـد الرحمة والكرم ، فان من لا يجود لا ينبغى أن يسـأل ، ومن لا يرحمـك لا ينبغى أن تتضرع اليـه ، لأن التضرع وتركه سواء تعالى الله عن ذلك .

وفى حكايته من الله تعالى تعليم لعباده بحـق هذه الخصـال ، وفيه إيماء كالوعـد بأنه مجيب للسؤال ، واشـارة الى اظهار رحمتـه للعبـاد ، وحث لهم على الاجتهـاد فى الدعاء الذى هو رأس العبـادة بمراعات شروطه ، وتشويق بأن يكونوا داخلين فى زمرة وفده الراجين ، واشـارة الى منع اليأس والقنـوط من رحمته ، لأنه معين ، واشـارة أخـرى الى التوكل الذى هو رأس العبادة ؛ ودعامة الايمان ، لأن من استعان بالله فلابد من أن يتوكل عليه فيما به يستعين ، فتكفى بمجرد رجاء اعانته قطع النظر عن غيره ، وإلا فلا يكون من المتوكلين .

وكأنه يدخل فيه معنى الزهد فى الدنيا ، لأن المتجـرد فى مجرد الاستعانة بالله ، فلابد وأن يغلب عليه فى حاله ما أهمه من شـأنه ، فلا متسع لغيره فيه ، وهذا فى قوله منقطع بالكلية ، لأنه استعان بـه مع قطع العلائق البتة عما عداه ، فلا ينظر الى سواه ، لأن غـيره وان جل فهو حقير لا يعين على شىء ، ولا يقـدر عليه ، فلابد للمتجرد لله فى استعانته من أن يكون موقنـا إلا لغيره راجيـا ، فيدخل فى زمـر الموقنين والراضين بما يفتحه لهم المولى فى هـذا الطريق ، فيدخـل فى ذلك سر الرضا واليقـين ، فلا شـك أن عـلم الحقيقة كله محض الاستعانة والانقطـاع ، وترك الأطماع فى غير الله بالكلية ، حين يطهر القلب فى طريقه بالله ، ومع الله ، فتقول لسان حاله :

اهدنا الصراط المستقيم : فهذه كيفية الترقى للوصـول فى هـذا

الطريق ، لا تدريج المراتب . فأولها معرفة الله ، والإقرار له بالربوبية ، معترفين بالعبودية ، فتفيض عليهم نفحات الرحمة مترادفة متواليــة ، حتى توقفهم فى مقام التذلل والخضــوع . والاستكانة والخشــوع ، لا تلبث أن يبرز لهم فى مقــام هو أعظم منه ، وهــو ملاحظة الجــلال الباهر ، والقدرة العالية التى تحثهم على الاستعانة بالاستكانة .

ولمــا انتهى بهم الأمر الى هذا الحال . برز لهم خفى اللطف ، فى صحائف الكشف ، عن حقائق الأمور الدقائق فأظهر لهم من ظلمــات الطبع ، وكثائف البشرية وحجب الجهالة . ما غمر القلوب منهم ، فتركهم صرعى بين هاتيك المهالك حيارى فى تلك المسالك ، لا يهتدون ســبيلا ، ولا يجدون دليلا ، فكان جدرا بخفى لطفه ، وعميم كرمه أن لا يخيب رجــاء من زاده فى سفره مجرد الاستعانة به ، والتوكل عليه بمحض الصــدق ، وصفاء الود ، وثبات العزم ، وصدق الهمة .

فألهمهم طريق الخلاص . والانقــاذ باستعانة ثانيــة وهى طلب مجرد الهداية ، التى لا يقدر عليها إلا به ، ولا ترجا إلا منه ، فقالوا : اهدنا علما بأنه لاهاذى إلا هو ، ولا هدى إلا بمنه ورحمته ، وبسر كلمــة اهدنا هداهم الى الطريق الواضح . فكشف لهــم من أنــوار هدايته ما دلهم على نعت الطريق ، بأنه طريق الحق الذى يدق ويصعب على العقل ادراكه على الحقيقة ، كمــا هو إلا من أمــده نور التوفيق ، ففتح عين بصر بصيرته ، فنظــر بمقلة الكشف الى أحــد من السيف ، وأدق من الشعرة ، مثلا فى استوائه لا أنه جسم محــدود من الأحزام ممــدود .

ولمــا كان هو بذلك الحال فى المثال ، وجب أن يزداد فى توضيح صفاته ، وقال : المستقيم أى القيم المســتوى ، الذى هو غــير قابل الاعوجاج ، وفيــه عبارة عن الانقطاع الكلي الذي لا تلجلج فيه ، وفيه

ثنـاء بالغ ، وتمدح لهـذا الطريق العظيم برهانه ، وفيـه تعريض بأن ماعداه من الطريق مخالفا له ، فهـو الأعوج جـزما ، لأن التعريف فى استقامته لاستغراق جنس الاقامة ، فلا قيـام لغيره أبدا •

ولـما انتهى بهما الحال الى هذا المقـام ، ورأوا من عجائب الطريق فى هذا السفر الميمون ، ما دلهم على أن مراتب الهدى ، والاستقامة غير مقصورة على حد واحـد ، فهى درجـات شتى ، ومقامات تتفاوت فى اختلاف أحوال السالكين ، وحضوض الواصلين ، استغرقهم الشوق الى حب الحب ، ومقامات القرب ، ومجاورة الأولياء ومعاشرة الأنبيـاء ، الذين هم أدلاء الطريق الى ذلك الفريق ، فلم يلبث لسـان الحـال ، أن صرح بالمقال •

صراط الـذين أنعمت عليهم : من النبيين والصـديقين والشـهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقـا ، فالصراط الأول صراط السـالكين المجتهدين ، والصراط الثانى صراط الأوليـاء والمقربين من الواصلين ، وكم بين المقامين من مهجة تـذوب شـوقا ان أعطيت ذوقا ، وناهيـك بكمال الآداب ، وقوله : أنعمت ففيه تصريح بأن النعمة منـه فضـلا من قبل المولى ، لا يدركه العبد بالطلب حـزما ، وناهيك بهـا نعمـة يقصر الوصف عن ادراكهـا ، بل لا يعبر عنهـا إلا الذائقـون منها ، لا بل يحـرم فى بعض الأحيـان كشفها ، ويجب التصريح تارة بها ، وأما بنعمة ربك فحـدث •

والنعمة هاهنا مجرد العناية من الرب بتطهـير العبد حتى يصـلح للخدمة ، فيكون فى مقام الخواص من الأولياء ذوى الإخلاص ، ولابد فى سلوكه من تدريجه فى المراتب الثلاث التى هى : الاسلام ، والايمان ، والاحسان ، وفى كل مرتبة يمده المولى بنعم جلى ، فالاسلام هو القيام بوظائف الأعمال الطاهرة من الصـلاة والصـيام والزكاة والحج ، مع

الاستطاعة الى غير ذلك من الأوامر حتى يأتى على الأواخـر غـير مضيع ولا مبدل لنهى ولا أمر من الظواهر ، فهذه هى المرتبة الأولى من مراتب السلوك ، وبها يسمى المرء مسلما لا مؤمنـا ، بدلالة : (قالت الأعـراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) وان سمى مؤمنا باعتبـار آخـر ، فانما هو اختلاف لفظ لا اختلاف معنى ، فهـذه نعمة فى حق من هى من درجاته ، لأنها منجية من الشرك والسيف ، ومدخلة فى الأحـكام الاسـلامية الظاهرية ، وعليها ترتيب إياك نعبد ، لأنهـا مقام شرع ظاهر ، وهذه هى الصراط المستقيم فى حق السالك بها ، لا فى حـق من هو فوقه ، فانها تعـد قصورا فى حقـه ان اقتصر عليها ، ولكن فلابد من ملازمتها أصلا ، لأنها مرقاة الى الايمـان ، وبان عدمهـا ان عدم الايمان كما أن بفناء الجسم يفنى الروح الذى هو أشرف شئ فى الهيكل الانسانى ، فكل من ارتقى الى درجـة الايمـان •

فرتبة الاسلام موجودة لديه ، ولكنه قد اكتسب عليها شرفا آخر يسمى الايمان وهو الدرجة الثانية مما أنعم به المـولى على عبـاده ، وشرفها على الأولى كشرف الروح اللطيف على الجسم الكثيف ، وهو مفتاح معرفة الحقيقة ، فانهـا الدرجة الفاصلة بين حقيقة الحقيقة ، وبين ظاهر الشريعة لأنهـا أول التجـرد ممن كثيف الهياكل المظلمة ، ولذلك وصفها صلى الله عليه وسلم فقال : « الايمـان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسـله واليوم الآخـر والقدر خيره وشره » •

وهذه الجملة ان فكرت فهى موجودة مع أهل الرتبتين الأولى ، لأن من لم يعرف أن الله ربه وكفر بالملائكة أو الرسـل أو اليوم الآخـر أو القدر فهو مشرك ، ولكن تأويلها بهذا المقـام على منهج غـير ذلك هو أدق على الأفهام ، وأحق فى الأحكام ، • وأولى بأن يكشف القناع عن وجه تأويله فيقال : أما الايمان بالله فى مقامات الايمان ، فهـو من نور الفيض الربانى ، يقذفه فى القلب الانسـانى بواسطة مجاهدة وفكر

وتصديق ، واعتبار فى معانى أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله واليوم الآخــر ، وما فى ذلك من الأسرار والقدرة الهائلة الــدالة على عظمة الصانع البديع ، وجلالة قدره فحينئذ تكشف عن عينه غطاء اللبس ، وحجاب الغفلة ، فيدرى أن الأمر إد ، والخطب جد ، والخطر عظيم ، وأنه لم يخلق عبثا ، ولم يترك ســدى ، فينتهى به الحــال الى أن يكون مشغوفا بالفكر ، مشغولا بالذكر ، كثير الوجل ، عظيم الخجــل ، يشاهد بفكره عرصات القيــامة ودرجــات الجنــة ، ودركات النــار ، ومشاهدة الجبار بصفات العظمة ، التى هى منشأ الخــوف والخشية ، ونعوت الجمــال والرحمة ، التى هى منشأ الرجاء والطمع •

فهو متردد النظر متعوب القلب ، مستعمل الجوارح فى هذه الطريق بصفاء الهمة ، وحسن الاعتقــاد ، والقاء القياد ، وتأهيب الزاد ليــوم المعاد ، والاكتفــاء من هذه الدار ببلغة لطريقه ، الى بلوغ فريقــه ، فهذا يسمى مؤمنــا حقــا أى مصــدقا بالله وبملائكته وكتبه ورســله واليوم الآخــر ، تصديق تحقيق يوافق الظاهر فيه الباطن ، فيجــرى فيه على مناهج الأولياء ، ومقاصد الأنبيــاء ، متمسكا بالكتاب ، منقطعا لله غير متواهن فى ذلك ولا متهاون ، وبــذلك ينكشف له سر القــدر ، فلا يرى فى الوجود لغير الله قدرة على شىء ، لأن كل موجود بوجوده ، قائم بسر قيومية مولاه ، ولــولاه لاضمحل وحــال به فى الحــال ، فلا وجود على الحقيقة إلا له جل وعلا •

ولذلك لما سئل على بن أبى طالب عن سر القدر قال للســائل : سر خفى فلا تنظره • قال : بينه لى • قال : خلقك كما تشــاء أم كما يشاء ؟ قال : كما يشاء ، قال : وكل الأشياء قسها عليه • قال : زدنى بيــانا • قال : رزقك كما تشــاء أم كما يشــاء • قال : كما يشــاء •

قال : وكل الأشياء قسها عليه • قال زدنى بيانا • قال : ان جعلت

مشيئته مع مشيئتك فقـد أشركته ، وليس لله شريك ، وإن قلت دون مشيئته فقد غالبته .

ثم قال : أتقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ؟ قال : نعـم . قال : أتدرى ما معنـاها ؟ قال : لا . قال : معنـاها لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ، ولا قوة على طاعة الله إلا بتـوفيق اللـه .

ثم قال : أوقعت على قلبك السكينة وثلج اليقين ؟ قال : نعـم . قال : فصافحوا أخاكم فقد أسلم إسـلاما جديدا ، فهذا سر القـدر ، وضابط معرفته ، قطع النظر عما سوى الله فى جميع الكائنات اعترافا بأن الكل مسخر مدبر لابـد له من مدبر قادر حكيم عليم ، يدبره كما يشـاء فلا مشيئة إلا له ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وانظر الى باب المدينـة كيف سماه اسلاما ثانيا اشـارة الى أنه مرتبة زائدة على التى كان هو فيهـا ، وكيف وصفه بالسكينة ، وثلج اليقين ، فهذا مقام الايمان ، وهـو بداية الترقى فى مفتـاح معـرفة الحقيقة بسر المجاهدة والفكر فيما ذكرناه ، ومتى ثبت العهد عليه بصدق المجاهدة ، لم يلبث به الحـال أن يورثه مقاما آخـر ، وهـو العـلم بالله ، والخـوف والخشـية والهيبة والتعظيم والرجـاء حتى لا يرى لغير الله متسعا فى قلبـه ، فلا يكون فى همـه إلا هـو ، ولا يطمـح نظـره إلا إليـه .

فهو مع الله وبالله وإلى الله على كل حال ، فهذا مقـام الاحسان ، وهو الدرجة الثالثة التى هى فوق الايمان ، والواصل اليها قد استكمل الدرجات التى هى دونها ، وعلا الى الدرجة الحسنى ، والمرتبة العليا ، واللطيفة الفضلى ، والطريقة المثلى ، فهو حينئذ لا يملك من نفسـه

خيرا ، ولا من قلبه أثرا ، فلا يـرى إلا كالهائم ، بالشـوق الـدائم ، مسلوب القلب ، مغلوب الحـال عائما فى بحـور المحبة بصدق الوفاء • وكمال الصفاء ، وبذل الجهـد ، باخلاص الود ، ألا ترى الى قـول صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام ، وقد سئل عن الاحسـان فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » •

ومحال أن يراه العبد : بل فيه اشـارة الى حسن التجـرد ، وكمال الانقطاع ، والتبتل بالكلية عما سـواه ، فلا يرى خـيرا من غـيره ، ولا أثرا مما عداه ، فيكون حينئذ قـرة عينه فى الصـلاة ، وراحـة قلبه فى الذكر ، لا تلفت له الى غير مولاه ، ولا نعيم له بسـواه ، فهو فى ميادين نجواه ، لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبـه ، فاذا أحببته فهو المقام الرابع المعبر عنـه بالحب ، وهو المقـام الثانى من مقامات الاحسان ، وهو مقام القرب بين أيادى الرب •

فلا شك أنه عناية من المولى بعبده ، وهـو مقـام الاستغراق ، فلا تصرف للعبد فيه أصلا ، لأنه فى حدثات اذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسـانا ويدا فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش الخـير ، فاذا انتهى به الحال الى هذا المقـام العلى شأنه والمنزل العظيم برهانه أتيح له مقام آخـر من غير مفارقته للأول ، وهو الدرجة الخامسة درجة التمكين ، فيكون متصرفا فى الكون بما شاء ، لا بواسـطة إلا بمجـرد العناية من الله تعالى ، فاذا قال للشىء كن فيكون فى الحـال ، وربما وقع قبل المقـال ، بمجرد صرفه الهمة للانفعال •

وكيف ينكر ذلك فى شأن من كان له الحق سبحانه هو المتصرف به ، فـلا ينطق إلا بالله ، وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم : « أطـع الله يطعـك كل شىء » ومن كان مع الله كان الله معـه ، ومن كان لله كان الله لـه •

وإذا انتهى الى ذلك ظهر له وحـال آخـر ويعبر عنه بالمقـام السادس ، وهو أن تظهر له مصالح العبـاد ، وتنكشف لـه أحـوال الخـلائق ، حتى يكون أكثر همه فى مصالح العباد والاستغفار لهـم ، وطلب الرحمة والرأفة بهم ، فهى مرتبة الملائكة الذين من حول العرش يسبحون الله ، ويستغفرون لمن فى الأرض ، وهى من مراتب الأنبيـاء الأكرمين ، فلا مجاوزة لمـا فوقها لأحـد ، وانمـا تختلف الدرجـات بحسب القبول ، وتفاوت الصفاء ، فهذه درجـات الأبدال والأقطـاب والسالكين ، وهى تمـام النعمـة ومقـامات الكرامة والشرف الرفيع ، ودرجات الملائكة المقربين ، والأنبياء والمرسلين الذين أنعـم الله عليهم بكمال نعمته ، وشمول عنايته ، واليه الاشـارة بقوله تعالى : (صراط الذين أنعمت عليهم) فقد عرف بهذه الآيات الثلاث سر الترقى فى مقامات الوصول ، من ابتداء المجاهدة الى تمام النعمة •

ألا ترى أن اياك نعبد : هى سر الاسـلام ، وهى سر الشريعة ، وهى مفتاح معرفة الاسـلام •

وإياك نستعين : هى مفتـاح المجـاهدة ، وأول المكاشفة ، لأسرار عالم الملكوت ، وهى مقام الايمان ، ومفتاح الحقيقة •

واهدنا الصراط المستقيم : هى سر الترقى فى السلوك على مناهج الحقيقة بالانقطـاع الكامل ، وهى أعلى من رتبة نسـتعين ، لأن نستعين فيهـا ملاحظة للنفس ، باصـدار الاستعانة من قبـل العبد ، ودرجـة اهدنا هى حق العلائق ، فليس فيهـا اصدار شىء عن النفس أصـلا ، بل هى مجرد ملاحظة الهداية من قبـل المولى ، وهى المقـام الخامس •

ولا يخفى على منصف أن مقام أنعمت عليهم : فوق هذا المقـام ، لأنه رتبة انتهى الى افاضـة النعـم ووهب الكرم ، التى لا يمكن أن

تتناهى الحصر لغير من هو المنعم جل شأنه ، وهذا هو مقـام القرب والتمكين ، يرفع الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات درجات •

وأتى بلفظة عليهم مبالغة فى شمول النعمة لهم ، فكأنها قد أطبقت عليهم من الجوانب كلها ، لأن الاستعلاء على الشىء تمكن منه ، وفيـه اشارة لطيفة إلا أنهم مع وصـول هذه الدرجة لا سبيل عليهم لشىء ، لأن نعمته محيطة بهم متمكنة منهم . فهم فى ظلها يسرحون ، وفى كنفهـا يمسون ويصبحون ، فتبارك الله رب العالمين ، هـذا ما وجـدناه من التسويد من نسخته ، ونحن فى طلبه ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنه قلت له : سمعه الشيخ عبد الرحمن ناصر بن أبى نبهـان يرفع عن والده وعن الغزالى أنهما عرضا على القرآن فى سجدة واحدة ، ولم أسأله عن ذلك ، فاكشف لنا سرهما وأنت ماجور فى ذلك ؟

الجـواب :

لـم أبلغ الى ذلك ، والعـلم عنـد الله ، وما أوتيتم من العـلم إلا قليلا

وهذا كتاب الدرة النورانية فى الأحكام القرآنية :

بسم اللـه الرحمـن الرحـيم

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعـل له عوجـا ، أنزله كتابا محكما قيما سـلما الى الرشـد ومنهجا ، وأشرق بالحـق لامع أنوارة فاضمحلت من الباطل غياهب الدجى وحكم بصوارم أحكامه

أطماع من كان له فى التصـدى لمعارضيه من تجى . وجعل منه لمن تمسـك بحبله المتين أوثق عروة وأمنع حصن وملتجا .

أحمده حمدا أرتجى لى به من الذنب مخرجا ، وأشكره شكرا ينيلنى هدى منه وتوفيقا وفرجا .

وأصلى على نبيه محمد وآله وأصحابه أهـل البصائر والحجى . وأسلم عليه وعليهم سـلاما على حسن الثناء عليهم مدبجـا .

أما بعـد :

فان كتـاب الله هو النـور البهى ، والمنهج السنى ، والحبـل القوى ، كلت الألسن عن استكمال صفات كمـاله ، وأذعنت البلغـاء بالعجز عن الاتيـان بكلمة واحـدة من مثاله ، فهو لمن تمسـك به نـور وهدى ، ولمن نبـذه وراء ظهره نقمة وردى .

ولمـا كان الأمر كـذلك وجـب على حفـاظه أن يعتنوا بمعانيـه وألفاظه ، ولا يتمكن من ذلك من لا يدرى أين موضع الطريق ، ومن ألقى بنفسه فى البحر المحيط فكم ثم من غريق ، ولمـا وجـدت الناس قـد اختلفوا فى الجـائز من حكمه ، بمن اعتنى بتلاوته أو رسـمه ، سألت الله أن يتداركنى بما أنزل من الهدى فى كلامه ، فيطلعنى على ما لـم أهتد اليـه فى أحكامه .

فعمت متوغـلا فى تلك اللحجج البعيدة ، ونظمت ما استخلصته نفسى من فرائدها من نسلك هذه القصيدة ، وسميتها بـ « الدرة النورانية ، فى الأحكام القرآنية » ولم تزل البواعث تطالبنى بعد تكميلها ، بأن أشرع

فى ايضــاح تأويلهــا ، ليســهل تناولها لطلابهــا ، وليهتدى من رام الدخول الى بابهــا ، فقمت أحاول الى ذلك والموانع موجودة ، ويــد المساعد على ذلك مفقودة ، إلا أن يمدنى الله بيد من توفيقه ، ونــور هدى يرشــدنى الى سلوك طريقه •

فأوضح اللهم لعبدك طريق الحق المبين ، واهدنى اللهم الى سبيل الرشــاده ، فقد تمسكت بحبلك المتين ، متوســلا اليك بكتابك الــذى أنزلته ، ومتشفعا اليك برسولك الذى أرسلته ، أن تمدنى بلطيفة هدى من لطائف أنوار تســديدى المبين ، فأنت يارب خير هاد ومعين •

وهذا شروع الابتداء فى سلوك هــذا المنهج القــويم بعد التزام الافتتاح بكلمة :

بســم اللــه الرحمن الرحــيم

لك الحمــــد يا أللــه الكــريم المنــزل
من الذكــر ما فيــه الهــدى والتــذلل

تبــارك أهـــل الحمــد والحمــد كله
بغـــــيرك يا محمــود لا يتأهــــــل

وأزكــى صـــلاة مع سلام على الــذى
اليــه كتــاب اللــه بالوحـــى منــزل

هــو المصطفى الهــادى النبى محمــد
رســـول الهــدى المــدثر المتزمــل

وأصـــحابه والآل والتابعـــــوهم
عليهــم ســــلام منه فى النشر منــدل

وبعـــد فـــان الله أنـــزل للهـــدى
كتـــابا لـــه فى الـــكون شـــأن مجـــلل

عظـــيم بتعظـــيم الإلـــه وإنـــه
لنـــور الى نهج الرشـــاد موصـــل

هو العـــروة الوثقـــى فيامتمســـكا
به فـــزت فهـــو الشـــافع المتقبـــل

ولـــم تفـــن ما فى آيـــه من عجـــائب
كتـــاب عـــزيز مصـــدق وممحـــل

مصدق : أى ناطق بالصدق فيما جاء به من وعد ووعيد الى غـير ذلك من قولك : أصدقنى فلان اذا وجدت قوله صدقا • والممحل : القاطع الحجة والأعذار واشتقاقه من المحل فان مخالفة مقطوع الحجة عادمها ، أو المهلك فان مخالفه هالك لا محالة ، ولان المحـل من المهلكات فلا يقـع فى الغالب الا نقمة ، واللفظتان هما من كلام النبى صلى الله عليه وسلم فى وصف القرآن •

فيا تاليـــا آى الكتـــاب مرتـــلا
تنبـــه لمـــا يحييـــك يا من يرتـــل

ففيـــه شـــفاء للقلـــوب من الـــردى
وفيه الهـــدى من عنـــد ربك منـــزل

ودونـــك فى أحـــكامه الغـــر تحفـــة
من النظـــم بالاحسان والحسن تحمـــل

عليهـــا من النـــور الكتابى اشـــارة
وحسن بديـــع بالجمـــال مـــكلل

التحفة : هى الشىء الغريب المستطرف ، والشارة : الحسن والجمال والزينة ، واللباس الحسن والنور الكتابى ، ونور القرآن العظيم ، ومكال : أى لابس اكليل وهو شىء فى تيجان الملوك كالعصابة مرصع باليواقيت والجواهر الفاخرة ، والبديع : الذى بلغ النهاية كأنه مبتدع ٠

من اندر نورانية ان وصفتها
وسميتها بل هى أبهى وأفضل

لم يعهد مثله الدرة : اللؤلؤة العظيمة ٠

والمعنى أن المنظومة المشار اليها اذا وصفتها فهى من الدر ، وان سميتها فهى كذلك ، لأن اسمها « الدرة النورانية » والنورانية نسبة لها الى النور ، أى ذات الأنوار الكثيرة والأضواء الهائلة ، ثم قال : بل هى أبهى أى أكثر بهاء من الدرة التى هى من بعض أحجار البحور ، وذلك لأن غاية الدرة انما هى حجرة ملقاه فى لجة البحر ، فلا توازن فضيلة العلم وأنواره ، ولا سيما ان كان ذلك من أنوار كتابه تعالى ، فان ذكر الشمس المنيرة مما يصغر مع ذكره ، فضلا عن الجواهر الأرضية ، فلذلك قال : بل هى أبهى وأفضل، وتشديد الياء من هى لغة فصيحة وبل هو حرف للاستدراك ٠

فلا تتعجب حين وافتك سهلة
ولى خاطر ينبو عن الشعر مجبل

فمن بركات الذكر أضحى جموحها
مروضا له ان أدن منه تذلل

الخاطر : هو الذى يخطر بالقلب ، وينبو عن الشىء : أى يتجافى عنه، ويتباعد من نبا جنبه عن الفراش اذا لم يطمئن عليه ، أو يكل ويجبن من نبا حد السيف اذا كل عن الضريبة ، وأجبل الشاعر : اذا انسدت القريحة عليه ، وأصله من أجبل الحافر اذا أصاب الجبل ، فتوسع فيه كما فى قوله تعالى : (أعطى قليلا وأكدى) أى أمسك ،

وأصله من اكداء الحافر ، وهو أن تلقى كدية وهى صلابة كالصخر فتمنعه عن الحصر الصخر ، والجموح : الفرس الذى يغلب صاحبه ، ورياضته تذليله ، راض فهو مهر مروض أى مذلل •

ومعنى البيتين وصف هذه المنظومة بسهولة التركيب ، وعذوبة اللفظ ، مندمجا فى طى الاعتذار من الناظم بالاعتراف بأنه ليس هو من علماء هذا المجال ، فان الشعر قد يتجافى عنه فلا تخطر به الخواطر على قلبه ، فهو عن ذلك مجبل وبه معترف •

وأما اتفاق هذه الأبيات فانما هى لطيفة وقعت من بركات الذكر وهو القرآن العظيم ، فبواسطة الذكر وبركاته الفائضة عليه تيسر ما صعب عليه ، فتسخر له الجموح بعد ما كان عانيا ، وأضحى العسير عنده سهلة متواتيا والحمد لله •

فيارب يا رحمن كن لى مسددا
فانى إلا من رجائك ممحل

وكن لى معينا للرشاد موفقا
فانى للتوفيق منك مؤمل

وانك لى حسب عليك توكلى
تباركت من حسب عليه التوكل

بيان فى موضع فى لزوم القراءة وندبها ، ومن أفضل الأعمال هذا ما وجدناه من هذه المنظومة وعرفنا مزيد صحتها فهذا جوابه لنا :

وهذه وجدناها تساويد له رحمه الله :

الخشوع : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) •

الذكر : (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) •

الـذم : (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) ، (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) (فاستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله) (فأولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) •

والأهبة والتحذير لخاصة الأمر : (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) الآية •

للتذكرة : (ان هذه تذكرة) •

والمدحة : (وانه لتذكرة للمتقين) (وما يتذكر إلا أولوا الألباب) (وما يتذكر إلا من ينيب) •

وفيها الذم من يجب عليها : (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) (فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) •

الاستغفار وفوائده : (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا • يرسل السماء عليكم مدرارا • ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا) •

ومنها الرحمة : (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) •

ومنها التوبة : (واستغفروا الله ثم توبوا اليه) (واستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) •

القيامة : (أمن يأتى آمنا يوم القيامة) مع الحديث الوارد ، فلا يبقى فى عين قطرة من دمع ، اللهم نفسى نفسى ، وهم متمسكين بالعرش

(ان الذين يخشـــون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) (ومن يطـع الله ورســوله ويخش الله ويتقه فأولئـك هم الفائزون) •

النـار : (وان منكم إلا واردها) (لا يسمعون حسيسها) يمـكن أن يردها ولا يسمع حسيسها (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقـل ما كنـا فى أصحاب السعير) (ثم لترونهـا عين اليقين) •

*** مسـالة :**

السؤال فى الحسـاب : قال الله تعالى : (فيومئذ لا يسـأل عن ذنبه إنس ولا جان • فبأى آلاء ربكما تكذبان) (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام) (لتسألن يومئذ عن النعيم) (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) •

*** مسـالة :**

شـق عن قلبه وأخرج منـه مضغة من سـواده ، قال شيخنا : هى استعارة ، ولفظ يحتمل التأويل بمعانى ذلك ، قال صلى الله عليـه وسلم اسم شيطانى ، وفى رواية إلا أن الله أعاننى عليه وسلم • قال : (قـل أعوذ برب الناس) (رب أعوذ بك من همزات الشياطين) (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) •

*** مسـالة :**

رفع المسيح عليه السـلام : قال الله تعالى : (يا عيسى ابن مريم انى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا) الآية (فلما توفيتنى كانت أنت الرقيب عليهم) •

قيل ان التسبيح من الله كان ، فيدل عليـه سبح الحديد ، سبح

الحشر ، سبح الصف ، سبح الجمعة ، سبح التغابن ، سبح اسم ربك الأعلى ، سبحان سورة بنى اسرائيل •

ثمرة التسبيح من القرآن : (فلولا أن كان من المسبحين • للبث فى بطنه) •

النجاة : (سبحانك انى كنت من الظالمين • فاستجبنا له) •

اجابة الدعاء والنجاة : (وكذلك ننجى المؤمنين) •

المدحة وحصول الايمان : ومن كلام النبى صلى الله عليه وسلم تسبيح الملائكة وبه يرزقون ، (والباقيات الصالحات) وأما شرفه فانه كلام الملائكة (يسبحون ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض) (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وأن الله أثنى به على نفسه فقال : (سبحان الذى أسرى) وأما عمومه (وان من شىء إلا يسبح بحمده) (والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) وأما وجوبه والأمر به (وسبح بحمد ربك حين تقوم) (فسبح باسم ربك العظيم) (سبح اسم ربك الأعلى) ، (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) •

فان قيل : فهذه الصلاة ؟

قلت : فهذا هو الشرف الأكبر ، كانت الصلاة كلها تسبيحا ، فاكتفى بذكر التسبيح عن الصلاة كلها ، فما ظنك به (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) •

وأما الذم على تركه : (قال أوسطهم لم أقل لكم لولا تسبحون) •

والمدح على الرجوع اليه : (قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين) (فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى) (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا)

(ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما أنزل اليهم ولعلهم يتفكرون) (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون) •

القلب يجب حفظه ، لأن الشيطان واصل اليه فهو جاثم عليه •

انه معترك العسكرين : الهوى والعقل •

ان الخواطر والعوارض له أكثر •

ان علاجه أعسر •

ان الذنب فيه يؤدى الى القسوة •

قلت : لأنه ملك الجوارح فهى تفسد بفساده •

لأنه موضع خزانة المعرفة والهداية •

لأنه غائب عنك لا يبصره الى كله ولا من غيره

لأنه موضع نظر الرب جل وعلا •

لأنه شرفك به لا غير •

لأن به النجاة والفوز بعد توفيق الله ، فهذا ما وجدناه من تساويده فى القرطاسة رحمه الله تعالى •

وقد سأله أحد جوابا لهذين البيتين فى الحماسة وليكون الجواب على نسقهما والبيتان هما هذان كما ترى :

السـيف والخنجـــر ريحـــاننا
أف عـــلى النرحســـن والآســـس

شرابنـــــا من دم أعـــــدائنا
وكأســـــــنا جمجمــــة المـــرأس

الجــواب :

جـــواب بيتـــين أراد امـــــرؤ
منى همـــا من نظـــم أكيـــاس

وانمــــا عنــــدى همــا غــــاية
للمجــــد مثـــل التـــاج للراس

فكيف لا ابـــن العـــــــلا وهمـــا
هـــــذان لا من نظـــــم أنـــكاس

السـيف والخنجـــر ريحـــاننا
أف عـــلى النرجســـــن والآســـس

شــــــرابنا من دم أعــــــدائنا
وكأســـــنا جمجمـــــــة الراســـ

وهـــذا جــــوابى لكمـــاة الوغـــى
ســـيف كليـــب رمـــح جســـاس

البيض والســـــــمر رياحيننـــــا
لا للاس والنرجســـــن والبيـــاس

شــــرابنا العــــذب بجميـــع العـــدى
وكأســــــنا رأس فـــتى كاســــى

يطـــربنا وقـــع القنـــا فى الوغى
وانســـنا من وحشـــة النـــاس

وفى الطـــلا وقـــع الظبـــا لم نـــزل
نعـــده أيـــام أعـــراسى

من ينســـب النـــاس الى غـــيرنا
فليس منســـوبا الـــى ناس

وكل من ناشـــا يـــرى غـــيرنا
للضرب والطعـــن هو النـــاس

فـكم ذنبـــا بلظـــى بأســـنا
طـــود حـــديد شـــامخ راسى

مـــاع لنـــا الجـــامد لمـــا رأى
لان بالهيبـــة القاســـى

ثم ما وجدناه فى كلامه رحمه الله •

قال الخليلى : يجوز اسم سيدى ومختلف فى قوله : أسألك بأسمائك ، والجـواز أصح ، ومختلف فى غياب المستغيثين أيضا ، ونحن فى مثـل هذا ربما نتوسـع ، وفى الدعـاء يجوز السر والجهر ، والسر أفضـل إلا إذا رجا أن يقتدى به فى ذلك ، وسلم من آفات الأعمال •

والتهديج : هو التهجد بتقديم الجيم يجـوز فى رمضان وغـيره ، والابتداء بالتهليل والتعظيم خير ما استعمل •

وأما أسماء النساء فى الكتـابة بالألف أم بالهاء ؟

قال : تكتب على لغاتهم ان كان بالألف أو الهاء ، وما كان أوله ساكنا فلابد من الألف فى أوله وغير ذلك فلا تزاد فيه الألف .

ومن جوابه :

فى الأسماء التى يشتبه آخرها قال فى جوابه : تكتب على لغتهم ان كان بالألــف أو بالهــاء ، وفى لغــة العرب عزاء ، وعــزة بالوجهــين ، وأسماء بالمد ولم نحفظ نصراء وشمساء ، أما هى فى لغتنــا بالمد فيهمــا ، وكل موضــع مخصوص فى ذلك بلغة أهله ، والله علم .

ومنه : لعلك تتفضل شيخنا بوفق بذهاب من أراد بســوء عمان ، وقد عمــل أبو نبهــان رحمه الله لمن ســاء فيهــا ، وصح عمله وأنــت الخليفة فى هذا العلم ، ولك الأجــر ؟

الجــــواب :

(فالله خير حافظا وهو أرحــم الراحمين) .

بســم اللــه الرحمن الرحــيم

وجدت لهذا الجواب عن الشيخ العالم الربانى سلطان بن محمــد البطاشى رحمه اللــه ، والأول منقطع ، وفى بعض الروايات فان الأمــة لمــا اختلفت هذا الاختلاف الكثير ، وقد صدق فيها قوله صلى الله عليه وسلم كما روى عنه فى الحديث الشهير ، كان الكذب من بعضهم فى بعضها مقطوعا به ، واجبــا رده لقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا وسيكذب على من بعدى فما أتاكم عنى فاعرضــوه على كتاب الله فما وافقه فهــو عنى قلته أو لم أقله ، وما خالفــه فليس عنى قلتــه أو لم أقــله » والروايات فى ذلك على وجهين :

الوجه الأول : ما يــكون سبيله ســبيل الأمــر والنهى ، فيجــوز التضادد بين بعضه وبعض من حيث الناسخ والمنســوخ ، فيقــال فى الناسخ : ثابت وفى المنسوخ باطل ، وذلك كتحليل المتعــة وتحريمهــا ، والنهى عن زيــادة القبــور ، ثم الأمر بهــا بقــوله : « ألا فزوروهــا ولا تقولوا هجــرا » •

ومن حيث الخصوص والعموم كقوله صلى الله عليه وسلم : « حيث أدركتك الصــلاة فصل » ثم استثنى فى حديث آخــر مواضع لا تجــوز الصــلاة فيها ، فيقال : فى الأول عام ، فى الثــانى خاص وكلاهما ثابت إلا أنه لا يقبل من ذلك عندنا إلا ما تقررت عليه شريعتنا ، وما خالفهــا وصح بطلانه فى اجمــاع أصحابنا فيقــال فيه مردود ، وهذا الوجــه يجوز فيه التضادد بين الروايات ، وبينها وبين الآيات •

فأما مثال التضادد فى ذلك بين الروايات من حيث الناسخ والمنسوخ ، ومن حيث الخصوص والعموم فقد مضى ، وأما مثال التضاد بينها وبين الآيات ، فهو كنحو وجــوب الوصــية للوالدين فى ســورة البقرة ، ثم نسخها بقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا لا وصية لوارث » •

ومن حيث الخصوص والعموم كنحو قوله تعالى فى ســورة النساء : (وأحل لكم ما وراء ذلكم) بعد ذكر المحرمات من النســاء ، ثم حــرم أن يجمع بين المرأة وعمتها ، وبينهــا وبين خالتها •

واما مثال التضاد بين الآيــات من حيث النســخ ما ثبت فيمن توفى عنهــا زوجهــا أنها تعتد حولا كاملا من قوله تعالى : (وصية لأزواجهم متاعا الى الحــول غير اخــراج) ثم نسخت تلك العدة بقوله تعــالى : (يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) •

ومن حيث الخصـــوص والعموم ما ثبت من تحـــريم المشركات ، من قوله تعالى : (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) ثم وقع التخصيص بالتحليل للمشركات الكتابيات ، بقوله تعالى : (والمحصنات من الـــذين أوتوا الكتاب) فهذا بيـــان القول على الوجه الأول الذى يخـــرج مخرج الأمر والنهى •

والوجه الثانى : الذى يخرج مخرج الخبر كالتوحيد والوعد والوعيد فبيان القول فيه أنه لا يجـــوز التضادد فيه بين الروايات ، ولا بينهـــا وبين الآيات . ولا بين الآيات وما أوهم المضـــاددة بحسب ظاهره ، فهو مردود بالتأويل الى الموافقة ، فما احتمـــل له وجه حق عند الراسخين فى العلم فلا يجـــوز رده كنحو ما يروى عنه صلى الله عليه وســـلم : « سترون ربكم » وقوله : « لا تزال النار تقول هل من مزيـــد حتى يضع رب العـــزة فيهـــا قدمه فتقول قط قط » وقوله : « إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان » وقوله فى أهل الجنة : « فاذا الرب قـــد أشرف عليهم » •

فهذا ونحوه مما يخرج له تأويل حق عند العلماء ، فلا يجـــوز رده ، وما لم يحتمـــل وجه حق مثل أن يقـــال : ان ذات الله تعـــالى تـــرى بالأبصـــار ، وان فسقة الموحدين يخرجون من النار وينعمون فى الجنة مع الأبرار ، وأن الله يغفر لهم ذنوبهم على الاصرار ، وأن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمن يموت منهم على غـــير توبة واستغفار ، فهـــذا ونحوه مردود واجب الانكار وما يحتمـــل من ذلك وجه حق فهو دقيق ، كم فى بحـــره بالرد له من غريق وغريق ، فالواجب على الضعيف الاحتراز من سلوك هذه الطريق ، الاكتفاء فيه بأن يقول قوله قول المسلمين •

فهذا ما يسر الله من الكلام على الروايات والآيات ، فكن من علمه على اتقان ورســـوخ ، واعلم أن الوجه الثانى لا يجـــوز أن يكون فيـــه ناسخ ولا منســـوخ •

بـــــاب

فى التوحيد وما يجوز من الصفات لله تعالى وما لا يجوز حقيقة ومجازا

بســم اللــه الرحمن الرحــيم

الحمد لله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله •

ما تقول أيها الشيخ العالم الربانى ، سعيد بن خلفــان الخليلى ، هل يصح ويجوز الجهل من الذين اصطفاهم الله بالرســالة والنبــوة ، فلا يعرفون ما يجب فى حق مولاهم ، وما يجــوز وما يستحيل أم لا ؟

فان قلت : لا فسؤال الكليم عليه الســلام وطلبه الرؤية من مولاه لأى شىء مع علمه بعــدم جوازه ووقوعه ؟

فان قلت : ان السؤال المذكــور لأجل قومه حيث قالوا : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) فسأل ليعلموا امتناعها كما علمه هو فنقــول هؤلاء القوم ان كانــوا مؤمنين كفــاهم قول موسى عليــه الســلام أن الرؤية ممتنعة ، ولنهاهم عن ذلك كما نهاهم عن جعل الآلهــة بقوله : (بل أنتم قوم تجهلون) وان كانوا كفارا لم يصــدقوه فى حــكم اللــه بالامتناع ، وانما يكون السؤال عبثا لا فائدة فيه ؟

وما معنى الادراك فى قوله تعالى : (لا تدركه الأبصــار) ؟

فان قلت : معناه هــو الرؤية مطلقا فلا دلالة فيــه على عمــوم الأوقات والأحــوال ، بل قــد يمكن فى بعض ولبعض ، ويمتنع فى بعض ولبعض ، وقد يستدل بالآية على جواز الرؤية إذ لو امتنعت لمــا جعــل

التمدح بنفيها ، فالمعدوم لا يمدح بعدم رؤيته لامتناعها ، وانما التمدح فى أن تمكن رؤيته ، ولا يرى للتعزز والتعذر بحجاب الكبرياء •

وان قلت : معناه الرؤية على معنى الاحاطة بالجوانب والحدود ، فدلالة الآية على جواز الرؤية وتحققها أظهر ، لأن المعنى أنه مع كونه مرئيا لا يدرك بالأبصار لتعاليه عن التنهاهى والاتصاف بالحدود والجوانب •

وأيضا الله تعالى موجود وكل موجود يصح أن يرى ، وأيضا فاختلاف أكابر علماء هذه الأمة واخبارهم وهم الصحابة رضى الله عنهم أجمعين . وذلك كترجمان القرآن وبينة الصديق الأكبر رضى الله عنهما فى أن النبى صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا ؟ فبعضهم قال : رآه ، وبعضهم قال : لم يره دليل إلا مكان ؟

وأيضا فكما أنه سبحانه وتعالى مخالف لمخلوقاته فى جميع صفاته ، فكذلك رؤيتنا له مخالفة لرؤية بعضنا لبعض ، فلا نشترط فى رؤياه الجهة والمقابلة ، وعدم المانع كما اشترطه الفلاسفة ، فذلك أمر عادى والقيمة محل أمر خرق العادات ، أجبنا جوابا شافيا لاعياء فيه ، مأجورا مثابا ان شاء الله تعالى ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى •

أما بعد :

فقد نظرت فيما أنت تحكيه عمن يزعم أنه من علماء السنة فقيه ، وما احتج به فى مسألة الرؤية ، ولا بأس بالنظر فيه ، وعندى أنه

لو اقتصر فيهـا على ما أورده فقهاؤه ، عارض به من أهـل مذهبـه علماؤه ، لكان لغرضـه أقضى ، ولسيفه أمضى .

وان كان الخصم فى النزاع ، ولا ينكل عن الدفاع ولولا دفـع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض ، لكنه لفرط اللجـاج ، أورد من الاحتجـاج ، ما تأدى على طريقته بالاعوجـاج ، حتى لا يظن بـذى بال أن يصـدر عنه ذلك أبدا فى مقام ، حتى انه لوضوح ما أتى بـه لاستحسن ضرب الصفح عن خطابه ، لكنى لمراعاتى قلبك اكتب لديـه ، بحمد الله ما استعفف ان شاء الله عليه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أما قوله : هل يصح ويجـوز الجهـل من الذين اصطفاهم اللـه بالرسالة والنبـوة ، فلا يعرفون ما يجب فى حق مولاهم ، وما يجـوز وما يستحيل أم لا ؟

فان قلت : لا فسؤال الكليم عليه السـلام وطلبه الرؤية من مولاه لأى شىء ، مع علمه بعـدم جـوازه ووقوعه .

فان قلت : ان السؤال المذكـور لأجل قومه حيث قالوا : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) فسأل فقال : ليعلموا امتناعهـا كما علم هـو امتناعهـا ؟

فنقول : هؤلاء القوم ان كانوا مؤمنين كفاهم قول موسى عليه السلام ان الرؤية ممتنعة ، ولنهـاهم عن ذلك كمـا نهاهم عن جعـل الآلهـة بقوله : (بل أنتم قوم تجهلون) وان كانوا كفارا لم يصـدقوه فى حكم الله بالامتنـاع ، وانما يكون السؤال عبثا لا فائدة فيه . انتهى ؟

ويقال على أثره : أما رسل الله وأنبياؤه فهم أعرف الخلق بالله تعالى ، وأعلمهم بآياته ، وما يجوز عليه أو يستحيل من صفاته ، ولا نزاع فى هذا بين أحد ، وكيف يجوز القول بغيره فى حق موسى الكليم ، هو رأس العارفين لربه العليم ، عليه أفضل الصلاة والتسليم •

وأما سؤاله لرؤية مع علمه بامتناعها البتة ، وعدم امكانها على الأبد ، فلأمر ما ، وهو أن قوما عنده لم جدهم النهى ولم يكفهم الزجر ؛ ولم تنجع فيهم الموعظة ولا الانذار ولا اعذار ، ولا كانوا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، فلق الله لهم البحر ، وأغرق فيه بقدرته الخصم ، فقالوا : (يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) وأسمعهم كلامه بلا واسطة ، فعظم مكرهم ، واشتد كفرهم ، وكافحوا رسولهم بالكفر مواجهة بقولهم : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وقد كانوا لشدة ما بهم من العتو والاستكبار ، يقادون الى الايمان بسلاسل القهر والاجبار ، وتلك سنة الله فيهم ، فقد أبوا من قبول ما فى التوراة من الشرائع والأحكام ، فشق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ، وظنوا أنه واقع بهم ، وناداهم منادى الحق (خذوا ما آتيناكم بقوة) •

ولما أيس موسى عليه السلام من قبولهم لقوله ، واستماعهم لنهيه عن طلب الرؤية ، سألها ليسمعهم الجواب عن الله بما يلقمهم الحجر ، ويبنى سد اليأس بينهم وبين ما لا سبيل اليه لأحد من البشر ، ولعظم هذه الجراءة منهم ، وشناعة هذه الطلبة ، وقبح كفرهم بمسألة الرؤية أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ، كما سلط القتل على عبدة العجل إذ هم جاهلون ؛ فأى عتب فى السؤال على هذا الحال ،

ولو اقتنعوا بالنهى ، واكتفوا بالزجـر لمـا قالوا : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وهل يكون هذا إلا بعد محاورة وخطاب وزجر وعتاب إذ قالوا : (أرنا الله جهرة) •

فلو فعـل ذلك ابتداء اذ قالوا ، ولم يمتنع منـه لهم إذ سألوه ، لمـا ألجأهم ضرورة العتو ، وشـدة الشكيمة فى الشرك ، والغلو الى أن يقولوا لرسـولهم : لن نؤمن لك جزما حتى نرى الله جهرة ، فأراد أن يسمعهم من كلام الله ما ينفى طمعهم ، وتكون تلك الكلمة مما تقطـع به الأرض ، وتخـر له الجبـال هـدًّى ، عاقبهم اللـه بصاعقة شملتهم هلكى •

وقال لموسى : (انظر الى الجبـل) فلما تجلت عليـه آية منـه جعلته دكا ولكون موسى لم يرد حقيقة ذلك قال : (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضـل بها من تشـاء وتهدى من تشـاء) فقـد دلت الآية الشريفة على معان •

أولهـا : أن سؤال الرؤية على الحقيقة لم يرده موسى عليه السلام ، بدليـل قوله : (ما فعل السفهاء منا) •

وثانيها : انما هى فتنة نوع بلاء واختبار يعلم بهـا ايمان أهـل اليقين ، وتزلزل أهـل الشك المرتابين •

وثالثها : أن قومه سفهاء وجهلة •

ورابعها : أنهم هم الواقعون فى الفتنة بها ، وكونهـا محمولة عليهم دونه بدلالة ما سـبق •

وخامسها : الشهادة عليهم بالضلال •

وسادسها : التصريح بمكابرتهم ، وعنادهم ولجاجتهم على شركهم ، وعتوهم على ربهم ، بقولهم للرسول : (لن نؤمن لك) •

وسابعها : غضب الله عليهم ، وارســال الصواعق الواصلة اليهم ليعلموا عاقبة ظلمهم : (وما ربك بظــلام للعبيد) ولكن بطش ربك لمــن تجرأ به شــديد •

فقولك يا هذا : ان كان القــوم مؤمنين كفــاهم قول موسى عليه الســلام ان الرؤية ممتنعة الى آخــره ، وان كانوا كفارا لم يصدقوه فى حكم الله بالامتناع ، وانما يكون السؤال عبثا لا فائدة فيــه ، فقــد قلنا : انهــم لم يكونــوا فى تلك الحــالة مؤمنين ، وأى ايمــان يصــح لمن يقول لرسوله : (لن نؤمن لك) أفيجــوز أن يكون مؤمنــا غير مؤمن فى حالة واحــدة ، هذا باطل لا يكاد يقبله عاقل ، بل الحــق أنهم كانوا من قبلهــا مؤمنين ، ثم صاروا بتلك الكلمة الشنعاء زايغين عن الحق ، مرتدين عن الاســلام ، كفارا مشركين ، شهد عليهم كتــاب الله بذلك شهادة لا مرية فيهــا عند العارفين •

وليس بدعا هذا فى بنى اسرائيل ، فقد عبــدوا العجل وقالــوا يا موسى اجعل لنا إلهــا ، كما قالوا له فى هذه لن نؤمن لك ، وأنهم لم يصــدقوه فى قوله بحكم الامتناع من الرؤية لمــا غلب على عقولهم من الضــلالة ، ولشــدة حرصــه على ايمانهم وقوة طمعه فى انقــاذهم من الهلكة ، كما هو دأب المرسلين وعــادة الأنبيــاء ، أراد أن يسمعهم من كلام الله فى ذلك ما يرتفــع به نزاعهم ، وتنقطع به أطماعهم ، وأى فائدة أعظم من هذا ، وأى عبث به •

فان كان الكافر لا يعتنى به ، والمعاند لا يعبأ به ، فلأى شيء أنزلت الكتب ، وأرســلت الرســل ، ولأى معنى نتق الجبــل عليهم ، لقول

الشرائع والأحكام ، ودك الجبل لهم ليعلموا استحالة الرؤية على ذى الجلال والاكرام ، فهما من باب واحد ، وأفعال الله تعالى وآياته كلها منزهة عن العبث واللعب ، (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين) •

وأما قوله : وما معنى الادراك فى قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) فان قلت : معناه هو الرؤية مطلقا ، فلا دلالة فيه على عموم الأوقات والأحوال ، بل قد تمكن فى بعض ولبعض • انتهى •

وعسى أن يقال على أثره ظاهر الآية الشريفة يؤذن بعموم النفى ، ويقضى بمنع الادراك الذى هو الرؤية مطلقا ، وتخصيص حكمها بأن يمكن فى بعض ولبعض ، ويمتنع فى بعض ولبعض ، معلوم واضح لكل ذى بال أنه ليس من لفظ الآية ، ولا من معناها ، وانما هو شىء زائد عليها . وأمر خارج عنها ، ليس هو منها ، ولا مما تدل عليه لفظا ولا معنى ، وما لم يقم عليه فى الحق دليل فما الى اثباته من سبيل •

فالتمسك بظاهر كتاب الله هو الحق بلا شك ولا جدال ، والرجوع عنه الى ما يخالفه ويضاده باطل وضلال ، وهذا قول واضح لمعارضة جلى المضاد ، بظاهر الآية الشريفة ، كما لا يخفى عليه من له أدنى رمق من فهم ، فكيف يجوز القول به أو التعويل عليه •

وأما قوله : وقد يستدل عليه بالآية على جواز الرؤية ، اذ لو امتنعت لما جعل التمدح بنفيها ، فالمعدوم لا يمدح بعدم رؤيته لامتناعها ، وانما التمدح فى أن يمكن رؤيته ، ولا ترى للتعزز • انتهى •

ولا أدرى ما أقول من البيان على مثل هذا الهذيان ، الذى لا يتفوه

به لسان عاقل ، ولا يكاد يقوله إلا مرسم أحاطت به البلابل ، فان مما يؤدى الى المضايق بتعكيس الحقائق ، وانى لأنزه قبل اليوم عن مثله فقهاء القوم ، لأنه اذا ثبت الاستدلال بنفى الادراك والرؤية ، فانقلب هو الدليل على ثبوت الادراك والرؤية ، فلابد أن يشمل هذا كلما وجب سلبه ، وثبت نفيه عن الله مما لا يجوز أن يوصف به ، فيكون السلب دليلا للايجاب فى كل شىء ، فيكون قولك لا إله إلا الله اثباتا للشريك مع الله تعالى ، ويكون قوله تعالى : (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) اثباتا للصاحبة والولد ، والوالد والاكفاء ، والأنداد له سبحانه وتعالى عما يقوله المبطلون علوا كبيرا ، وهذا أوضح من أن يعتنى برده ، ويحتج على فساده •

وأما قوله : وان قلت معناه الرؤية على وجه الاحاطة بالجوانب والحدود ، فدلالة الآية على جواز الرؤية وتحققها أظهر ، لأن المعنى أنه مع كونه مرئيا لا يدرك بالأبصار لتعاليه عن التناهى والاتصاف بالحدود والجوانب • انتهى ؟

ومن العجب كيف هذا وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ، فاذا كانت الرؤية على وجه الاحاطة بالجوانب والحدود على تقدير قوله وهى منفية عن الله تعالى ، فكيف تكون هى دليلا لجواز الرؤية كما زعم ، ولكن قد ثبت منه الاستدلال بالسلب على الايجاب وما هذه إلا واحدة من ذلك الباب ، وبطلانه أوضح من أن نرجع اليه ثابتة فى الخطاب ، وكيف لا يأنف من تأثير مثل هذا من كان من أولى الألباب وان هذا لشىء عجاب •

وأما قوله : وأيضا الله تعالى موجود أيصح أن يرى • انتهى ؟

فان كبر المقدمتين كاذبة ، ولا خلاف فقد صرح بذلك أهل مذهبه الامام حجة الاسلام الغزالى وغيره ، بل ليس المرتاب فى

الجملة إلا نوع من أجناس كثيرة ، وإلا فلينظر بعينيه الى هذه الرياح والأرواح ، والأصوات والهواء المفتوق به بين السماء والأرض الى غير ذلك مما يطول ذكره ، ويفوت حصره ، أليس هي من الموجودات التى لا تمكن رؤيتها •

وبالجملة فالأشياء كلها فى هذا على أربعة أقسام :

أحدها : ما يرى بفتح الياء ولا يرى بضمها ، وهى نهاية الشرف وغاية الكمال ، لاتصافه بالقدرة على رؤية ما سواه وتعاطيه عن ادراك غيره اياه ، وليس شيئاً كذلك إلا سبحانه وتعالى ، فهو المنفرد بمطلق الكمال ، والمتوحد بصفة العز والجلال ، (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) •

وثانيها : قسم يَرى ويُرى ، بضم الياء وفتحها وهو أشرف ما بعده من الأقسام ، وهو الحيوانات من الملائكة والجنة والناس ، والطير وسائر الدواب من الأنعام والبهائم والسباع ، وأكثر الحشرات •

وثالثها : يُرى ولا يرى بضم الياء الأولى وفتح الثانية كالأجساد الكثيفة ، من الأرض والجبال ، والمعادن والنبات ، وما يشاركها فى ذلك من الجواهر والأعراض مطلقا •

ورابعها : لا يُرى ولا يَرى مما يدرك بالحواس كالشم والذوق والصوت المدرك بالسمع أو مما لا يدرك بها كالايمان والكفر والعقل والعلم والغضب والحلم وغيرها من الصفات والأخلاق التى كلف الشرع بها ، وأثاب وعاقب عليها ، ولو لم يكن فى الموجود من هذا إلا كتاب الله وحده لكفى به وجودا ، وناهيك به شهودا فاتل عليه •

بسم الله الرحمن الرحيم

قل له : أرنى صورته وأنت العاقل الحليم ، أم تنكر وجوده فتفكر بعد اذ أنت مستقيم ، بل لم يكن الأمثل قولك كل انسان حيوان ، وبعض الحيوان صامت •

وأما قوله : وأيضا فاختلاف أكابر هذه الأمة وأحبارهم وهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وذلك كترجمان القرآن وبنت الصديق رضى الله عنها ، فى أن النبى صلى الله عليه وسلم هل رآى ربه ليلة المعراج أم لا ؟ فبعضهم قال : رآه ، وبعض قال : لم يره ، دليل الامكان • انتهى ؟

ولا بأس أن يقال : قد تنازعت الأمة واختلف العلماء فى نفس هذا الاختلاف بين الصحابة فى مسألة هذه الرؤية ، فأنكر المحققون ، وأنكره الجهابذة ، ولم يثبته السلف الذين هم الحجة وان أثبته الأشاعرة منفردين برؤيته دون سائر الفرق ، فلا حجة لمختلف فيه ، ولا برهان لمتنازع فى أصله ، اللهم إلا أن يكون الخلاف لفظيا فلا يعبأ به ، وإلا فكتاب الله شاهد على بطله وكفى •

ومن العجب كيف يكون لنبى أو رسول بلغ عن ربه أنه لا تدركه الأبصار ، ثم يقول : أنا أدركته ببصرى ، ورأيته بعين رأسى ، وهل يفعل هذا إلا مبرسم غلب على عقله ، ومن الواجب تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن مثله •

وأما قوله : وأيضا فكما أنه سبحانه وتعالى مخالف لمخلوقاته فى جميع صفاته ، فكذلك رؤيتنا له مخالفة لرؤية بعضنا بعض ، ولا نشترط فى رؤياه الجهة والمقابلة وعدم المانع ، كما اشترطه الفلاسفة ذلك ، فذلك أمر عادى ، والقيامة محل خرق العادات • انتهى ؟

ويقال له : ان سلمت أبطال الرؤية المعهودة ، وجمعت الى كونها رؤية أخرى من جنس خرق العوائد ، لأن القيامة محل خرق العادات ، فاعلم أن خرق العوائد غير ممتنع فى الدنيا ولا فى الآخرة ، بل معجزات الرسل ، وكرامات الأولياء كلها خرق عادة وإلا فلا معجزة ، ولا كرامة ، وهذا باطل ، واذا ثبت خرق العوائد فى الدنيا ، وكان هذا من باب خرق العادات ، فأى مانع من كونه فى الدنيا كرامة لموسى عليه السلام ، ومعجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم حتى ترى أمته ربها ، وقد سأله قومه ذلك ، كما سأله قوم موسى من قبل إن كان هو الجائز والممكن على قولكم •

ثم ان كان هذا من باب خرق العوائد فقط ، فهل لا يجوز فى هذه الرؤية أن تكون باليدين أو الرجلين أو بهامة الرأس أو بالأنف أو بالأذنين ، فذلك أظهر فى خرق العادة ، وأدل على عظيم القدرة ، وأى مانع من كونه كذلك ، والله لا يعجزه شىء ، واذا أمكن التعلق بالقدرة فى المستحيلات ، فكل هذا ممكن لكنه مستحيل ، كقول المتعنت هل يقدر الله أن يحدث فى الكون شيئا لم يخلقه هو ولا جواب له إلا أن هذا مستحيل غير مضاد للقدرة ولا معجز لها ، ولكنه محال ، والله منزه عنه سبحانه وتعالى عما يقول المبطلون علوا كبيرا •

فكذلك رؤيته سبحانه وتعالى على غير سبيل النظر ، وادراك البصر مستحيلة متضادة متناقضة لتأديتها الى رؤية غير مرئى من ناظر لم ينظره بعينه ، وانما هى خرق عادة لا تكييف لها ، وانما هى دعوى مدع لم يأت عليها ببرهان واضح ، ولا حجة قيمة ولا دلالة صدق من كتاب ولا سنة ، ولا اجماع أمة •

فيا معشر المدعين ، هل من بينة حق أو برهان مبين ؟ أم هل عندكم من سلطان بهذا عن الله فأتونى به ان كنتم صدقين ؟ أم تقولون

على الله ما لا تعلمون ، فاتقوا الله وارجعوا الى الحق ، واسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ، والله أعلم وبه التوفيق .

*** مسألة :**

ومنه : سأل بعض الطلبة المتعلمين عن ما يوجد فى الأثر أن ذاته تعالى هى اثباته ، فقال على أثر ذلك : تفضل بين لنا فى الذات والاثبات مالا يزيل قناع الجهل عنا ويذهب صدأ الصدور منا مأجورا إن شاء الله ؟

الجواب :

بعد حمد الله ، والثناء عليه بما هو له أهل ، أن معرفة الله بصفاته وأفعاله الخاصة اذا خطرت بالبال من عاقل بالغ مما لا يسع الجهل به ، فهى مما لا يسع جهله على حال ، لأنها مما تقوم به الحجة من العقل بلا جدال ، وقيام الحجة بها خاص بالمعانى المدركة التى تبعث بها رسل الله صلى الله عليهم وسلم والعقل عن الحضرة الإلهية ، لمن هدى بنور الفهم لاتباع الحق ، أتت به الواردات الإلهامية فهى من الله تعالى رسالة باطنية ، تقوم بها الحجة على من يلى بها ، كما تقوم بالرسل الظاهرية ، فلا جواز للعدول عنها . ولا الشك فيها ، ولا الرجوع الى ما يوجب اللبس من الوساوس الشيطانية .

فمن خطر على قلبه مثلا أن له أو لشىء من الموجودات أو لجميع الكائنات المحدثات إلها وربا ، وخالقا أو محدثا ، أو صانعا أو مقدرا أو مدبرا لزمه الاقرار لمولاه بذلك فى الحال ، ولم يوسع له فى الجهل به على اعتقاد السؤال ، لأنه لو نظر فى نفسه مثلا ، فعرف ما به من ضعف وعجز لا ينفك عن ملازمته من حال طفولتيه الى بلوغ أشده أو ما فوقه من سنة دع ما تقلب فيه أطوارا ، من حال كونه نطفة

الى علقة ، الى مضغة ، الى عظام ولحم ودم ، الى أن أنشأه الله بنفخ الروح فيه خلقا فتبارك الله أحسن الخالقين •

علم بالضرورة أنه حادث بعد أن لم يك شيئا مذكورا ، وعلم بالضرورة استحالة كونه خالقا لنفسه ، كما لا يتصور أن تكون النطفة هى التى خلقت نفسها جنينا فى الرحم . فلزم من ذلك أن له خالقا غيره ، خلقه وأحدثه وأنشأه وبرأه وصوره وابتدعه واخترعه •

وكما بطل أن يكون الحادث محدثا لنفسه ، فكذا فى غيره لأن من عجز عن نفسه فهو عن غيره أعجز ، لأنه يلزم منه وجدان محدث أحدثه ، فمحدث محدث لمحدث محدث ، فيتسلسل الى غير نهاية ، وهو باطل . والحق أن المحدثات كلها متساوية فى صفة العجز والفقر ، والضرورة الى محدثها الموصوف بالقدم والأزلية ، لأنه لو كان حادثا لكان له محدث أحدثه كغيره من المحدثات وهو باطل •

واذا ثبت أنه خالق الكل ومحدثهم ومنشئهم ، فلا شك أنهم له عبيد ومملوكون ، ولابد للعبد من سيد هو ربه ومالكه الذى تحق له الطاعة والعبادة ، والخضوع والخشية ، فهو الرب والإله ، والسيد والملك والمالك •

ولا يجوز اطلاق هذه الأوصاف على كثيرين لاقتضائها المنازعة فى الممالك ، وإيذانها بنقص القدرة والاتصاف بالعجز والشركة ، وهو مناقض لصفة الألوهية ، فدل على أنه واحد أحد ، فرد صمد على عظيم ، متعال كبير ؛ منزه عن كل وصف ناقص ذميم ، موصوف بكل صفة جميلة حميدة عظيمة ، فلا شىء يشابهه فى ذات ولا صفة ، لاستحالة أن تشابه الصنعة صانعها : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) •

واعلم أن وجه الاستدلال على ثبوت الصفات الإلهية ، قـد يمكن أن يكون من طرق شتى متباينة مواردها ، متفقة أحكامها ، فان من قـام له البرهان الصحيح مثلا بثبوت الألوهية لواجب الوجود سبحانه وتعالى ، اذا تصـور فى نفسـه ، هل يجـوز فى هذا الاله أن يكون متصفا بشىء من النقائص أو الرذائل أو المفاسـد ، وجب عليه نفى ذلك عنـه فى الحـال ، لأن من كانت هذه صفته فليس بإله ، فهـذه طريق واضحة فى نفى الصفات القبيحة عنه كلها من الفنـاء والموت ، والحـدوث والعجز ، والفاقة والضعف ، والصاحبة والولد والشريك ، والثانى والثالث ، والعمى والجهـل ، والصمم والخـرس والبكم ، والغفلة والسـهو ، والسـنة والنوم ، والجور والظلم ، وهكذا فى سائرها ، وفى هـذا اثبات لصفاته تعالى كلها ، لأن نفى الجهل مثلا يثبت له العـلم ، ويبقى العجز يثبت له لقـدرة وهكذا .

والطريق الثانية : اذا خطـر بباله مثلا فى الإلـه سبحانه وتعالى أنه : هل هو متصف بالصـفات الحميدة الكاملة الجميلة ، وجب عليـه العلم بأنه كذلك ، لأن من لم يتصف بهذه فلابد أن يتصـف بأضـدادها من النقائص والقبائح ، تنزه عنهـا وتقدس ، فلا يمكن اذا خطـر بباله أنه عليم وحكيم ، أو سميع أو بصـير ، وهكذا لأن يصفه بذلك ، لأن من لم يكن كذلك فهو عاجز جاهل أحمـق بليـد ذليل ، ومن كان كـذلك فليس بإلـه .

الطريق الثالثة : النظر فى أفعاله الخاصة ، فانه من علم أنـه خالق هذه المحدثات الكثيرة كلهـا من أملاكهـا وأفلاكهـا ، وعرشها وفرشها ، وإنسها وجنهـا أحيـا وأمات ، وأعطى ومنع ، ووضـع ورفع ، وفعـل ما شاء علم أن مثل هذا لايكون إلا عن إرادة ومشـيئة عالية ، من ملك عظيم مريد لخلق ما خلق قوى عليـه ، قادر قهار له ، قابض عليم لـه بحاله ، خبير سميع بصير حكيم عدل فى قضـائه ، بر بأوليائه ، رازق

لخلقه ، باسط لرزقه ، كريم رحيم ، على عظيم ، وهكذا فى سائرها ، لأنه لو جاز أن لا يكون عليما أو حكيما ، أو قديرا لكان جاهلا غير متقن لصنعه ، ولا قادر لفعله ، وهكذا وقد ثبت بالمشاهدة والبراهين بطلانه ، وبالنظر فى نفسه كفاية عن النظر فى الأفلاك والأملاك لمن فهم ، لأن الحكم على البعض ، والكل فى هذا سواء •

والطريق الرابعة : النظر فى أفعاله الخاصة على معنى التنزيه له والتقديس عن الصفات الناقصة الذميمة ، فنقول : ان هذه الكائنات كلها ناطقة له بلسان التوحيد ، أن مثل هذا الخلق والصنع المتقن ، لا يصدر عن فاعل ضعيف ، ولا عاجز ولا جاهل ، ولا مغلوب ولا مقهور ، ولا منازع ولا مدافع ، ولا مستعين بغيره ، ولا محتاج الى سواه ، ولا مفتقر الى ما يخلقه ، وهكذا وفى هذا ثبوت لأضدادها من الصفات الكمالية على طريق ما سبق •

الطريق الخامسة : هى التى نبه عليها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « من عرف نفسه عرف ربه » ولأهل العلم فى بيان معرفة الله تعالى بما دل عليه ، هذا الحديث لصحيح من معرفة العبد نفسه ثلاثة مذاهب :

أحدها ، وهو أوضحها : أن نفس العبد تستفاد منها ، أوصاف العبودية كلها ، ولفظة الرب دالة على صفات الربوبية كلها ، فكل صفات الربوبية على ضد صفات العبودية والعكس ، فمن عرف نفسه بالعبودية والحدوث والفناء ، والعجز والضعف والجهل والخفة والطيش ، وغاية الفقر والضرورة ، والذلة والمسكنة ، وكونه غرضا للحوادث والهموم والأسقام ، ومرور الليالى والأيام ، والاحتياج الى الصاحبة والولد ، والمعين والمشير ، ولزمان والمكان •

وهكذ عرف بها صفات الربوبية أنها على الضد من هـذا ، فأثبت لمولاه تعالى صفة الربوبية والقدم ، والبقاء والحيـاة ، والقدرة والعلم ، والكرم والعزة ، والعظم وهكذا •

وثانيها : أنه اذا نظر فى صفات نفسـه الجميلة التى جعلها اللـه مظاهر لصفاته الكمالية ، علم بها صفات ربه تعالى فى جمـالها وكمالها ، فأنت يا عبد على سبيل المجازحى قدير ، قوى مريد ، متكلم عليم ، حكيم خبير ، سميع بصير ، معط باسط ، مدبر ولى ، كريم رحيم ، وهكذا هذه خلعة ألبسكها مولاك ، لتكون شهادة عليك له اذا أنكرت معرفته بهواك ، فانه بالحقيقة هو الحى القدير المريـد ، المتكلم العليم الحكيم ، القابض الباسط ، الرازق المنعم ، وهكذا فقد صـارت أوصافك الذميمة القاصرة ، مظاهر لصفاته المقدسـة ، كما ترى فهى واضحة ظاهرة •

وثالثها : ما قاله بعض الصـوفية : ان النفس هاهنـا عبـارة عن الروح ، وهى أمر الهى غيبى ، لا يبلغ العبـد الى معرفة ما هى حـق المعرفة ، واذا لم يعـرف ماهية نفسه حـق المعـرفة ، فكيف بمعـرفة الذات الالهية على ما هى عليه ، فذلك ما لا سبيل اليه •

ثم اذا كانت هذه روحك التى بين جنبيك ، وأنت لا تراهـا بعينيك ، ولا تسمعها بأذنيك ، ولا تمسها بيديك ، ولا تذوقها بشفتيك ، ولا تشمها بمنخريك ، ولا يتوهمها قلبـك ، ولا يبلغهـا فهمك ، ولا تعـرف كيفية اتصالها بجسمك ، ولا انفصالها عنه ، ولا موضـع استقرارها فيه ولا أنها فوقه ولا تحتـه ولا وسـطه ، ولا هى أقرب الى شىء منـه عن شىء ، ولا أبعد عن شىء منه الى شىء الى غير ذلك من صفاتها •

فبذلك تعلم أن الذات الالهية المقدسة ، منزهة عن وصفها بالجسـم والعرض والشكل والحلول ، والاستعلاء والنزول ، والحـركة والسكون ،

والاتصـال والانفصال ، وقرب المسـافة بعدها ، وعن مماسة الحواس ؛ وبلوغ الوهـم والقياس ، واحاطة الفكر ، وادراك البصر ونحـو هذا ، وكمـا أن الروح مقومة لجسـدها بحلولها فيه فهو حى بها ، عليم مريد الى غير ذلك ، فالله أولى بذلك ، قامت السموات والأرض ومن فيهن ، خلقا واستمدادا لتكوينهن وبقائهن ، وافاضـة كل خـير عليهن ؛ فهـو القائم بذاته ، والقائم على ما سواه بكل شىء ، بل لا قيـام بالحقيقة لغيره ، إذ لا قيـام له إلا به ، فهـو الواجب الوجود لذاته ، ولا وجود لغـيره إلا به ، فما ثم على الحقيقة إلا هو سبحانه وتعالى •

والقول الحق أن هذا الحديث لمـن الكلام البليغ ، والقول الفصل ، بل هو من جوامع الكلم التى أوتيها صلى الله عليه وسلم ، فاستأثر بهـا على من سـواه من أهـل البلاغة واللسن ، وهو على ما به من فصاحة لفظه ، وحسن بيانه ، وبلاغة معنـاه ، جامع لمعانى هذه المذاهب كلهـا ، فتأويله بمجموعها ، وتفسيره بها كلهـا ، هو الأليـق والأصح والأولى والأرجح ليكون دائما على معرفته تعالى ، من كل وجـه تارة على الذات ، وأخرى على الصفات ، ألا وربما حسن الاستدلال على بعض الصفات بالمذهب الأول خاصـة ، كمعرفة الألوهية والربوبية من ضدها ، ألا وهى العبودية ، فهو أعم من الثانى ، وكلاهمـا فى الصفات ، والمذهب الثالث فى الذات واذا ثبت الحديث المشار اليه فى عمومه يتنـاول المذاهب كلهـا بدلالة مفهومة ، والقـول فى تأويله بجميع ذلك هو المذهب الرابع •

واعلم أنه لا يلزم أن يكون العبد المكلف عارفا بجميع صفات الله تعالى وأسمائه من أول وهلة ، ولا فى قدرته أن يخطـر شيئا من ذلك على قلبه قبل أن يفتح له باب النظر فيه ، فاذا أراد الله أن يبتليه بـه ليثبت عليـه التكليف به ألقى ذلك على قلبه بالهام أو تفكر أو استدلال ، أو نظر أو عبرة و ما زاد عليـه من وجـدانه مكتوبا ، أو سماعه متلوا أو مقـولا بـه على طـريق الانكار ، أو على وجـه الاقرار من حـر أو عبـد بالغ ، أو صبى عاقل ، أو مجنـون مسلم أو مشرف موافـق

أو مخالف ، فاذا فهم معنـاه من أى وجـه كان فقد قامت به عليـه لله الحجة البالغه ، وضـاق عليه الجهل به ، والشك فيه ، والانكار له ، ووجب عليه الاقرار به والاسـلام •

وبأى صفة قامت عليه الحجة دون غيرها من الصفات ، كانت وحدها كافية له لثبوت الاسـلام ، وهى اذن فى حقـه من جملة الاسـلام انتى دعى اليها على الخصوص ، فاذا آمن بهـا كان مسلما مؤمنـا برا ، تقيا صالحا عدلا وليـا ، وهو على ذلك ما لم يخطـر على باله شىء غيرهـا من هذا الباب ، من باب ما لا يسع الجهـل به ، فلا يسـعه حينئذ إلا أن يقـر بجميع ما قامت بـه عليه الحجـة من ربـه ، وإلا كان ناقضـا لعهده ، شاكا فى جملته ، محكوما بشركه ان ردها جحدا وشكا ، وبكفره ونفاقه وفسقه ان ردها أوشك فيها بالباطل تأولا •

واعلم أيضا أنه لا تقوم الحجة فى هذا الباب بنفس الألفـاظ على من لم يفهم معنـاها ، والمراد بها ، فالعجمى مثلا اذا لم يدر ما معنى قول العرب : الخالق والرازق ، والرب والإله ، لم تقم عليـه الحجـة العقلية بسماع هذه الألفاظ التى لا فرق بينها وبين سماع صـوت الحجر على الحجر ، فى حق من لم يبلغ الى فهمها ، لأن ذلك مما ليس فى طاقته ، وتكليف ما لا يستطاع محال ، وكذا العربى فى هذه القضية ان سـمع مثل هذا من اللغات الأعجمية ، بل كل لفظ يهتد السامع الى معناه سـواء كان اللفظ عجميا أو عربيا ، وكـذا السامع سواء كان أعجميا أو عربيا ، فكله فى الحكم سواء ، لأن الأصـل الذى قامت به الحجة فيهـا واحـد ، وهو معرفة المعانى وصحة إدراكهـا بالفهم من أى وجـه كان ذلك ، وهذا لا خـلاف بين أهل الفقـه فيه •

فانظر فيما أسلفناه وقس عليـه قول من صرح بأن ذاته تعـالى اثباته ، وما جاء فى موضع آخـر من الأثر أن ذاته قدرته ومشيته ، فهى

فى الأصل من باب الألفاظ والعبارات التى يسع جهلها ، ولا يلــزم تكلف النظر فيها ، فان الموحد تام الايمان ثابت الاســلام بدونهــا ، ولا يلزمه البحث والتنقير عن مشكل الألفاظ والعبارات ، بعد صحة معرفته ، وكمال ايمانه واقراره ، بأنه تعالى أحد صمد ، ليس كمثله شيء ، وهــو السميع البصير ؛ ألا وان فى قطع النظر عن البحث عن أكثر دقائق عبارات المتكلمين ســلامة للضعفاء ، من اقتحــام اللجج التى غرق فيهــا أكثر العالمين ، وقد دل على ذلك صاحب الشرع صلوات الله عليه فى مسألة القدر ، فقال : « القدر سر الله فى أرضه فلا تتكلفوه » .

واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أشفق من النظر فيــه على أمته ، وما هو بالنســبة الى علم التوحيد إلا قطــرة من وابله ، وموجــة فى ساحله ، فما ظنــك بمطلق الخوض فى الكلام على الــذات العظيمة ، والصفات الكريمة ، والأفعال الجسيمة ، فان لله تعالى سبعين حجابا من نور ، لو تقدم العبد فيهــا قدر أنملة لاحترق ، وانما ثبــت التكليف ، وحصــل الاذن بما هــو الكافى فى معرفته ، والموصــل الى العلم بــه ، وللسالكين فى وصــولهم الى معرفته تعالى طــرق كثيرة ، وأى طريقة كانت موصلة للعبد الى باب ربه الكريم ، فهى طريق الحــق وسبيله المستقيم ، ومن ضل عنها فى سلوكه قادما الوهم الى مهواة تسمى الهاوية والجحيم ، فقــوم سلكوا اليه فى استدلالهم عليه مسلك الحكمــة الفلسفية ، فاستدلوا عليه بأقيسة عقلية ، ونتائج فكرية ، حتى عرفوه فى زعمهم بالحجة والبرهان .

وقال آخــرون : انه لا تتم معرفته الا لأهل الطريقة الصــوفية ، فاشتغلوا بتصفية القلب عن الشواغل الحسية ، وألزموه التبتل الى الله تعالى ، والانقطاع اليه بالكلية ، وأداموا له حضــور القلب وسره ، مع ملازمة ذكره ، حتى يتحلى القلب بما يتجلى عليه من الواردات الالهية ،

وزعموا أنه لا حاجة الى تقويم البراهين عليـــه ، وأنهم قد وصلوا الى معرفته بالشهود والعيـــان •

وقوم وقفوا عند الألفاظ القرآنية ، والعبارات الفرقانية ، والأحاديث النبوية ، وقالو : انهـــا هى التى جاءت عن الله تعالى بالهدى والبيان •

وفرقة تقول : ان الله تعالى لم يأمر أحدا بالنظر ، ولا بالفكرة فى ذاته ، ولكنه أمر بالنظر فى مخلوقاته ، والعبرة فى مصنوعاته ، فقـــال : (أو لم يتفكروا فى خلق السموات والأرض) وقال : (ان فى خلق السموات والأرض واختـــلاف الليـــل والنهـــار لآيات) فهى دلائـــل توحيده ، وشواهد تفريده فى كل زمان ، الى غير هذا وكلهـــا إما حـــق فى نفسها ، أو قابلة للحـــق عند من اقتدر على التصرف بها بموجب الهداية ان سبقت له بهـــا من الله عنـــاية ، وانما يضـــل بها من ضـــل ، بســـوء فهم ، وغلبة وهم ، أو عمى بصر عن ادراك الحقائق ، أو ســـبق عقيدة فاسدة مضلة تعمى القلوب عن اتباع الأدلة إلا من أمده الله تعالى بأنواره ، وأطلعه من علم توحيده على غوامض أسراره ، وجعله من الراســـخين فى العلم ، والناظرين الى الحقـــائق بنور الفهم ، فهم أهـــل النقل فيما به نزول الشبهات ، وتنجلى الظلمات ، لأنهم لعباد الله هداة ، والى سبيل اللـــه دعاة ، وقليل ما هم ولا سيما فى هذا الزمان الذى تراكمت فيـــه الظلم وقل فيه من أهل الخير الهمم •

ولم يوجد فيه من الخير شىء يعرف إلا معرفة الله تعالى ، والوقوف على بابه فى كل ما أتى به ، وعنـــدى أن ابتغـــاء معرفته تعالى من هذه العبارات المحررة ، فى تلك الآثار المقررة ، بأن ذاته تعالى اثباته أو هى قدرته ومشيئته انه لبعيد عن الحصـــول ، وانـــه لفى غاية البعـــد عن الأصـــول ، لأن القدرة والمشيئة صفتان من صفات ذاته ، وكذلك الثبات بفتح المثلثة بمعنى دوامه وبقائه •

وأما الاثبات بزيادة الهمزة فكأنها أبعد لأنها تفيد التعدية فى هذا الموضع ، وهى باطلة لأن المفعـول لا يكون إلا لفاعل ، ولا يجـوز أن يكون فاعلهـا هو سبحانه وتعالى ، لاستحالة أن يكون مثبتـا لنفسـه ، فكيف به من غيره ، فهو الغنى بذاته عن أن يصل اليه النفع منه ، فكيف بـه ممن سـواه ، فلم يبق لهـا معنى نعـرفه ، اللهم إلا أن يقـدر حذف مضاف مع ذاته فيقال : اثبات ذاته اثباته ، فالمعنى صحيح ، ويكون اثبات الذات هاهنـا بمعنى اعتقـادها ثابتـة ، وتلك عبارة عن الاقرار بوجودها ، وعدم انكار ثباتها ٠

ومنـه : عبـارتهم بالنفى والاثبـات ، فى لفظ الهيـللة لاثبـات الوحدانية والألوهية ، لكن هذا تحصيل حاصل من دون طائل ، والظن به أن الهمزة فيه إما غلط من ناسـخه أو خطـأ من قائله ، فيرد الى بـاب العبـارة عن الذات ببعض الصفات ، كالقدرة والمشيئة والارادة والعلم وغيرها ، وليس هو بشىء أيضا ، وإلا لجاز أن يكون كل من الصفات إلهـا على حدة وهذا باطل ، وهـذا باطل ، وتحقيق القـول فيه يستدعى فتح الكلام فى الذات والصفات ، فلابد من كشف طريق الحق فيـه بتمهيـد قواعد الاستدلال بما يذهب عن الناظر فيه ان شاء الله تعالى ظلمـات اللبس ٠

والاشكال والأصل الذى ذهب اليه أصحابنا فى هذا أن صفاته تعالى مثلا بالحيـاة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر ، والارادة وغيرها من صفاته تبارك وتعالى ، أنهـا ليست بشىء زائد فى ذاته لئـلا يلـزم الحلول فى ذاته ، ولا زائد من ذاته ، لئـلا يلزم التبعيض فى ذاته ، ولا زائد على ذاته ، لئلا يلزم افتقاره الى ما يزيد على ذاته ، فهـو سبحانه مثلا عالم لا بعلم يعلم به ، وقادر لا بقدرة يقدر بها ٠

وهكذا فى سائرها ، لأنـه لو كان يعلم بعـلم ، ويقدر بقدرة ، فلابد إما ن يكون ذلك العلم هو هو فيقتضى أن العلم هو الإله ، وأن الإله هو العلم ، وهـذا باطل وإلا لجـاز أن يكون العلم بالقـوم ،

والقدرة إلهـا لغـيرهم ، والارادة معبودا لآخـرين ، وهكذا وهـذا باطل لا يدعيـه أحـد ، لأنه شرك ظاهر ، وأما أن يـكون العـلم هو غيره فيلزم منـه افتقار الله سبحانه الى غيره ، وهذا باطـل لأن من كان مفتقرا الى غيره فليس بإله ، وأما أن يكون ذلك العـلم لا هـو هو ، ولا هـو غيره ، وهـذا باطل لعـدم الثالث •

واعلم بأن القول بأنه تعالى يعلم بعلم هو غيره ، وأن له ارادة هى غيره ، فلابد له من أحـد أمرين : إما قوله : بأن صفاته تعـالى حادثة ، فيكون الرب سبحانه وتعالى محلا للحوادث وكل محل للحوادث فهو حادث ، وهذا باطل ، واما أن يقال انها قديمة أزلية معه ، لا هى هو ، ولا هى من خلقه ، فيكون له شركاء كثيرة فى وصف القدم والأولية ، وفيه رجوع عن القول بالتوحيد والفردانية ، الى التصريح الاثنين والثالث ، ومازاد وهذا باطل ، ولابد فى كل واحـد من هذه الأشياء الموصـوفة بالقـدم والأولية من أن يكون ربـا أو مربوبا وإلهـا أو مألوها ، وكل هـذا باطل ، والحـق لا إله إلا هو فلا قديم غيره ، ولا أول سـواه •

وكلما جاز القول فيه بأنه غيره فلا يجـوز أبـدا إلا أن يـكون مخلوقا له ، محـدثا مصنوعا كغيره من المخلوقات ، والقول بهـذا فى صفات الله تعالى باطل لمـا تقـرر ، والحـق الـذى لا مرية فيـه ما قاله أصحابنا من تجريد الصفات عن الذات المقدسـة ، مع اتصافها بهـا ، فقالوا : إنه يعلم بذاته ويقـدر بنفسـه ، وكـذا فى يسـمع ويبصر ، ويقدر ويشاء ، ويريـد وغـير هذا ، فهـو عالم بذاتـه ، وقدير بهـا وهكذا ، وهو معنى قولهم فى صفاته انهـا هى عين ذاته ، فليس مرادهم به إلا سكب الصفات عن ذاته الكريمة ، مع اتصافها بها بمعنى أنه ليس ثم من صفة زائدة على ذاته المقدسة أبدا •

فقولهم : انه عالم بذاته مثلا لا معنى له غير اثبـات العلم لذاته

العظيمة ، بمعنى أن ذاته تعالى عظيمة لا فرق بين قولنـــا : ان ذاتـــه عليمة خبيرة وبين قولنا : هو العليم الخبير •

وكذا قولهم : انه سميع بذاته ، بصير بنفسه ، وقولك ذاته سميعة بصـــيرة عليمة خبيرة كله ســـواء ، وكله لا يراد به إلا معنى قولك انه هو السميع البصير ، العليم الخبير ، لأن ذاتـــه سبحانه هى حقيقته الخاصـــة التى هى هو بلا جـــدال ، فلا فرق بين قولك ذاته عليمة ، وقولك هو العليم •

لكن قولك عليم بذاته فيه مزيد ايضـــاح ، وكشـــف للحقيقة ، ودفع للأغاليط الوهمية من العقيدة الأشعريه فى قولهم : انـــه تعالى يعلم بعلم ، ويقدر بقدرة ، واثباتهم لـــه صفات قديمة قائمة بذاتـــه العظيمة ، وبطـــلان هذا واضح بما سبق •

ومن تأمل فيما قاله أصحابنا فى هذا الأصـــل العظيم ليجـــد ولا شك أنه هو عين ما جـــاء به القرآن الكريم ، كمـــا رأيت أن قولهم : انـــه سميع بذاته ، بصير بها ، هو معنى قوله تعالى : (وهو السميع البصير) فعلى من عـــدل عن هذا الى اقامة الحجة على قوله ، وايضـــاح الدليل ، وقد قام البرهان على بطـــلان قوله ، فما الى ذلك من سبيل •

واعلم أن لأصحابنا فى تعريف صفاته الذاتية سبحانه وتعالى قولين كلاهما يخرج على الصواب ، وقد رأيت تكميل الفـــائدة بذكرهمـــا فى هـــذا الجـــواب :

أحدهما أن يقال فى هذه الصفات : إنهـــا أمـــور اعتبـــارية ، يراد بهـــا نفى أضدادها من النقائص المنزه عنهـــا سبحانه ، فوصفه مثـــلا بالحيـــاة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر والكلام ، والكرم والعـــزة والحلم ، عبارة عن تنزيهه عن الأوصاف الناقصـــة من الفناء والعجز ، والجهل والصمم ، والعمي والخرس ، والبخل والذلة والطيش •

وهكذا فان ذاته الكريمة غير قابلة للأوصاف الذميمة ، وهذا كاف من تقريب العبارة لمن شاء ، وبضدها تتبين الأشياء .

واعلم أن صفاته تعالى الكمالية هى أخص بهذا الباب ، اذ لا يحسن عندى أن يقال بغيره فى الجواب ، فوصفه بالأزلية والقدم والأولية ، لا يقتضى إلا نفى الحدوث عنه ، فالقديم ما ليس بحادث ، والأول ما لا شىء قبله ، والأزلى مثله ، والحياة والبقاء عبارة عن عدم موته وفنائه وتغيره وزواله ، والأخيرة عبارة عن عدم تناهيه ، ونفى الفناء عنه والا حدية والوحدانية ، عبارة عن سلب الكثرة ، وتنزيهه عن الثانى والثالث ، ويجوز فيهما أن يكون المراد منهما نفى الحدوث أيضا ، لأن الواحد ما لا شىء قبله ، والأحد كذلك .

وثانيهما أى ثانى القولين : وعندنا إتيانهما أن يقال فى صفاته تعالى : انها أمور اعتبارية ، بحسب تجليات أعيان الوجود وتأثرها وانفعالها للذات العلية ، وهى الفاعلة بذاتها ، والمنكشفة لها الحقائق بها ، فما ثم صفة زائدة عليها ، فاذا وصفناه مثلا بالعلم قلنا : إن ذاته المقدسة كافية فى انكشاف حقائق الأشياء لها انكشافا تاما ، فهى حقيقة صفته بالعلم ، فاذا خص ذلك الانكشاف المذكور بالمسموعات والمرئيات ، فقيل : ان ذاته الكريمة فيه فى تجلى كل مسموع أو منظور بها ، تجليا حقيقيا على ما هو عليه ، فهو حقيقة وصفه تعالى بالسمع والبصر ، فاذا تجلت ذاته العظيمة على شىء بما تشاء من ايجاد معدوم ، أو اعدام موجود أو غيرهما من أفعاله الخاصة ، انفعلت لها الأكوان بلا واسطة ، وهى الحالة المعبر عنها بكن فيكون فى قوله : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) ، وهى المعبر عنها بالعقل والانفعال بصورة الأمر ، والجواب فى قوله تعالى : (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) .

ولما كان مثل هذا لا يكون إلا من مريد قادر قهار ، قابض مدبر ، على عظيم ، خبير عليم ، متقن حكيم ، متصرف خالق بارىء مصور ، فعال لما يريد ، وصف بالارادة والمشيئة ، والقوة والقدرة ، والكبرياء والعظمة ، والقهر والغلبة ، والعلم والحكمة ، وهكذا فكانت أسماء هذه الصفات ومعانيها بمقتضى مدلولاتها ، وهو معنى قولنا بحسب تأثر أعيان الوجود وانفعالها للذات العلية ، فالفاعل واحد ، وذاته كافية فى كل ما يريد ، والأشياء كلها منفعلة لذاته على وفق ارادته ، فهو الفاعل بذاته ، خالق بها ، محدث مخترع ، موجد معدم ، منشىء مبدىء ، معيد بذاته الكريمة ، كما هو عليم بذاته ، سميع بصير بها •

ولا يتصور فى بال عاقل أبدا أن يكون الإله محتاجا الى غيره فى شيء من أفعاله ، مفتقرا إلى وزير ومعين ، ومدبر ومشير ، وهذا باطل ، والحق أنه هو الغنى بذاته ، والفعال لما يريد بها لا بشيء آخر ، فارادته وأمره وفعله غير مقصورة على العلل والطبائع والأفلاك ، والكواكب والعقول ، والنور والظلمة ، والدهور سبحانه وتعالى عن ذلك ، فهو فاعل كل ذلك وخالقه ، ومحدثه ومخترعه ، ومكونه قبل الأكوان والعلل والأزمان ، وكان فى أزله قادرا قويا بذاته على خلق كل ذلك واتقانه واخراجه من غيب العدم الكلى ، الى ظهور الوجود الشهودى كما شاء وأراده من غير استعانة بشيء ، ولا احتياج الى شيء ، كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما كان عليه •

وهكذا القول فى سائر صفاته وأفعاله ، فان أسماء الصفات والأفعال ، انما كانت متعددة كثيرة ، لكثرة معلوماتها ، وتعدد مدلولاتها ، تقريبا لأفهام العباد ليتوصلوا الى معرفته التى هى سبب فلاحهم ، وكيمياء سعادتهم ، والأصل فى صفاته تعالى أنها شيء واحد فى الحقيقة ، باعتبار تجلى ذاته المقدسة على كل شيء ، لكنها باعتبار الأمور الخارجية من عدد التجليات ، وتنوع المتجليات للذات الكريمة ،

تكون أنواعـــا عديدة بحسب ذلك ، فلو سمى العلم مثلا قدرة أو قهرا أو كبرياء أو عـزة لمـا صح ذلك معنى ولا لغــة ، وكذا لو ســمى السمع بصرا ، أو البصر سمعا أو أحدهمــا قدرة ، أو القدرة كلاما أو الكلام مشيئة ، أو المشيئة قهرا وهكذا •

وقد راعى الله هذا الاعتبار الخارجى فى خطابه كما قال الله تعالى فى كتـابه : (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجهــا • وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما) وهو سميع الدعــاء ، والله سميع عليم ، فلا يجـوز فى اطلاق اللغة إلا مراعاة هذه النسب الخارجية ، فلا يقال : ان الله تعالى يبصر الأقوال ، ويرى الأصوات ، وينظر الدعــاء ، كمــا لا يقال : انه يسمع الجبل أو لحجــر أو الشجر أو المدر أو غــيره من كل ساكن فى حال سكونه ، وعــدم تحركه واضطرابه ، ولو قيــل هذا لكان خطأ واضحا ، وغلطا فاضحا لمخالفته أوضــاع اللغة ، واتســاع العــرب فيهــا •

ومثال ذلك : أن الأكل والشرب كليهما عبارة عن اســاغة شىء فى الحلقوم من الفم الى البطن ، فهما معنى واحــد فى الأصــل ، لكن واضع اللغة حض تسمية الاســاغة من المائعــات بالشرب ، والجامدات بالأكل ، فلو قيــل : أكلت ماء ، أو شربت طعاما لكان خطأ ولهذا احتاجوا الى التأويل فيما أفهم العكس فى قول الشاعر :

❋ فعلفتهــا تبنـــا ومــاء بــاردا ❋

ان انتصاب الماء بفعل مقدر أى وسقيتها ماء باردا ، لأن المــاء لا يعلف ، وانمــا يسقى ، وهذا معنى فى اللغة لا يخفى على من عرفها ، وليس هو مما نحــن بصدده من الكلام على الحقــائق على الأزلية فى بيــان الوحدانية بالاكتفاء بالذات القدسية ، فى جميع صفاتها الحقانية كما تقــرر ، فنقول : انه تعــالى يسمع بما به يبصر ، ويبصر بما به

يعلم ، ويقـدر بما به يعلم ، ويعلم بما به يقـدر ، ويقـدر بما به يخلق ، ويخلق بما به يعطى ، ويعطى بما به يمنع ، ويحيى بما به يميت ، ويميت بما به يحيى وهكذا ، وهـذا ظاهر بما سـبق ، والذى يقـع فى حدسى فيما ذكرناه من هذا كفاية عن المزيد ، لمـن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد •

فانظر فى هذا وما سألت عنه من تلك العبارة ، والى الله أعتـذر من قصـور فهى عن ردها الى أصـول الحق فى تصريح أو اشـارة ، وهو يعلم منى أننى لا أريـد بما ذكرته فى هذا محبـة للخلاف ، فليس من مذهبى الطعن ولا الازدراء بالأسلاف ، ولكنى رأيته مزلة للأقـدام ، ومدحضة للأحـلام ، ومجلية للأوهام ، فربما اعتقده كذلك الناسكون ، أو تاه فى أودية الفكرة به السالكون ، أو وقف بين قبـوله ورده لعجز عن فهمه الضعفاء المتمسكون •

ألا وان نشر العلم فى موضع الحاجة اليه لمن الواجبـات ، على من قدر عليه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « من أتاه اللـه علمـا فكتمه عن الناس فى موضع حاجتهم اليه ألجمه الله بلجـام من نار » فهذا يجب ابتداء فكيف به اذا سأل عنه من لا يجـوز أن يبخل بالحكمة عليه ، فيعد ذلك ظلما فى حق من قصد اليه بشهادة الحـديث الصحيح : « لا تضعوا الحكمة فى غير موضعها فتظلموها ، ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم » والله أسأله الحمـاية والتوفيق الى الهداية •

*** مسـألة :**

ومن بعض الكتب المغربية : واعلم بأن القـوم عارضونا بخمس هيئات :

أولها قالوا : ان زعمتم أن الذات واحدة ذات البارى سبحانه ، وأن صفاته هى هو لا غيره ، فقولوا : علم الله هو الله ، وقدرة الله هو الله فى أمثالها •

الثانية : ان أجزتم هذه فقولوا : الله هو العلم ، والله هو القدرة فى أمثالها •

والثالثة : فقولوا : ان العلم هو القدرة ، والقدرة هى العلم وغيرها •

والرابعة : أن معنى علم هو معنى قدر ، ومعنى قدر هو معنى علم ، أو غيرها فى أمثالها •

والخامسة : أن هذه الصفات التى ذكرتم ووصفتم الله بها ، لا تخلوا من أن تكون معنى أو غير معنى ، فان كان معنى فهو ما قلنا ، وان كان غير معنى فقد وصفتم الله تعالى بلا معنى •

الرد وبالله التوفيق :

أما الأولى : أما قولهم فى علم الله أنه الله أو غيره ، فان بعض أصحابنا يطلقون على صفة الله تعالى أن نقول هى هو ، فنقول علم الله هو الله لا غيره ، وقدرة الله هى الله ، والأحسن عندى أن نقول ليس هناك غير الله •

وأما الثانية : أن نقول : الله هو العلم ، ونقول : الله هو القدرة ، اعلم أن اللغة منعت عن اطلاق ذلك ، ولولا ذلك ما كان فيه بأس ، وقد جاء فى اللغة اطلاقه ، وفى بعض الأسماء كقولك الله والرب ، والله البر ، والله العدل ، والله الوتر ، والله هو الحق المبين •

وأما الثالثة : أن العلم هو القدرة ، والقدرة هى العلم ، فهذا

ممنوع من جهـــة التخاطب واللغـــة ، ولو أطلقه انســـان لمـــا جـــاز ، وخطؤه فى اللغة هو أحسن حالا ممن أخطأ فى ذات البارى سبحانه •

وأما الرابعة : فانا نمتنع من أن نجعل صفة البارى معاينا لمـــا يتوهم علينا من الغيرة به ، وقد أطلقت الأمة الصفات العليا ، والأسماء الحسنى ؟

فان قالوا : تقولون يعلم نفسه أو لا يعلمها ؟

قلنا : يعلمها ولا نقول لا يعلمها •

فان قالوا : يقدر على نفسه أو لا يقدر عليها ؟

قلنا : لا يجـــوز يقدر على نفســـه ، ولا لا يقدر عليها •

فان قالوا : يريد نفسه أو لا يريدها ؟

قلنا : الجواب فيها كالجـــواب فى التى قبلهـــا انتهى ما أردناه •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى هذا تفضـــل ببيانه مأجـــورا ؟

قال : قد نظرت فيه وما حضرنى من قول فلا أخفيه ان شاء الله تعالى ، أما قوله فى الرد ، فان بعض أصحابنا يطلقون على صفة اللـــه تعالى أن نقـــول هى هـــو فنقول : علم الله هو الله فأقول نعم ، قـــد توجـــد هذه العبـــارة فى قولهـــم ، ولكن على ما بهـــا من الاطـــلاق لا تصح إلا بالتأويل فى حق الملك الخـــلاق ، فان فى قولهـــم المنع من اطلاق كون الرب سبحانه وتعـــالى علما أو حكما أو حلما أو قدرة ، أو قهرا أو رحمة ، أو لطفـــا أو رأفـــة ، أو حيـــاة أو سمعا أو بصرا أو ملكا أو كرما فى أمثالها •

فلو قال قائل : لا إله إلا الكرم أو الحـلم أو القـدرة ، لكان بذلك مشركا ، ولا نعلم أن أحـدا من أصحابنا أجازه ، ولا ادعى بالتصريح غير هذا القائل جوازه ، وقد ذكر فى صحيح الأثر أنه لو جاز هذا لكان الداعى اذا قال لله : يا علم يا رحمة يا حلم يكون مصيبا ، وليس بذلك فانـه بخطأ فاضح ، وغلط واضح ، وقولهم فى الصفات انما هى ليست من هذا الباب أصلا ، فان لها تأويلا ترد به الى ما هو فى الحق أقوم قبل ، أو أوضـح فى الهداية دليـلا ، وستأتى ان شاء الله فى موضعها •

وأما قوله : والأحسن عندى أن يقال : ليس هنـاك غـير الله ، فهو القول الحسن المطابق لقوانين الحق الصحيحة ، بل لا يجـوز فى الحق غيره فدع ما سواه ، وارجع اليـه تظفر من الحق بهداه •

وأما قوله : أيضا وأما الثانية أن نقول : الله هو العلم ، أو نقول : الله هو القدرة ، اعلم أن اللغـة منعت من اطـلاق ذلك ، ولـولا ذلك لـا كان فيه بأس ، فهذه غفلة من قائلها ، ومقالة يشهد العقل والنقل بباطلها ، فلا يقال : ان الله هو السمع والبصر ولا القدرة لما أسلفناه ، فاذا ثبت أن الله هو العلم ثبت أن العلم هو الله ، واذا ثبت أن العلم هو الله ، ثبت أن الله هو العلم لاتحـاد المعنى ، وكله ممنوع بما سبق فى الأثر ، وقد صرح الأثر الصحيح بمنع وجوده ، والعقـل من أكبر شهوده ، فقصر منعه من حيث اللغة فقط قصور ظاهر ، ثم اطلاق مقالته بأنه لولا ذلك لـا كان فيه بأس يقتضى اطـلاق الجواز فى المعنى ، وليس كذلك ، فانه لو صح معنـاه لجاز اطلاقه لغة ، ولا مانع قطعـا ، ولكنه غـير صحيح فى المعنى ، ولا ثابت فى الأصـل ، ولا مستقيم فى الاعتبار ، ولا موافق للأصـول ، ولا مستقر فى العقول ، فمن أين يصح فى اللغة فلا تنطق به لسـان ، ولا يعرفه جنان ، ولا يقـوم له برهان ، لأنه ليس بشىء قطعا •

ومن أعجب العجاب ، ما احتج به فى هـذا الجواب ، لإزالة ما به

من الارتياب بقوله : وقد جـاء فى اللغة اطـلاقه ، وفى بعض الأسماء كقولك : الله الرب ، والله البر ، والله العدل ، والله الوتر ، والله الحـق المبين ، وليس هـذا من ذاك جزما فان هـذا الموضـع هـو محل ما يجتمع على جوازه ، لأنه المصرح به فى الكتاب والسنة كقوله تعالى : (قل هو الله أحـد) ، (الله لا إله إلا هـو الحى القيـوم) وغيرهما فى محل الخبر •

وكذلك فى موضع الوصف بما جاز من الصفات المتصف بها كما فى (بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • ملك يوم الدين) وغيرها ، والفرق بين هذا وذاك ظاهر ، وهو أن نفس أسـماء الصفات أكثر فى الأصـل بصيغة المصـادر ، كالعلم والقـدرة والحياة ، فانها من حيث اللغة مصـادر من علم ، وقدر وحى ، ومنهـا اشتقت الأسماء والصفات ، كالعليم والعلام والعالم ، والقدير والقادر والمقتـدر ، والحى وهكذا فى سـائرها ما تصف بهـا فوصفها تعالى والإخبار عنه بهذه الأسماء والصفات المشتقة من أسماء صفاته وأفعاله ، هو الذى جاء النص به ولا يجـوز القول بمنعه أصـلا •

وأما الإخبار عنه بنفس أسماء الصفات أو وصفه بها فهو الـذى لم يأت به نص ، ولم يجر له فى الكتاب ولا فى السـنة ذكر ، وظاهر قول الفقهاء منعه ، فلا يقال : الله علم ولا قدرة ، كما يقـال : الله عليم وقدير ، ومنع هذا إلا من حيث اللغة كما قرره المصنف ، بل يجوز أن تنعكس هذه المقالة فيقال : ان اللغة باعتبار المجـاز يقتضى الاجـازة له ، لأن النعت بالمصادر على ارادة المبالغة شائع كثير ، وكـذلك فى الاخبار فيجـوز أن يقال : زيد كرم أو عفو أو سماح مبالغة فى وصفه بـذلك •

وعلى قياده فيجوز لو قيل الله سمع وبصر ، ويجـوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أيضا من حيث اللغـة ، فيكون بمعنى هـو

ذو علم وقدرة ، وهذا كله معروف فى اللغة واضح ، لكن لو فتح هذا الباب وقيل بالجواز فيه لاقتحم منه الى أودية اللبس ، واشتبهت معالم التوحيد فيه بمهاوى الشرك والضد لأنه يؤدى الى جواز القول بأن الله خلق أو رزق أو عذاب أو ثواب على حد قوله شعرا :

انما يـدد رزايا وعطايا و

منايا وطعان وضراب

وايراد مثل هذا على سبيل المبالغة جائز لغة ، لكن صفات الرب سبحانه وتعالى تعجز عن وصف حقيقتها الأفهام ، وتتقاصر عن ادراك شأوها الأوهام ، قد عوى المبالغة فيها بما يخالف الحقيقة نقص لكمالها ، وتدنيس لجمالها ، فدع ما لا سبيل اليه ، فلا تقول عليه ، وانظر الى قوله : ان اللغة منعت من اطلاق ذلك ، ليعلم أنه قد ارتبك فى هذه الدقائق ، فجاء بعكس الحقائق ، غفلة منه وسهوا ، جزاه الله خيرا •

قوله : وأما الثالثة أن العلم هو القدرة ، والقدرة هى العلم ، وهذا ممنوع من جهة التخاطب واللغة ، ولو أطلقه انسان لما جاوز خطؤه اللغة ، وهو أحسن حالا ممن أخطأه فى ذات البارى سبحانه • انتهى •

وليس قوله هذا بشىء هذا أنه فى هذا الباب اعتذر عن الجواب ، لكان أهدى الى الصواب ، فان منع القول بتسمية العلم قدرة ، أو القدرة علما ، ليس هو من جهة اللغة فقط ، ولا من باب التخاطب وحده ، لكن حقيقة العلم غير حقيقة القدرة ، وصفاته تعالى وان كانت اعتبارية فحقائقها غير متحدة بطريق الاعتبار جزما ، وإلا لكانت الولاية منه سبحانه وتعالى عداوة ، والرضا سخطا ، والمقت محبة والنقمة نعمة وهكذا •

وهذا كله من تعكيس الحقائق فلا قائل به ، ولو جاز فى المعنى أن يكون كذلك لجاز فى اللغة اطلاقه ، وأى مانع منه ، فاذا جاز أن يتولى الله المشركين ويرضاهم ، ويقربهم ويثيبهم ، ويبلغهم الفراديس العلى ، فأى مانع فى اللغة أن يقال : ان الله قد تولاهم وأحبهم ، ورضيهم وأثابهم ، ولكن قد أبى الله ذلك ، فلم يكن المانع من اطلاق اللغة ، وان ما امتنع لأن الصفة الالهية المسماة بالمحبة والولاية والرضا هى غير الصفة المسماة بالعداوة والمقت والسخت والانتقام ، ولو جاز أن يكون العلم هو القدرة لجاز أن تكون العداوة على الولاية والرضا هو السخط ، والغضب هو الحلم ، والحلم هو الغضب ، وبهذه القاعدة يظهر فساد قوله ، ولو أطلقه انسان لما جاوز خطأه اللغة •

ومن العجب قوله أيضا : وهو أحسن حالا ممن أخطأ فى ذات البارى سبحانه •. انتهى •

وكل منهما يشتمل على عدة أنواع وأقسام متباينة ، فى الأحكام فاطلاق القول بأن أحدهما أشد من الآخر مجازفة ظاهرة ، لكن الاعتناء بتحقيق وجوه الباطل عناء محض لا فائدة فيه •

قوله : وأما الرابعة ، فالقول فيه كالقول فى الثالث ، هو ممنوع من جهة اللغة والتعارف بين الناس • انتهى •

قلت له : وهو الجواب منه عن قولهم : ان معنى علم هو معنى قدر ، ومعى قدر هو معنى علم أو غيرها فى أمثالها • انتهى ، وفيما سبق من القول على هذا الباب كفاية عن الاعادة •

قوله : وأما الخامسة : فانا نمتنع من أن نجعل صفة البارى

معانى لما يتوهم علينا من الغيرية ، وقد أطلقت الأمة الصفات العليا والأسماء الحسنى • انتهى ، وهو جواب لقول المعارض ، بل هذه الصفات لا تخلوا من أن تكون معنى أو غير معنى ، فان كانت معنى فهو ما قلناه غير مسلم ، وبيانه أن مذهبه يقتضى انها معان زائدة يعنى أن الصفات معان هى غير الذات ، بل هى معانى قديمة حالة بالذات قائمة بها ، وهذا هو الأصل العظيم الذى ارتبكت فيه الأفهام ، وغلبت على أكثر الخلائق فيه الأوهام ، وما عليك أن تقول : ان المعانى على قسمين :

أحدهما : ما ذكره وهو الممنوع عند المحققين •

وثانيهما : أن يقال : انها معان اعتبارية سلبية ، أى يراد بها دفع أضدادها من صفات النقص عنه سبحانه وتعالى ، فان ذاته سبحانه غنية عن المعانى الزائدة عليها ، وإلا كانت ناقصة محتاجة لما يكملها وهو باطل ، فدل هذا على أن صفاته سبحانه وتعالى انما هى معان اعتبارية كما قدمناه ليست بزائدة على ذاته بشيء كما أسلفناه ، ولا نقول ان الله يوصف بلا معنى ، كما لا يقال انه يوصف بلا صفة ، ولا نجد من ينكر صفاته تعالى ، وانما اختلفوا فى التعبير عن الصفات كما رأيت •

فاذا قلنا مثلا : ان العلم صفة من صفاته تعالى ، وهو معنى من معانى الصفات ، يراد به نفى صفة الجهل عنه كان كافيا ، وهو معنى قولهم صفته سلبية فى المعنى ؛ أى نفينا صفة الجهل عنه ، فثبت العلم بالضرورة لأنهما ضدان ينتفى أحدهما باثبات الآخر ، وليس العلم صفة زائدة على ذاته ، وانما يراد بوصفه بالعلم الاخبار عن ذاته العلية أنها ليست بجاهلة بحقائق الأشياء كلها •

وكذلك القول فى السمع والبصر والقدرة وغيرها ، فقول المعارض : إذن فان زعمتم أن الذات واحـدة ذات البارى سبحانه وتعالى . وآن صفاته هى لا غيره فقولوا : علم الله هو الله ، وقدرة الله هى الله ، فى أمثالها وهذا لا يلزم أصحابنا ، فانهم يفسرون قولهم فى صفاته تعالى أنهـا هى لا غيره ، بآنه عبـارة عن نفى الصفات الزائدة على الذات ، بمعنى أن نفس ذاته تعالى كافية فى اتصافها بجميع صفاتها ، فليس ثم غيرها ولا هناك شىء يحل بها فتكون محتاجة اليه فى كمالاتها .

وهذا هو غاية التوحيد ، ونهاية التجريد وليس هناك صفة قائمـة بـه ، ولا حالة فيه فيقال : هى غيره ، ولو قلنا : ان اللـه هـو العلم والقـدرة لخرج عن قولهم ، وثبت به قول آخـر يقتضى اثبات مذهب باطل يؤذن بأن صفة العلم والقدرة بشىء آخـر غير الذات العليـة ، وهو أشـبه بمذهب المخالفين فى اثبات الصفات القديمة الحالة بالذات المقدسـة ، ويزيد عليـه باثباتها أنهـا هى الرب ، فاللزوم باطل واللازم مثـله .

وليس مراد أصحابنا من تلك العبادة إلا ما قلنـاه ، وسأضرب لك مثـلا من الحسيات ، تعرف بـه تعلق الصفات اللازمة ، ومحلهـا من الأشـياء فأقول مثلا : انظـر الى ظـل قامتك فى شمس أو قمـر أو سراج ، تجـده ذا طول وعرض لازما ولابد ، فالطـول والعـرض متلاصقان لزوميتان لا ينفكان عنـه إلا بزواله ، فانظـر فى اتصـافه بهما ، هل هما شىء غير ذاته ؟ أم هما صفة زائدة على ذاته ؟ أم همـا معنى غير معنى وجوده فى ذاته ؟

فان دعوى الغير به تستلزم المغـايرة بينهما ، فيقتضى التعـدد والتحيز ، وليس ثم شىء غير ذات الظل قيـل هو جـار فى مجـاز

القول بأنه شىء موجود من صفته الطول والعرض — بحيث لا يكون وجوده إلا بهما ، وليس هما صفة زائدة على وجوده البتة ، لأنه اذا خلا منهما فهو عدم محض ، ومع هذا فلا يقال انه هو العرض ولا الطول ، ويضرب الله الأمثال للناس ولا بأس •

فقول أصحابنا فى الصفات : بأنها هى هو على هذا الحد ، فلا يقال انه علم ولا قدرة ، كما لا يقال فى الظل انه طول ولا عرض ، وكما لا يقال فى الظل ان الطول والعرض هما شىء آخر زائد عن ذاته ، فكذا لا يقال فى العلم والقدرة انهما شىء آخر غير الذات القديمة ، ولكنهما من الصفات اللازمة للذات ، كما أن الطول والعرض صفتان لذات الظل ، وهكذا فى سائرها •

وبالتحقيق فى معرفة هذا الأصل تندفع جميع هذه الشبه التى اعترض بها المخالفون ، ولفقها المبطلون ، تعالى الله وتنزه عن ذلك ، والحمد لله على ما من به من الهدى حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه •

✻ مسألة :

ومن جوابه رحمه الله : الجواب فى القاموس : أن الدهر من أسماء الله تعالى ، وهذا نص لفظة الدهر قد تعد من أسماء الله الحسنى ، والزمن الطويل ، والأمد الممدود ، وألف سنة •

وفى الشرح المضاف الى الشيخ محمد وصاف فى دعائم الاسلام : وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله » ذكره ابن وصاف أيضا ، فهل يصح أن يكون الدهر من أسمائه تعالى الحسنى عندك أم لا ؟ وان صح فهل يسع جهل أنه من أسمائه بعد قيام الحجة فيه بسماعه ، وكذلك

سائر أسمائه الحسنى وصفاته العليا أهى مما يسع جهله أم فيها عموم وخصوص ؟

الجـــواب :

ومثل هذا قد حكاه الأكابر الأسلاف بهـا تعلقا بظاهر الحـديث ، ونحن لا نقول بهذا لقصـور علمنا ، وفتور فهمنا ، والذى نراه أقرب الى الحـق قول من يتأول الحديث : « لا تسبوا الدهـر ، فان الدهـر هو الله » أى هو فعل الله وقضاؤه وقدره ، ولـه الخلق والأمر .

فمن نظـر الى الزمان من حيث القضاء والأوامر الإلهية ، والأفعال الربانية ، فى دفع طـاغ واعزاز باغ ، وإذلال مؤمن ، والإسـاءة الى محسن ، فقد طعن فى الحكمة الإلهية ، وجهل الارادة الربانية ، فنهى الشـارع عن ذلك مخافة الوقوع فى المهالك ، ولا يجـوز قطعـا أن يعتقد فى الدهر الذى هو الزمان أنه الله ، لأن الدهـر خلقـه ، والزمان ملكه ، وتقدير حذف المضاف شـائع لا غبـار عليـه ، فالدهـر خلق الله وأمره وصنعته وقضاؤه وقدره ، أو ما يجـرى مجرى ذلك ، وانما حـذف المضاف ليتناول كل محتمـل أن يقدر فلا لبس ، وقد تكفـل الله سبحانه بايضـاح ذلك فى كتابه العـزيز ، فى رده على الدهـرية القـائلين : (وما يهلكنـا إلا الدهـر) ، ولو كان الدهـر هو الـلـه سبحانه لكان قولهم ذلك صوابا ، فلا يحتـاج طلبه من الله سـبحانه وتعـالى .

ومتى صح أن الحديث متأول فعـده فى الأسـماء الحسنى ليس بصحيح إلا على المذهب الأول المبنى على ظاهر اللفظ من الحـديث ، لأنه لم يثبت بغيره فيما تناهى الينا ، ونحن لا نراه ولا نقـول بـه لما بنـا من ضعف وجهـل وقصـور ، وأسماء الله كلهـا مما يسـع

جهله ما لم تقم به الحجة من السماع الذى لا يجـوز الشك فيـه ، بخـلاف المسمى الواجب الوجود سبحانه وتعالى •

وكذلك صفاته الجليلة فهى مما لا يسع جهله ، متى خطرت ببال كل ذى عقل من البالغين ، فلا ينفس بعد ذلك فى معرفتها والعلم بها ، وبالله تعالى بأى لفظ اهتدى اليه •

فالعجمى مثلا ان عرف الله تعالى بلغته كان مؤمنا ، ولو سمع لفظ الخالق الرازق والسميع والبصير وغيرها ، ولم يعـرف المراد به فانه يكون مؤمنا عارفا بالله تعالى ، لأنه غير مخاطب فى أصل الايمان بمعرفة الأسـماء الحسنى •

وانما يكون مؤمنا بنفس معرفة الله تعالى ، والشهادة له بأى لغة كانت ، وبأى وجه بلغ الى معرفته ذلك ، فقد حصل له الغرض ، وتم له التعبـد •

والعربى عكس العجمى فيما يكون من الأسـماء العجمية فى الكتب المنزلة من التوراة والانجيل والزبور ، وتسبيحات الملائكة الكرام على اختلاف أنوع اللغات ، ولكثرتها وتعدد صنوفها الى غاية لا يحيط بعلمها إلا الذى أحصى كل شىء عددا ، وأحاط بكل شىء علما سبحانه وتعالى •

ولا ندرى بما استأثر الله به لنفسـه فلم يظهره لخلقه أو أظهره فى أوان ، وأخفـاه فى زمان ، كما ثبت فى الحديث : « اللهم انى أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى شىء من كتبك أو أعلمت به أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك » ففيه ما يستدل به على عدم الحصر وعدم التنـاهى فى معرفة الأسماء الحسنى ، وهو كذلك بغير شـك لاجتماع دلالتى العقـل والنقل على ذلك ، ولا يرد

هذا الحديث : « أن لله تعـالى تسعة وتسعين اسما من أحصـاها دخـل الجنـة » فليس فيه دليـل على الحصر ، وانما هو مشـوق لبيـان فضـل ما نص عليه الحديث منها لا غـير ، فهى أم الكتاب ، وعليهـا المـدار فى هذا البـاب ، فهذه عجـالة حضرت الفقر فى هذا البحـر الطويل ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

* مسـألة :

ومنه : وما قولك فى أسماء الله الحسنى كم هى على رأيك ؟ تفضل ارسـم لنا إياهن متناسـقة أولا فأولا كمـا أشرت اليـه فى كتـابك النواميس ، أنه لابد لمن أراد أن يجعلها ذكرا أن يقـدم أولا الأسماء الكماليـات ، ثم يثنى بالجـلاليات ، ثم يثلث بالجمـاليات ثم يربـع بالأفعاليات ، ونحن لا معرفة لنا فى تمييز كل من هـذا ، تفضل شيخنا رتب لنا إياهن ، واجعل بين كل قسم فاصلة من الأربعة ، وقلت قبـل هذا انه يبدأ أولا باسـم الـذات ، ثم بصفات الـذات ، ثم بصفات الأفعال ، تفضل بين لنـا كلا الفريقين وان كان شىء من الضوابط يدلنا الى معرفة كل ذلك ، تفضل بين لنـا إياه ، ولك الأجـر ان شاء اللـه تعـالى ؟

الجـواب :

الله أعلم ، وأنا لا أدرى كم لهـا من العـد ، فانى لا أحيط بهـا علما ، ولا أحصيها عـددا ، ولا شـك أنى فى محل العجـز ، وحضيض الضعف عن الخوض فى هذا البحر العظيم البعيدة أطرافه ، المفـرقة سواحله ، قد اعترف الرسـل بالعجز عن ادراكه والأنبيـاء بالقصـور عن الاحاطة به ، فضـلا عمن سواهم من العلماء والأولياء والأتقيـاء ، لعله والنقباء ، فكيف بأمثالنا على خسة حالنا •

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه : « اللهم انى أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فى شيء من كتبك أو اعلمت به أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك » فانظر الى هذه الجمل الجوامع فى هذا الدعاء الرابع ، فانها من الحق المبين ، وعندها لا عند جهينة الخبر اليقين ، وهى تنادى فى كل نادى بأن الأسماء الحسنى ، وكل أسماء الله حتى انها مشحونة بها جميع الكتب السالفة ، من التوراة والانجيل والزبور والصحف المنزلة على آدم وموسى وابراهيم الذى وفى ، وانها مثبوتة بلسان كل واحد من الملائكة والجنة والناس ، على اختلاف الألسن واللغى بين هذه الأجناس اختلافا لا يكاد يحيط علما بأقل أنواعه إلا من أحصى كل شيء عددا ، هذا فكيف بما استأثر به منها المولى ، فلم تطلع الخلائق عليه أصلا وهو بغيبه أولى •

فأسماء الله تعالى هى كلماته التامات ، وأفلاكه النورانية المحيطة بالكليات (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم) ولعل السائل سمع ما جاء فى الحديث المشهور : « أن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » فتوهم حصر الأسماء ، فى هذا العدد المذكور ، وليس بذلك فليس فيه ما يدل على الحصر أصلا لا بتصريح ولا باشارة ، بل غاية ما فيه بيان الفضل فقط ، لتلك الأسماء المذكورة كما هى فى الحديث المشهور مسطورة •

وعسى أن فى اجتماعها كذلك ما يستوجب من الفضل ذلك فان قائله هو الصادق الأمين ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحى يوحى •

ولكن لابد فى مثله من التأويل لسلامة العقائد من شبه الأباطيل ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

وأما معرفة الأسماء الحسنى بحسب أقسامها الى اسم الذات وصفات الذات ، وصفات الأفعال ، فاسم الذات العلية العظيمة ، فى اللغة العربية الكريمة ، هو الاسم العلم الفرد ، الذى لا سمى له فى الكون سواه ، ولا يجوز فى الاجماع تسميته به لمن عداه ، ألا وهو اسم الله جل جلاله •

وأما الأسماء التى هى من صفاته الذاتية ، فهى فى قول أصحابنا إنها صفاته الثابتة له فى الأزل ، وهى التى هو عليها لم يزل ، كالأحد الحى القيوم ، القادر المبين ، العلى العظيم ، السميع البصير ، العليم الخبير ، الرحمن الرحيم •

بالجملة فكلما جاز أن يقال : لم يزل الله كذا فهو من هذا الباب ، لم يزل الله سميعا بصيرا عليما خبيرا ، وهكذا سائرها ، والأفعال مظاهر لصفاته الذاتية ، أى ما يظهر من آثار تجلياتها فى العوالم الكونية ، بمقتضيات الارادة الأزلية ، كالإيجاد والإعدام ، والخلق والرزق وغيرها ، فهى الصفات الأفعالية ، والأسماء المشتقة منها على التى تسمى أسماء الأفعال ، كالخالق البارىء المصور ، الباسط الرازق ، المحيى المميت وهكذا •

وكلما لم يجز أن يقال فيه لم يزل الله كذا ، فهو من هذا الباب ، فلا يجوز أن يقال : لم يزل الله خالقا ورازقا لأنه خالق الخلق ورازقهم ، وقد كان فى الأزل وحده ، ولا خلق ولا رزق إذ لا قديم معه غيره وهو باطل . ولكن يقال بحق : انه لم يزل وهو الخالق والرازق ، إذ لا خالق ولا رازق غيره ولا معبود سواه •

والقول الثانى أوضح ، وهو أن يبدأ أولا فى الدعاء بالكماليات ، ثم بالجلاليات ، ثم بالأفعاليات ، والكمال لغة ضد النقص ، والكماليات كما وصفت لنفى النقائص عنه ، كالحدوث والفناء ، والشركاء

والأضـداد ، فهى ما دل على الوحدانية والتفريد ، وما فى معنى ذلك كالله لا إله إلا هو الواحـد الأحـد ، الفرد الصمد ، الأول والآخر ، الظـاهر الباطن . القدوس السـلام الحى البـاقى القديم .

والجلال فى اللغة العظمة ، فالجلاليات عبارة عن الأسماء الموضوعة لاظهار الكبرياء والعظمة لله تعالى ، والعزة والقدرة له ، وما فى معنى ذلك ، كالله الملك القادر المقتدر ، العزيز الجبار ، المتكبر الكبير المتعالى ، الشـديد القوى المتين .

والجماليات سوى هذين النـوعين من صفات الـذات ، كالسميع البصير ، العليم الخبير ، الشهيد ، الرحمن الرحيم ، اللطيف ، الرءوف الواسع لكريم .

والأفعاليات ما سوى هذه الأقسام الثلاثة ، كمـا سـبق القـول عليهـا آنفـا .

وقد ينقسم هذا الفصل الى جلالية أيضا ، كالقاهر القابض ، الملك المميت ، ذو البطش المنتقم ، والى جمالية ، وهى ماعدا هذا النـوع ، كالمحيط المحصى الباسـط المنعم ، الوهاب الفتـاح ، الرازق المحيى ، ثم باعتبار آخـر ، أن الكماليات جلاليات وجماليات أيضا ، والجلاليات كماليات وجماليات أيضـا ، والجماليات جلاليات وكماليات أيضا .
فان لكل كمال جلالا وجمالا وهكذا .

وبيانه أن قولك : لا إله إلا الله هى أم البـاب فى التوحيد الدال على الكمال المطلق ، ونفس التوحيد والاقرار بالتفريد ، وهو عين تعظيم الله تعالى وتمجيده ، ونفس الاعتراف بأنه ليس كمثله شىء فى عظمته وجلاله ، ومن كان كذلك فهو أهل لكل صفة جميلة لكرمه وفضـله ، والثانى حقيقة الجـلال ، والثالث محض الجمـال وهكذا .

وهذا الترتيب فى الدعاء بها وان اعتمده فريق من جهــابذة أولى أولى التحقيق ، فليســه باللازم ، وانما هو المختار عند من قال به من أهل الأسرار ، وقد حكى عن قوم آخــرين ترتيبهــا المستقيم ، بحسب وجدانهــا علي التوالى فى الكتاب الكريم ، فيقول الداعى بهــا كذلك : يا ألله ، يارحمن ، يارحيم ، يامالك ، يامحيط ، ياقــدير ، ياعظــم ، يا حكيم وهكذا •

وفى مذهب رابع ترتيبها متناسقة وفاق ما جاءت فى الحديث النبوى المشــهور : « ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصــاها دخــل الجنة » هو : الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، الملك القدوس ، الســلام المؤمن المهيمن ، الجبــار المتكبر الى آخــرها كما ذكرت فى كتب الحديث كتيسير الأصــول والمشكاة وغيرهما فى كتب الفقه كبيــان الشرع •

وفى مذهب خامس فيجــوز ترتيبها على الحروف الهجائية ، تقول : يا ألله ، يا إله ، يا أحد ، يا أول ، يا آخر ، يا بر ، يا بديع ، يا بصير ، يا باقى ، يا باعث ، يا تواب وهــكذا ، وللمرتبين لهــا على الحــروف طرائق هذه احــداها ، والثانيــة وضعها على ترتيب أبجــد المشرقية ، والثالثة كذلك على ترتيب أبجد المغربية ، والرابعة بتقديم ذوات الحروف النورانية الى غير ذلك مما لا حاجة لنا الى ذكره هنــا •

وانما سطرنا القول فيه لبيان الإجازة ، وكون مخالفة ذلك الترتيب غير محل للسر استدلالا بما عليه علماء الحروف ، وعلى هذا فقــدان لنا الوقوف ، والحمد لله على ما ألهم وأنعم ، والله بهــذا وغــيره أعلم فلينظــر فيه •

* مسألة :

ومنه : تتفضل على سيدى بايضاح الفرق بين الأسماء الذاتية والجلالية ، والجمالية والكمالية ، من أسماء رب البرية .

الجواب :

ان أسماء الله تعالى فى الأصل شىء واحد ، وانما تنقسم باعتبار دلائل معانيها ، فان دلت على حقائق ذاته سبحانه من غير تخصيص بصفة فكمالية ، كالاله ، والله ، والأحد ، والأول ، والآخر .

فان تخصصت بصفه فهى من أسماء صفاته : القابض ، القاهر ، العزيز .

أو على محض شرف أو فضل فجمالية ، كالعليم الحليم ، الخبير الحكيم الكريم ، وما تعلق مدلولها على اظهار شىء فى الكون ، فقد يعبر عنها بأسماء أفعاله سبحانه وتعالى ، كالخالق ، والرازق ، والمعطى ، والمانع ، ولهذا فى هذا المقام أيضا جلال وجمال كما سبق ، والله أعلم .

* مسألة :

ومنه : وما قال الشيخ ابن أبى نبهان ما نصه : وبالجملة ، فما أخبر لله أنه كان ، وأنه سيكون بعد ، أو لا يكون البتة ، وجب الايمان بتصديقه فيما أخبر وانتقل من قسم الممكن ، الى قسم الواجب ، ولكن لا على أنه واجب عليه الوفاء فى فعل ما قاله ، ليكون صادقا بل لو أخلفه لم يكن كاذبا ، إذ لا تلحقه صفات الكذب والخلف مما خلقه اله تعالى ، ولا يضادد صدقه الكذب ، ولا علمه الجهل ، ولا قدرته العجز ، وعلى هذا فى صفاته ، لأن كل ذلك هو من خلقه تعالى ، ولكن

ألزمنا نحن أن نصفه بصفات الواجبة ، ومن صفاته الصدق ، وان وصفناه نحن أنه غير صادق ، فقد وصفناه بصفات خلقه أنه كاذب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

شيخنا : وجدنا هذا عن هذا الشيخ ، ولم نعرف قوله ، بل لو أخلفه لم يكن كاذبا بين لنا ذلك تؤجر ان شاء الله •

الجـــواب :

والله أعلم ، والذى معنا فيه ان أوضح العبارات وأصحها فى الصفات الالهية ، أن وصفه تعالى بالعلم عبارة عن نفى الجهل عنه ، ووصفه بالقدرة عبارة عن نفى العجز عنه ، وهكذا فالجهل ضد العلم ، والعجز ضد القدرة ، والموت ضد الحياة •

ومن وصفه بذلك فقد أثبت له سبحانه من صفاته ما وجب ونفى عنه أضدادها من المستحيل عليه ، فان كان معناه أن الجهل ليس بضد العلم فى هذا المعنى فهذا باطل ، وكيف يصح مع تصريحهم بأن العلم معناه صفة نفى الجهل عنه سبحانه وتعالى ، فهما صفتان متضادتان على الأبد ، لا يجتمعان فى محل واحد ، ولا فى منعوت واحد ، فى حالة واحدة أبدا •

وان كان مراده تنزيه لله تعالى عن الأضداد المنفية عنه من الجهل والكذب ، والعجز ونحوها بمعنى أنه سبحانه لم يتصدق بشىء من ذلك أبدا حتى ينفى عنه ، ويثبت له ضده ، فيكون وصفه بالعلم نفيا لجهل كان به ، وهكذا فى سائرها •

وهو حق ولكن عبارته لم تساعد عليه ، لأن قوله لو أخلفه لم يكن كاذبا يدل على المعنى ، فى بيان الشرع أنه لو أخلفه سمى مخلفا ،

ولكنه لا يخلف بالميعاد ، وهو صريح بأنه لو قال بغير الصدق يسمى كاذبا إلا أنه سبحانه لا يقول إلا صدقا ، ولا يبدل القول لديه ، فهو الصادق جزما ، ولا سبيل الى تقدير أخلافه ولا كذبه ، لأنه بتقدير الباطل عليه ، فكيف يعرض ويقدر •

وهذا باطل هذا ما لا يصح فى نقل ، ولا يقبله عاقل ، فما هو إلا كقول قائل : لو أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم بعض الأشياء ، فلا يسمى بجاهل ، ومن المحال أن يكون عالما غير عالم ، وقادرا غير قادر ، فيكون إلها غير إله ، ومن جاز هذا فيه ، فكيف لا يجوز وصفه بما لا تحقق فيه من جهل أو عجز أو غيره ، والله منزه عن ذلك كله ، وعن تقديره له سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ، والله أعلم ، فلينظر فيه •

*** مسألة :**

ومنه : وما قولك فى الانسان اذا شك أو اعتقد أن الله سبحانه وتعالى تراه الوجوه يوم القيامة ، رؤية بعين الرأس جهلا منه على غير تأويل ، أيبلغ به شك ذلك ، أو اعتقاده الى كفر شرك ، أم هو منافق ؟

وكذلك إذا شك أو اعتقد أن الله يبصر بعين ، أو يسمع بأذن ، أو أن له وجها أو غير ذلك من الصفات المنفية عن الله ، أو أنه قادر بقدرة ، أو عالم بعلم ، أيصير بأحد هذه المعانى مشركا ، ويكون حكمه كحكم أهل الشرك من انحلال عقدة الزوجية ، وتحريم المناكحة وغير ذلك تفضل بتصريح ذلك ؟

الجـــواب :

قد قيل فى الأصـــول : ان هذا وبابه مما تقـــوم بـــه حج حجج العقول فلا ينفس فى الجهل به لعـــدم سعة ذلك فى مثله بعـــد قيـــام الحجة به ، بتأديه الى عقله من أى وجـــه ما ، ولو من نفس خاطـــر البـــال ، فضـــلا عن المقـــال ، ممن كان مطلقا ، فاذا قامت بـــه نفس حجة العقل لديه فآمن من به ، فهو الـــذى عليـــه ، وان رده جحـــودا أو شكا فبجحده الجملة ، أو شك فيهـــا يكون ذلك منـــه فى الاجمـــاع شركا ، ولا نعلم فى شىء من هذا اختلافا •

فان أقر بالجملة إلا أنه شك فى شىء من تفسيرها ، مما لاحـــق بها فى وجوب الايقان به ، فى أصـــل الايمـــان مما لا يســـع جهـــله ، ولا الشك فيه ولا رده على حال ، فانه والحالة لابد فيـــه من أحـــد حكيم ، اما شرك واما كفر نعمة ، وضلال ، لأن شكه والجحد له سواء فى نقض الميثاق الذى أخـــذ عليه ، بأن يؤمن به على الاطلاق •

فان كان شكه أورده بالجهالة فى نوع لمـــا لا يقبـــل التأويل على شىء من مذاهب الضـــلالة ، كالشك فى قدرة الله تعالى على كل شىء ، فحكمه الشرك فى قول أهـــل الحق والعدالة ، كما صرح به فى هـــذه المسألة الأثر •

وانه لمن الصحيح فى النظر ، لأنه اذا لم يشرك بالشك فى القـــدرة ، فمثله الشك فى نفس الربوبية والألوهية ، والوحدانية ، وكـــذا لو شك فى كونه حيـــا عليما خبيرا عظيما سميعا بصيرا •

أو شك أنه هل من خالق غيره ، أو مصـــور أو توهم فى صفاته ، ما لم يجز إلا نفيه عنه ، وتنزيهه منه ، كالقول بأنه والد أو مولود ، أو أنه محـــدث أو فان أو ميت أو مفقـــود ، أو عاجـــز أو فقـــير ،

أو جاهل أو ضرير ، أو لـه شريك أو نظـير ، أو وزيـر أو مشـير ، أو مسـاعد ظهير سبحانه وتعـالى (ليس كمثله شىء وهـو السميع البصـير) •

فهـذا كله مما لا يحتمـل التأويل ، ولا يتعلق فيـه بتعليـل ، ولا يجـوز فيه غير ما قيل من شريك من توهمه شكا أو قال بـه افكا ، لأنه من بعض أصـول التوحيد ، وما عليه لموجب الاشراك من مزيـد فهو الوجـه الأول •

وثانيها : ما يتعلق فيه بفاسـد التأويل الكاسد ، كما هو شـائع فى ضلالات أهل القبلة من العقائد المخالفة للمحقين من أهل النحـلة ، إلا أنه لا بدّ فيه من حد ينتهى اليـه ، فيعول فى الحكم عليه ، فيكون فرزا بين كفر النعمة والشرك يعرف به من وقف لديه •

فنقول : ان المتأول فى هـذا على حالين ، ولابد فيـه من حكمين ، أفادهما الأثر الصحيح ، وكلاهما فيـه صريح ، فأما المتأول عنـدهم ما لم ينته الى التجسيم والتحـديد ، فهو كافر نعمة ، ولهم فى المجسمة تفصيل آخر ، لا بد أن تذكر لك حكمه ان شاء الله •

فالمتأول كالقول أو الشك فى رؤيته تعالى بالعين الناظرة ، فى هذه الدنيا والآخرة ، أو فيهما فان لـم يثبت له سبحانه فى اعتقـاده ذلك جسما سويا ، أو جوهرا أو عرضـا مرئيـا ، وكان فى ذلك ذاهبـا الى فساد التأويل فى تأويل معانى الكتاب بالكتاب ، أو السنة أو اجمـاع أهل الضـلالة ، وآثارهم المحالة أو تأويل السـنة أو الاجمـاع بشىء من ذلك ، فهو لاقراره بالحملة ، من كفار النعمة من أهـل القبـلة •

وكذلك حكم من كان فى هذا السبيل مقلدا لأهل التأويل ، تابعـا لنهجهم الضـليل ، مع قصـوره عن معـرفة صحيح التأويل ، وسقيمه

وحقه وباطله ، فله بالتبعية فى الضـلالة ، وكفر النعمة حكم المتـأول وعلى أكثر أهل القبلة فلا يحكم بشركهم والحالة هذه اجمـاعا ، واذا ثبت هذا فى المقلد مع قيام الحجة عليـه من شـاهد عقله ، ووضـوح دلالة التوحيد له فى عدله ، مع عـدم تأويله فى نفس يقوله وقيامه ، على اعتقاد صريح الإلحاد فى هذا وشكله ، فغـير بعيد فيما معى أن يلحق به كل معتقد لـذلك أن نفس المعـرفة حقيقية للصفة لظلمة فى قلبه حجته على ربه ، فهداه سـوء فهمه الى ضـلالة وهمه من غـير نظير فى دليل الى تعلق بأصـل تأويل فانه لعماه مقلد لهواه •

كما أن ذلك التابع مقلد لشيخه الرافع ، وكله ما لا عـذر فيـه فى حين فى رأى ولا دين ، وقد ثبت فى ذلك المقلد بكسر اللام عدم شركه بالاجمـاع ، ولو لم يخطر التأويل بقلبـه البتة ، لاكتفـائه بالسماع ، أفلا يكون الجاهل فى ذلك مثله ، ولـم يـزد عليه بصفة توجب عنـه فضـله ، إلا ما سـمع من قدوته الأثيم ، جـواز الرؤية على ربـه الكريـم •

وبالاجماع انه لم يستفد فى هذا المحل بشىء من السماع ، لأنه مما قامت الحجة به عليـه من عقله ، فلم يوسع له فى انكارها ، ولا الشك فيهـا بجهله ، وبعد قيـام الحجة ، ووضـوح الحجة ، فالتعلق بظاهر المسموع ، لا شك من الممنوع ، أفيعذر التابع من انزالـه فى منزلتـه لضلاله المتبوع ، لو أن الشرك يلزم كل قائل به ، إلا من كان فى حـاله فقيهـا فى شرع ضلاله •

كلا بل يستوى العالم والجاهل فى هـذا وغـيره من البـاطل ، أفلا يبعـد فى كل من هام بوادى الضـلالة ، بما يحتمله التأويـل من مذاهب أهل البدع والجهالة ، وان يهتد لمـا به من تأويل أن يكون له فيه ؛ وما لهم من كفر النعمة والتضليل ، فانه فى الصورة بمنزلة المتأولين ضرورة ، فلا يحكم بشركه على هذا من افكه •

فانه بالشك فيه ، والاعتقاد له فى حينه مبتدع ناقض لأصل دينـــه ، ان صح ما أراه فى ذلك ، وان لم أجـــده مفسرا كذلك ، فينبغى أن ينظـــر فيه من قدر ، ليأخـــذ منه أو يذره ، ثم ليطالع فيه الأثر ، فان وافق فمن فضـــل المولى ، وان خالفه فاتباع الحـــق أولى ، أم تظنه يكون فى هذا مع الجهـــالة به من المشركين ، وأنا لا أدريه ، فكيف أقـــول به فى حـــين •

وإياك ثم إياك تعجل بالحكم على أهل القبلة بالاشراك ، من قبـــل معرفة بأصـــوله ، فانه موضـــع الهلاك والاهلاك ، وعلى هذا لو وصفه جهلا بحركة أو سكون ، فقال انه ينزل الى سماء الدنيا ، وبالاقـــرار على العرش استوى ، وانه بقـــدرة قدير ، وبعلم وخبره عليم خبير ، وان له نفســـا ووجها وعينا ويدا وغـــير ذلك ، فما جـــاء به فى الأصـــل عن الله هدى ، إلا أنه ضل فى سبيله ، عن صحة تأويله ، أو قال بما يشـــبه هذا ، أو يضاهيه أو شك لعظم لغباوته فيـــه ، فالقـــول فيـــه كذلك ، بأنـــه كافر نعمة هالك •

وهكذا الحكم على اطـــراده ، يكون فى كل من تستر عن التجســـيم بشىء به يتمسكون كقولهم فى الرؤية بلا كيف ، وفى اليـــد لا كالأيدى ، وفى العين لا كالعيـــون ، وقس عليه ومع عـــدم التصريح ، بما زاد عليـــه من قول قبيح ، فأحـــق ما بهم من شريعة المولى ، أن يكون هذا الأصـــل فى الحكم بهم أولى ، ما لم يصح ما ينقلهم عند من ضـــلالة أو هدى ، الى سلامة أو ردى •

فان زاد على هذا فى بهتـــانه العظيم ، فأتى بصريح التشـــبيه فى التجســـيم ، من وصفه بالجـــواهر والأعـــراض ، والكليات والابعاض ، أو بشىء من الجوارح والأعضاء ، ولا يستتر فيه شىء يلابســـه عن كشف حقيقة التجسيم ، والتصـــور محضا ففى هذا وبابه قد تردد الفقهـــاء بالرأى فى أى الحكمين أولى به ، فقول بشركه مجملا ، وقول بكفر نعمـــة النظر فيه ، من كان ذا قلب أو ألقى الاسمع وهو شهيد •

على حال ما كان متأولا ، وقول ان صرح به أنه جسم كهذه الأجسام أو جوهر كجواهرها ، أو عرض كالأعراض الحالة فى أعظم شاهد أو جوهر كجواهرها ، أو عرض كالأعراض الحالة فى الأجرام ، أو أن يده أو وجهه أو عينه أو شيئا منه كهذه الجوارح ، أو حده من قوله الفادح ، بالأبعاد الثلاثة المختصة بالأجساد طولا وعمقا وعرضا ، أو بالتحيز والانتقال ، والحلول والاتصال والانفصال ، مصرحا فى هذا كله ، بأنه فيه كغيره ، وله فيه ما لغيره من عوارض الأجسام ، أو الجواهر فى الأحكام •

فانه بهذا يكون مشركا فى هذا الرأى ، ومرتدا به بعد الاسلام ، على أنه ما لم يخرج به من دائرة المتأولين ، ففى نفسى أن القول بشركه موضع رأى ولا دين ، لما فى الأثر الصحيح من اطلاق أن المتأول يخرج بالتأول من دائرة الشرك ، الى كفر النعمة والنفاق إلا أن القول بشركه فى هذا المقام ، هو أشهر ما فيه وأصرح ما حكاه الأعلام •

وقد نسب مثل هذا وأقبح منه الى قول غلاة المجسمة ، كمقاتل بن سليمان ، وعلى من قال به لعنة الرحمن ، ولابد فيمن أشرك بشىء من هذا ، فكان به على الابتداء من المشركين ، أو صار به بعد اسلامه من المرتدين أن يكون له ما لغيره من أهل الشرك أو الردة من حكم النجاسة ، وتحريم المناكحة والذباح والموارثة ، ووجوب القتل فى المرتد بعد الاستتابة على ما فيها من قول ، وشرح هذا بالتفصيل مدون فى كتب الفقه ، وكفى •

والله نسأله من فضله أن يجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، والحمد لله رب العالمين ، فلينظر فى هذا كله ولا يؤخذ منه إلا بعدله •

*** مسألة :**

ومنه : الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى •

أما بعد :

فاعلم أنه لما وقف بعض الطلبة ، على ما يوجد فى الأثر ، أن ذاته تعالى هى اثباته ، سألنى حل هذه العبارة ، فقال ما نصه : تفضل بين لنا فى الذات والاثبات ، ما يزيل قناع الجهل منا ، ويذهب صدى الصدور عنا ، مأجورا ان شاء الله ؟

الجواب :

فقلت له فى الجواب ، متحريا لاصابة الصواب ، مستعينا لعناية الملك الوهاب : ان من نظر فى كتاب الله تعالى بعين بصيرة ، عن صفاء سريرة ، فتأمل ما أخبر به الإله المنزه فى قدسه ، من وصف نفسه فى محكم آياته ، فانه لا يجد فيه بالحزم إلا تعريفه الى الخلق بصفاته ، أو بأسمائه الحسنى ، أو بأفعاله الخاصة التى لا يمكن أن يشاركه فيها أحد من مخلوقاته •

وأما من وراء ذلك من معرفة ذاته الكريمة ، على ما هى عليه ، فأمر خارج عن حد القدرة البشرية وشىء لا يبلغ الى معرفة كنهه الأنبياء عليهم السلام ، ولا القوى الملكية ، فهو البحر الذى تغرق فيه سفائن

المعقول ، والمحل المعبر عنه بمقام الحيرة والدهش الذهول ، فجواب من يسأل عن ذاته العلية أن يقال : هى حقيقته الخاصة ، التى لا يعلمها إلا هو ، وغاية العلم بها أنها ذات لا كالذوات ، فانه ليس بذى شكل ولا جسم ، ولا يدرك بحد ولا رسم ، فما هو بجوهر ولا عرض فى قول أهل العدل ، إذ لا جنس له ولا نوع ولا فصل •

وقد عرفك نفسه من هو بمصالحك خبير ، فقال : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) وبهذا فاقنع ، ان كنت للحق تتبع ، فغاية العلم به من ملائكته وأنبيائه وغيرهم من علمائه ، معرفة صفاته وأسمائه ، كما جاء بها كتابه الكريم ، وكفى بها حجة وبرهانا لمن شاء منكم أن يستقيم •

فان أبى إلا السؤال على وجه التفتيش عن الذات العلية ، لبيان شرح الماهية ، قيل له : ان نفس سؤالك هذا باطل فى هذه القضية ، لا جواز له بالكلية ، لأنه من طلب المحال ، وهو عين الضلال ، وبمثله أهلك أربد من ربيعة ، بصاعقة إذ قال : مم رب محمد ، أمن در هو أم من ياقوت ، أم من ذهب ؟ فأخبر بصفات الله تعالى واسمائه فلم يكفه ، فبينا هو فى محاورته ، اذ ارتفعت سحابة فرمته بصاعقة فأحرقته ، وفيه أنزل قوله تعالى : (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال) فدع عنك فى الله الجدال ، ان جدالا فى الله كفر وضلال •

ولو كان الجواب عن الذات العلية ، لسائل عن الماهية ، من الممكنات لأخبر الله تعالى عن نفسه ، وأجاب به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، ولكنه ليس بذاك ، فالمكابرة فيه بعد وضوح الأحكام ، تستدعى صواعق الانتقام •

الجـــواب :

الحـق فى ذلك : (قل هو الله أحـد • الله الصمد) فقد زعـم بعض المفسرين أنهـا أنزلت فى جواب أربد •

وقال آخرون : هى جواب ناس من اليهـود ، سألوا رسول اللـه صلى الله عليه وسلم عن ذات واجب الوجود ، والمعنى واحـد ، وان قيل بغيرهما فلا ضير •

ومن هذا النـوع جواب موسى عليه السـلام اذ قال له فرعـون : (وما رب العالمين) ؟ فانه سؤال من الخبيث المارد ، عن الماهية عند أكثر المفسرين (قال رب السموات والأرض ان كنتم موقنين) عدل موسى فى جـوابه عن مطابقة سؤاله ، الى ما لا وجـه فى الحـق لغيره من الاخبار عنـه بصفاته واسمائه ، عز فى جلاله •

فقال فى جوابه عن الذات : انـه رب السـموات ، ويسمى هـذا الجواب عدولا ، لأنه عدل به عن مطـابقة اللفظ الى مطابقة الحـق ، والحق أحق أن يتبع ، فهو فى هـذا كالجواب عن سؤال أربد بقـوله تعالى : (قل هو الله أحـد • اللـه الصمد) ولقـد أحسن الزمخشرى فيما أورده على مسألة فرعون فى هذه الآية الشريفة ، فقال ما نصه :

وأما ان يريد به أى شىء هو على الاطلاق ، تفتيشـا عن حقيقته الخاصة ، التى هى فوق العقول ، فتفتيش ما لا سبيل اليـه ، والسـائل متعنت غـير طالب للحق • انتهى •

فهذا القدر كاف من الجواب ، على الذات القدسية •

وأما فتح باب الكلام ، على صفاتها العلية ، فنقول الحق ، وهـو مذهب أصحابنا أن صفاته على غير ذاته الأزليـة ، ولا ينكشـف هـذا

إلا بتجريد الذات المقدسة ، عن الصفات بالكلية ، فنقول فى وصفه تعالى مثلا : بالحياة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر والارادة وغيرها من صفاته تعالى ، ليست بشىء زائد فى ذاته ، لئلا يلزم الحلول فى ذاته ، ولا زائد من ذاته ، لئلا يلزم التبعيض فى ذاته ، ولا زائد على ذاته ، لئلا يلزم افتقاره الى غير ذاته ، فانه غير عالم وأوضح إلا بعلم هو غيره لئلا يكون مفتقرا الى غيره ، ومن كان مفتقرا الى غيره فليس بإلـه •

وإنا وان وصفناه بأنه عليم خبير ، سميع بصير ، فليس المعنى به زيادة الصفات فيه ، بل المراد به أن ذاته المقدسة كافية انكشاف حقائق الأشياء ، لها انكشافا تاما ، فهذه حقيقة صفته بالعلم ، كما أنها يتجلى لها كل مسموع تجليا تاما ، وهى حقيقة وصفه بالسمع والبصر ، وهكذا فى سائر الصفات ، فالذات واحدة ، والمتجليات كثيرة ، والمتجلى له بفتح اللام واحد •

وان كانت المتجليات كثيرة ، فان كثرتها لا تؤثر فى وحدانيته ، فقدرته سبحانه على المقدورات ، وعلمه بالمعلومات ، وسمعه بالمسموعات ، وبصره بالمرئيات ، كله فى الأصل بمعنى واحد ، لأنه بذاته ، ولا محل للتعداد فيها ، فهو يسمع بما به يبصر ، ويبصر بما به يسمع ، ويعلم بما به يبصر ، ويقدر بما به يعلم •

وهكذا فى سائرها ، ويكفيك فى هذا الموضع أن تقول فى الصفات انها أمور اعتبارية يراد بها نفى أضدادها من النقائص عنه سبحانه وتعالى •

فالحياة والعلم ، والقدرة والسمع والبصر ، والكلام والكرم ، والعزة والحلم ، ينفى عنه الأوصاف الناقصة من الموت والجهل والعجز ،

والصمم والعمى ، والخرس والبخل ، والذلة والطيش ، فان ذاته الكريمة غير قابلة للأوصاف الذميمة ، وهكذا سائرها ، فان قال قائل : اذا ثبت هذا فهو أن يقتضى أن الصفة غـير الموصـوف بها ، وهـو يستلزم أن يكون الله تعالى هو العلم والقدرة ، والحيـاة والسمع والبصر والارادة ، فيلزم تعدده وهو باطل •

فيقال له : إذا عرفت أن الله غنى فى الأزل بذاتـه ، عن أن يزيـد فيها شيء من صفاته ، لم يلتبس عليـك اذا قلنا انه حى مثلا أنا لـم نرد بالحيـاة غيره ، فتعد صفة زائدة فيـه ، وانما يزيد بهـا نفى الزوال ، والتغير والفناء عنـه ، فمعنى الحياة له هو نفس وجـوده لا غـير ، وهذا لا يقتضى أن الحيـاة صفة زائدة على الذات ، ولا يلزم من هذا أن يقال هو الحيـاة •

فان أسماء الصفات قد ثبتت لمعـانى آخر ، وهى أن تكثر الصفات ، وتعدد الأسماء أن ما كان الأمور اعتبارية بحسب تجليات أعيان الوجود ، وتأثرها وانفعالها للذات العلية ، لطفا من الله بعباده ، لكمال المعرفة به ، فان تجلى المعلومات من أعيان الوجود بمعنى انكشافها للذات ، لو سمى ارادة أو قدرة لما صح معنى ولا لغة ، فكذا تجلى المسموعات لها لا يسمى بصرا ، ولا تجلى المرئيات لها يسمى سمعا وهكذا فى سائرها ، ولا يشكل عليك كثرة تجليات أعيان المظاهر الموجـب لتعدد الأسـماء والصفات فى الظاهر ، فان نفس الذات المقدسة واحـدة ، وهى مستغنية بذاتها عن الأكوان ، وتجلياتها وتأثرها وانفعالاتها غير قابلة للتعـدد ، ولا النقص ، ولا المزيد فى شيء أبدا •

كان الله ولا شيا معه ، وهو الآن على ما كان عليـه ، قـد كان فى الأزل قديما ، ولم يزل سميعا بصيرا ، عليمـا حكيما ، قبـل وجـود

كل شيء لا تأثير للمظاهر فى صفة ذاته العلية ، بل هى على ما كانت عليه فى الأزلية ، والا كانت معه المظاهر قديمة وهو باطل •

وباعتبار أن ذاته القديمة الأزلية كافية عن مزيد الصفات عليها ، كما سبق بعلم أن الصفات أمور اعتبارية ، فلم يجز أن يقال فى حقه تعالى : ان الحياة ، ولا القدرة ولا السمع ، ولا البصر ولا الارادة وهكذا •

بل يقال : هو المريد القدير ، العلى الكبير ، العليم الخبير ، السميع البصير ، فهى أسماء صفاته الواجبة لذاته بمعنى أنه فى ذاته كذلك ، وقد ظهر لك أن تنفى الصفات عن ذاته تعالى ، على طريق ما قدمناه يظهر سر التوحيد بشمس التفريد ، فيقال : انه سبحانه عليم لا يعلم هو نفسه ، فيلزم منه أن نفسه علم أو ثبوت علم فى نفسه ، وهذا باطل ، وبه تعلم أيضا أنه لا يصح أن يقال فى حقه تعالى : انه علم ولا قدرة ولا مشيئة وهكذا •

واذا بطل أن يقال : انه عليم بعلم هو نفسه ، فالقول أنه عالم بعلم هو غيره ، وقادر بقدرة هى سواه أو صح بطلانا ، اذ لابد له من أحد أمرين : اما القول بأنها حادثة ، فيكون الرب سبحانه وتعالى محلا للحوادث ، وكل محل للحوادث فهو حادث ، وهذا باطل •

وأما القول بأنها قديمة معه ، وهذا يستلزم أن غير الله قديم ، واذا جاز أن يكون معه فى الأزل قديم غيره جاز أن يكون معه إله غيره ، وهو باطل ، فاثبات الأشعرية لله تعالى صفات قديمة قائمة بذاته العظيمة ، لا مخرج له من هذا ، وبهذا تعلم أن الحق فيما قاله أصحابنا من تجريد الصفات ، اكتفاء بالذات المقدسة ، مع اتصافها بها ، كما سبق ، فيقولول : هو القادر المريد ، العليم الخبير ، السميع

البصير ، الشهيد لا بقدرة هى هو ، ولا بقدرة هى غيره ، وكذا فى سائرها ، فهـو عليم لا بعلم ، بل هـو عليم بذاته وهكذا فى الصفات من قولهم : هو عليم بذاته ، لا يزيد شيئا على وصف ذاته بأنها عليمة .

ومعنى قولهم : ذاته عليمة أى هو العليم لا بعلم هو هو ، ولا بعلم هى غيره ، بل هو العليم بذاته المقدسـة كما سبق ، وقد وضح بهـذا بطـلان أن يقال فى ذاته انهـا علم أو قدرة ، أو اثبـات أو مشـيئة وهـكذا .

وقولهم فى صفاته : انها عين ذاته ، لا يخالف هذا ، فليس مـرادهم به إلا سلب الصفات عن ذاته مع اتصافها بها ، كمـا قررنا فقالوا : هى عين ذاته ، بمعنى أنه ليس ثم من صفة زائدة على ذاته أبـدا ، وقـد مضى من القول مكررا فيها للتوضيح ، ما يغنى عن المزيد ، فليراجـع النظر فيه ، من كان ذا قلب أو ألقى المسمع وهو شهيد .

فان قلت : فكيف يصح فى ذاته العلية ، أن تسلب عنهـا صفاتها القدسية ، وكتاب الله ناطق بخـلاف ذلك ، فهو ينادى على بطـلان تلك المسالك ، فان فيـه اثبات الصفات فى غـير موضـع ، كقوله تعالى : (ان العـزة لله جميعا) (وان اللـه هـو الرزاق ذو القـوة المتين) و (سبحان ربك رب العزة) (ولـه الكبرياء فى السـموات والأرض) (وانما العلم عند الله) ؟

قلنا : هذا لا ينافى ما قاله أصحابنا فى هذه المسألة ، بل هـو لهم أعظم شاهد وأوضح دليل فى الرد على المعاند .

فان قوله تعالى له العزة ، لا يزيـد شيئا عن وصفه بأنـه عزيز ، وذوا القـوة فى معنى القوى ، وله الكبرياء بمعنى أنه الكبير ، فتأول

هذا الباب كله قريب المأخذ ، سهل التناول ، ولو جاز التعلق بظاهر هذه الألفاظ ، لاثبات صفة قديمة زائدة على الذات القديمة ، لجاز من قال بظواهر ألفاظها أن تقول أيضا : ان هذه الصفات محدثة من جنس المخلوقين ، بدليل قوله تعالى رب العزة ، فانه لا يجوز أن يكون ربا إلا لمخلوق محدث .

وبطلان هذا أظهر من أن يعتنى به ، فثبت ما قلناه ، فانظروا يا معاشر المسلمين فى هذا ، وفيما جاء فى مواضع من الآثار القديمة ، أن ذاته سبحانه وتعالى هى قدرته ومشيئته وفى قول آخر هى اثباته ، فكان معول الجميع فيها على ما تقدر ، من أن ذاته سبحانه وتعالى هى قدرته عين صفاته ، لكن باعتبارات قصرت عنها هذه العبارة ، ولم تدركها باشارة مع أن همزة التعدية فى لفظة اثباته ، لا معنى لها فى حقه تعالى ، فان إثباته من نفسه لنفسه محال ، فكيف به من غيره ، وانما يحتاج الموحد الى النفى والاثبات ، فى العقائد لدفع الشركاء والأضداد ، ونفى النقائص والأنداد ، كما هو فى لا إله إلا الله ، ولم يلد ولم يولد ، وإلا فالثابت لا يحتاج الى مثبت جل الله وعز .

ولو قيل : ذاته ثباته بغير همزة ، لكان أقرب الى ما أراده ، وعلى كل حال فهى على ما تراه من القصور ، والبعد عن ادراك حقائق الأمور ، فهى من الآثار المجملة التى لا تصح بظاهر لفظها ، وهاهنا نمسك أعنة الأقلام عن الجرى فى مضمار الكلام ، فان بحار التوحيد ، وشموس التفريد ، لا مطمع فى احصائها ، ولا سبيل الى استقصائها ، وانى من العوم فى بحارها ، لعلى مخافة من الفرق بأنوارها ، فكيف بحال ضعيف القوة ، الذى لا بصر له بالعوم اذا ألقى نفسه فى البحر الذى لا ساحل له ، ولا قعر ، إلا أن تأخذ بيده العناية ، فتنقذه بالهداية ، فانى لاجىء به ، وضارع اليه ، ومعول فى طلب الهدى

عليه ، سبحانه وتعالى لا رب غيره ، ولا خير الا خيره ، وهـو حسبى ونعم الوكيـل •

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على سـيدنا محمد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم •

* مسـألة :

ومنه : تفضـل علينا بشرح هذا الأثر : من عبد الاسم دون المعنى فقد كفـر ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، ومن عبد الاسم دون الصفة لا بادراك فقد أحـال على غائب ، ومن عبد المعنى بعلم الحقيقة فهو مؤمن حقـا ، وحل مشـكله ، وفصـل مجمله مأجورا ؟

الجـــواب :

ان كان معناه بالاسـم اللفظ المسمى به ، فاللفظ حروف مخلوقة ، وكلمة مصنوعة ، ومن اعتقد فى عبادته أنه يعبد هذا اللفظ المنطوق به ، حروفا مسموعة ، وأصواتا مصنوعة ، فقـد عبد غير المعبـود الواجب الوجود المستحق للعبادة ، والكفر بهذا واضح صريح ، لأنـه عبـد غير الله تعالى ، وهذا على غير حـد ما قاله أصحابنا : ان الاسـم هـو المسمى ، فان مرادهم به وجه آخـر يذكر فى موضعه •

وقوله : ومن عبد الاسم والمعنى ، فالعبادة فيه كمـا سبق أنـه اذا أشرك مع الله تعالى فى العبـادة شيئا ، يعتقد العبادة له معـه ، وهو الاسم المذكور ، فقد جعل المعبود له شيئين : هما الاسم والمسمى ، فقد أشرك مع المعبود غيره فى العبادة ، وهذا معنى قوله فقـد أشرك •

وأما قوله : ومن عبد الاسم دون الصفة لا بادراك ، فالظاهر يشبه

أنه مختل فى المعنى لو لم يصلحه بقوله ، لا بادراك ، فانـه إذا لـم يعبده بادراك المعرفة فقد أحال العبادة على ما لم يعرفه ، وهـو الغائب عن ادراكه ، وكأنه عبر بالصفة هنا عن المسمى ، وهو غـير سديد •

وقلنا : هذا باعتبار أنه اذا عبد الاسـم وهو مدرك بالمعرفة ، أن الاسم غير المسمى ، وانمـا هو لفظ مخلوق ، فعمد الى عبـادته بادراك المعـرفة بحقيقته ، فقلاد تعمد لعبادة مخلوق دون الله تعالى ، وهـو عالم بذلك فهذا أشرك •

وان عبد الاسم دون المسمى على غير ادراك المعرفة الحقيقية فيه ، وانما هو على معنى التأول أنه هو الرب المعبود ، وهو غير عارف بتمييز هذه المعانى ، وجعل هذه العبارات ، وكشف تلك الحقـائق . فهـذا متأول أو جاهل بالحقائق ، أراد الحـق فأخطأ ، وأحـال العبارة على غائب بجهله ، أى وضعها فى غير موضعها ، وأتى بهـا لغير من هى له ، فكأنما أحـال الحق لغائب عنـه ، ليس من أهله البتة ، وحكمه الكفر بـذلك وان لم يصرح به هنا تنويعا لعبارة •

وهذا معنى قولنا : لو لم يصلحه بقوله لا بادراك ، فانه قد جعـله قيدا أخرج به عنه من تعمـد لعبادة غير الله تعالى فى علمـه ، أو بعـد قيام الحجة عليـه من السـماع ، أو من عقله ، فانه غـير منفس لـه فى ذلك •

وقوله : من عبد المعنى بعلم الحقيقة ، أى عبد المسـمى بالاسماء الحسنى ، والصفات العليا ، سبحانه وتعالى ؛ وكانت عبادته بمعرفة به بالحقيقة ، فهو المؤمن حقـا ولو تنوع فى العبادة من جعله المعنى ، فهو معنى الاسـم بلا شك ، ومرة قال : هو المسمى وهو واضح ، وطورا عبر عنه بالصفة لعله بارادة موصوفها ، فكأنه جعل الأسماء من أسماء الصفات

الدالة على مدلولها ، وهو المسمى ، وهذه أبعد من الوضوح كما سبق ، ويخرج معناها على هذا ، وكلها ترجع الى أصل واحد ، وتسقى بماء واحد ، ويفضل بعضها على بعض ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، فلينظر فيه ، والله أعلم •

*** مسألة :**

ومنه : وعلى المعنى من قول الشيخ أبى محمد : أنه اذا أمرنا الله تعالى بأمر ، وجب علينا التزامه وامتثاله ، إلا أن تدل على غير وجوبه قرينة أو مقدمة أو لاحقة ، وإلا فهو كذلك ، تفضل شيخنا أوضح لنا فى هذا مثالا نعرفه لنقس عليه ؟

الجواب :

الله أعلم ، وهذه مسألة من مسائل الكلام ، اختلف فيها الفقهاء والمتكلمون ، وأكثر قولهم أن الأمر على الوجوب ما لم تقم قرينة بعدم وجوبه ، لأن على العبد امتثال أمر سيده حتما واجبا كقوله تعالى : (خذوا زينتكم عند كل مسجد) ، (وأوفوا بعهد الله) ، (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة) فان حصلت قرينة أن الأمر بها إباحى ، أخذ بها كقوله تعالى : (فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم) فقد علم أن ذلك كان ممنوعا من الصائم ، وقد نزلت الآية بالرخصة لا بالوجوب ، فالأمر على الاباحة معلوم بالقرينة لمقدمة تنسخ الحرمة ، ويلاحقه وجود الاباحة •

وكذا فى قوله : (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) يعلم بقرينة أنه ليس أمرا بالمفترضات والشرائع ، وانما هو لمجرد الاباحة ، وكذا فى قوله تعالى : (فأتوا حرثكم أنى شئتم) يعلم بقرينة المقدمة من القصة المتنازع فيها ، وما لم تقم القرائن فهو على الوجوب ، والله أعلم •

* مسألة :

ومنه : ويوجد من بعض الآثار قيل : انما يعبد الله من يعرف ما الله ، وأما من لم يعرف ما الله فانه يعبد غير الله ، ومن عبد غير الله فقد أشرك بالله ، ثم لا يدرك بعقد ضمير ، ولا باحاطة تفكير .

وقيل : من عبد الله بتوهم القلب فهو مشرك ، ومن عبد الاسم دون الصفة لا بادراك ، فقد أحال على غائب ، ومن عبد المعنى بحقيقة المعرفة فهو مؤمن ، تفضل علينا بين لنا صفة معرفة الله تعالى ، وما على العبد فى ذلك فى جميع ما تعبده الله به من الفرائض واللوازم ، وغير ذلك ، وخصوصا قليل العلم ، وما تأويل عبادات غير الله ، وما معنى من الله بتوهم القلب ، ومن عبد المعنى بحقيقة المعرفة ؟

قال : أما قوله لا يعرف ما الله فهو غير صحيح ، ولا يجوز لأحد أن يدعى أنه يعرف ما الله ، ومن عبد غير الله فقد أشرك كما قالوه ، ومن عبده بتوهم القلب أى اذا توهمه القلب صورة يتخيلها فعند ذلك الخيال الوهمى ، وهو مشرك كما ذكره .

ومن عبد الاسم فقد أحال على غائب ، لأن حقيقة الاسم هى غير المسمى ، اذا أراد بالاسم نفس الكلمة والحروف المقطعة ، أو الصوت المسموع ، فهو غير الله تعالى ، ولهذا قال : قد أحال على غائب .

ومن عبده بحقيقة المعرفة ، أى عبد المسمى وهو الله تعالى بحقيقة معرفته فهو مؤمن ، وهذه معان يستغنى الضعيف عنها ما لم يخطر بباله شىء منها ، فيعتقد خلاف الحق فيها ، فلا يعذر وإلا فهو مؤمن بمعرفة الله ، والايمان به من دون بحث عن مثل هذه ، والله أعلم .

* **مسـألة :**

ومنه : نقلت من كتاب الشيخ القسيمى فى هذه الأسماء المستجازة ، ظننـا مع أهل الخـلاف لدين المسلمين المسمى بهـا سبحانه وتعالى ، كقولهم : خافض وقابض بالخـاء المعجمة ، ورافع ومـذل ، ووكيلى أنت يا وكيل وولى واجـد بالجيم المعجمة ، ويا نور ، ووالى وجامع ، وضار ونافع بغير تعليق منها ، أو شئ لها لشئ آخـر من المعـانى اللائقـة بها إن كان بعضها ما يدل على جواز تعليقها كغيرها مما ماثلها ، تفضـلـ دلنـا على الجـائز منهـا ؟

قال : هذه أسماء وصفة للرب تعالى ، ومختلف عند علمائنا أنهـا أسماء أم لا ، وفى بعض القول أنه لا يجـوز اطلاق القول فى التسمية له بالقابض والخافض والرافع والمذل ، والواجـد والوالى والنـور ، والجامع والمانع والضـار والنافع •

ولا أعلم فى الوكيل والولى إلا أنهما اسمان ، وكذلك النـور على الصحيح من القول ، وباقيهـا لوضعها سبحانه وتعالى وتجـريدها على العلائق جائز خلافا لمن منعـه ، والتقييد مفيد لرفع شبهة الاختـلاف ، ولكن فلابد من شرط آخـر يحسن التنبيه عليه ، وهو أن يكون الواصف سليم الفؤاد من محجـور الاعتقاد •

وعسى أن أزيدن شرحا آخـر ، وهو أن يكون عارفا بمعنى تلك الصفة المدعو بها ، على اعتقاد منه صحيح فيها ، والشرط الأول واجب ، والثانى مندوب ، لكن لشدة دعاوى التحريض ، على قريب من الوجوب ، لئلا يخـرج ذلك منـه على معنى العبث فيقول على الله تعالى بمـا لا يعلم •

وذلك ما لا يليق أن يبارز به أدنى ملك بكسر اللام ، فكيف به فى

الحضرة الالهيـة ، ولكل اسم أو صفة منهـا أغـوار وأسرار ، وحقائق ودقائق ، يتفاوت فيها الرجـال لسعة الفهم على سـبيل الاستعداد ، وكل ميسر لمـا خلق له ، وهذه التفرقة بين الاسم والصفة بناء على أن الأسماء توقيفية ، والا فكل الأسماء الالهية انما هى فى الأصـل صفات كمالية وجلالية أو جمالية ، ولا رابع لهـا إلا فى اسـم العلم الذاتى ، وتلك الصفات أيضا على اختلافها إما صفة ذاتية ، وإما صفة فعليـة ، ولا ثالث لذلك فيما قيل ، وليس هذا موضع بسط ذلك •

سؤال للشيخ الربانى سعيد بن خلفان الخليلى شعرا :

أيا شـيخنا نـور الجهـالة والعمى
ومن كان بالعـلم الشريف مكـرما

ومن للـورى أضحى ملاذا وملجـأ
ومهما ظـلام الجهـل فيهم تدلهمـا

أضـاء بنور يبهـر الشمس ضـوء
سعيد بن خلفـان الذى للعـلى سما

ومـاذا تقـول فى مقـالة ربنـا
فلمـا تجـلى ربه خـر فاعلمـا

فكيـف تجليـه وكيف ظهـوره
وكيف اندكاك الجبـل حيث تهـدما

وكلم ذو الملك العظـيم عبيـده
فكيف ترى من ذى الجـلال التكلما

أفـدنى فانـى فى ظـلام مدلهـم
وأرجـوك أن تكشـف ظلاما مدلهمـا

ويا ســـيدى هب لى جوابا مصرحـــا
فانــك للظمـــآن ماء من الســـما

الجـــواب :

مثـــال تجـلى ربنـــا مثل قـــوله
تعـــالى وجـــاء الـــرب مع ملك السما

ومثـــل أتاهـــم حيـث لا يحســـبونه
لحــرب النظـــير من يهـــود بهم عمـــا

بمعنى أتاهـــم بأســـه وكـــذلكم
تجـــلى عليـــه أمـــره فتهـــدما

وليس تجليــــه يفيـــد انكشـــافه
بـــذات له جـــل الإلـــه وكـــرما

وأما كـــلام اللـــه للعبـــد فاقتبس
حقـــائقه من قول خالقنـــا ومـــا

بشـــر قـــد كلم الله جهـــرة
ولـــكن يوحـــى أو حجـــاب له عمـــى

كمـــا قد أكـــن النطق فى العوسج الذى
بـــه كلم العبـــد الكليم وألهمـــا

فكانت حجـــابا فى الخطـــا ومظهـــرا
بنفس كـــلام اللـــه يا صـــاح فافهما

* **مسألة :**

ومنه : الغزالى نفى المثل وأبقى المثال ، فقال بالرؤية محتجا بالمثال ، من جبريل فى صورة دحية ، ورؤيا المنام من النبى صلى الله عليه وسلم ؟

قال : هذا رجل قاس الله بالملائكة ، وهذا باطل ، والله لا يقاس بشىء ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه ، فان كان الروح لا يمكن رؤيتها ، ولا أن تتقاس وتتشكل فكيف خالقها .

الثانى : يمنعه ظاهر القرآن : (لا تدركه الأبصار) فان كان الادراك الاحاطة ، فالاحاطة بالشر غير ممكنة ، فكيف هذا التمدح ، ولو جاز ذلك لجاز أن يقال فى : (الرحمن على العرش استوى) أن يكون الاستواء على ظاهره ، وانما المستوى هو المثال ، وهو المعبر عنه بالله ، وكذلك فى القول فى : (يوم يكشف عن ساق) فلا غرو حينئذ أنه موصوف باليد والرجل ، والعين والتشكيل ، وهذا باطل فكيف للغزالى بتأويل خلق الله آدم على صورته ، فالاضطراب ظاهر ، ولذلك مفهوم قول ابن الفارض كما قال الغزالى .

الثالث : هذا المثال هو شىء خلقه الله أم هو خالق ، فان كان شيئا خلقه الله فتجلى ، فهل يجوز أن يعتقد فى هذا المخلوق أنه الخالق ، وان كان غير مخلوق فكيف سماه مثالا ، ولم يقل هو ذات الله على الحقيقة ، فبهذه الأقيسة ينكشف التلبيس ان شاء الله والسلام .

ومن كلامه رضوان الله عليه :

سبحانه من ليس يدرك ذاته
نظرا بعين للذوات مكيفه

خلق العقول لتهتدى بصفاته
للذات كى للذات قد ينهى الصفه

يا من يقول برؤية المولى الذى
قد جل عن أبصارنا المتكلفه

مهلا هديت دع المراء على الهدى
واخلع بهيمى الصفات المتلفه

والبس صفات مقدس ملكية
تكسى من الأنوار أصفى ملحفه

من همه التجريد فى طلب الهدى
لما ردى التجريد كان مخوفه

فسما بمبلغ نور عقل بالغ
أفق السما وسما لاسمى مزلفه

لم ترتض التقليد دون تحقق
إلا لرسل الله تتلوا مصحفه

فلئن تكن من هؤلاء مهذبا
طاب الخطاب مبرهنا عن معرفه

وإن أطرحت العقل خلقك معرضا
عن شاهد العقل الذى لن يخلفه

فعديم نور العقل غير مخاطب
إذ قد تشبه بالحمير الموكفه

ولقد أقـــول لمن تكامــــل عقـــــــله
اســـمع براهينـــا أتت لك منعمـــه

يا معنـــوى خــذ البيـــــان مطـــابقا
للآى بالتأويــــل عمـــن عـــرفه

فارجــع الى آى الكتــــــــاب فانـــه
قـــول سـديد ليس فيـــه زخـــرفه

لا تعص فى معنى ولا لفـــــظ بـــه
فتقـــوم بالتكميـــل يا من أنصـــفه

ان كان فى الآيـــات ناظـــــرة كمـــا
قالـــوا فهــل فى الآى ذكـــر البلكفه

وعــن النبى رووا تـــرون إلهـــكم
كالبـــدر لا غيم عليـــه اســتكنفه

أترى مقالهـــم بـــلا بكيف ســـوى
افــــك يـــراد لقـــائس ما أســخفه

لو كان منظـــــورا وغـــير مكيف
لنفى الالـــه الكيف اذ أبقـــى الصـفه

فعـــلام تأنف أن تكـــون مكيفـــا
وهـــو الــذى التكييف لــن يستنكفه

اذ كل منظـــور فـــذاك مكيـــف
إلا فهـات دلالـــة عـــن معـــرفه

من أبطـــل التكييف هـل أبقى لـه
نظـرا بعـين نحـوه متشـوفه

أما بـلا نظـر ولا كيـف لـه
أو قـل برؤيـة صـورة متكيفه

فالآى ما قالـت بـلا كيـف ولا
قال الرسـول به فمـن ذا أردفـه

فانظـر لنفسـك ما تـرى تشبيهه
أولـى أم التقـديس عن تلك الصفه

فالآى بالتأويـل قابـلة عـلى
أصـل صحيح ليس فيـه عجـرفه

ولئـن تصـر مكابـرا ومكاثـرا
متهـاترا بمقـالة مسـتهدفه

قـم هـات لـى من بحر علمـك حجة
تهدى الهـدى ان لـم تكن تكلفـه

من نـور عقـل أو قيـاس تفلسف
أو راسـخ فى الشـرع أو متصـوفه

إنى لـذو عقـل ربيـط ثاقـب
متـذرب بشـريعة وبفلسـفه

وطريقـة ممـدودة بحقيقـة
لسـتور أعـلام العـلوم مكشـفه

عنـدي لـكل مخاطــــب كخطـابه
لجـــوابه برهـــان صـدق المعـرفه

يا من تفلســــف كي يخلص نفســـه
من ســجن هاوية الكثيف المتلفـــه

اســـمع هـديت مقـــدمات قياســنا
فاستنسخ البرهـــان عنـه منصفه

أنى ترى فمـــن يرى من لـــم يـكن
عـــرش ولا فرش لــــه مســتكنفه

من كان في كـل المـكان وما لـــه
أبـــداً مكان كان فيـــه مزلفـــه

من لا يـرى أجفـانه أيرى الـــذى
أدنى لـــه من عينـــه اذا زلفـــه

أدركـــت بالكلـــى والجــرى أم
لجـــــواهر أعراضــها متخلفــه

أم مـــدرك للجنس أم للنـــوم أم
فصـــل بقـــول شـارح قـــد صرفه

أم كان منظـــورا بلا ماهيـــة
أبنيـــة حيثيـــة متكلفـــه

كميـــة متـــوية محـــدودة
بتحيـز عـــن وجهـــة متعـــرفه

المـــدركات الخمس من ســـــمع ومن
بصـــر ومن شــم ومن ذوق الشــــفه

واللمســـ كل باطـــــل فى حقــــــه
قل لى فمــا هذا المجـــادل من خرفه

هـــل فصـــله أوجبـــت أم هل وصـــلة
هـــــل أدركتـــــه النظـــرة المتشوفه

ان قلـــت رؤيتــــه مخالفـــــة لـــــذا
قـــم فأت بالبرهـــــان حتى نعـــرفه

أو قلـــت قـــال اللــــه هـــــذا ناظـــر
شرفـــا وذلك وراجحـــــا أوقفـــــــه

فأقـــول هـــذا القـــول بفهمـــه امـــرؤ
من أهـــله قــد ذاق منــــه مرتفـــــه

متجـــرد متفـــــرد بعنـــــــــاية
أنس الوجـــــود من الشهود فخلفه

فى حضـــرة قدســـــية انســــــية
حبيـــــة قريبـــــــة متزلفـــــــــه

قد زاحـــــم الأمـــلاك فى أفلاكهـــــا
فى مقعـــد الصدق الذى ما ألطفـــــه

فالوجـــــه منـــــه ناظر بشـــــهوده
حـــق اليقـــين لــذى كمال المعـــرفه

بلغ العيان بغير عين بل له
كمل الكمال الكامل ما أعرفه

بالذوق أهل الشوق تعرفه فذق
فاشرب والا فاسأل المتصوفه

او كان مقطوع الشهود بداره
الأخرى لأودى بالغموم المدنفه

ولمن يكون عن الشهود بمعزل
فهو الحجاب له فدع من كيفه

جهلوا وربك ربهم وتنصلوا
عن عقلهم وتستروا بالبلكفه

حجبوا بدنياهم وأخراهم عن
المولى بأستار الضلال المسدقه

ولئن جهلت الآى ما تأويلها
بالحق فالكشاف ذلك كشفه

فيه براهين اليقين تقومت
لا شيء منها عن هدى متحرفه

فانظر اليه واقتبس أنواره
واسمع هداه واسمع ما أسلفه

الله أكبر بالشيخ زمخشر
ته بين أرباب العلى بالمعرفه

فلأنت بــدر فى ســماء بلاغــــة
لا مطمــع لمعارض أن يخسفه

منى الســـلام على امرىء طلب الهدى
لخـلاص نفس من ردى متخـوفه

* **مسـألة :**

عن الشيخ العالم سلطان بن محمد البطاشى :

باسـم الله والحمد لله ، وصلى الله على رسوله وآله وسلم •

وبعد : فالمثبتون لرؤية البـارى ، والنافـون لها كلهم يحتجـون بقوله تعالى : (ولكن انظر الى الجبـل فان استقر مكانه فسوف ترانى) على اختـلاف بينهم فى التأويل •

فقال المثبتون : انه تعالى علق الرؤية باستقرار الجبل ، وهو أمر ممكن والمعلق بالممكن ممكن •

وقال النـافون : انه سبحانه وتعالى عاق لرؤية استقرار الجبـل حـالة التجلى ، وهو محال ، والمحـال بالمحال محال •

قلت : وجه استدلال المثبتين أنهم نظروا الى استقرار الجبـل من حيث هو هو فجعلوه ممكنا ، ووجـه استدلال النافين أنهم نظروا الى استقرار الجبل حالة التجلى ، فجعلوه حالا ، ولا يخفى على من سلك طريقه الانصـاف ، ولم يركب متن الاعتسـاف ، أنه سبحانه لو أراد امكان الاستقرار لمـا أتى بعده بقرينة التجلى ، الذى يستحيل معـه الثبوت والقرار ، ولجاء بالكلام على وتـيرة واحدة ، كأن يقـول : فلما نظر الى الجبل اندك ، ولكنه أتى بقرينة التجلى اللاحقـة للدلالة

على أنه مراد منظور اليه فى الآية السابقة ، فيكون التقدير فيها ، ولكن انظر الى الجبل حالة تجلى رب العزة له هل يثبت أم لا ؟ فان ثبت مكانه فسوف ترانى •

وكذلك يتصل الكلام ويتلاءم ، ويأخذ بعضه بحجزة بعض ، فيكون من باب التعليق بالمحال ، والا تفكك الكلام وتنافر ، فلم يكن بين الاستدلال وبين التجلى طباق ، وخرج النظم عن الالتئام والاتساق ، فليذق كل ذى ذوق سليم • شعرا :

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلال

غيره :

وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم

والله بكل شىء عليم •

*** مسألة :**

وعنه : قال رحمه الله : عندى أن قوله : وما ذاته الا صورته ، وليس له صورة كلام لا يجوز يخرج منه على المولى الجليل معنى التعطيل ، لأن تفسير ذاته بصورته ، مع نفى الصورة عنه ينتج نفى الذات أى ذاته صورته ، ولا صورة له ، ولا ذات ، والله أعلم •

وقد عهدتك كثير السؤالات عن دقائق الأمور خاصة فيما يتعلق بالبارى سبحانه وتعالى ، فاياك وامعان النظر فى تدقيق ذلك ، فانه مخطر جدا ، وقد جاء فى الحديث أو الأثر : « تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق » فاحسم خواطر بالك مثل ذلك ، خوفا أن تودى بك سلمك الله الى شىء من المهالك • رجع الى كتاب التمهيد •

* مسـألة :

ومما يوجد فى كتاب الأحياء فى التوحيد يقول : وإنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول ، مرئى الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا وبالأبرار ، فى دار القرار ، وإتماما منه للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم ، هذا الكلام يوافق أم لا ؟

نعم : هو موافق لمذهبهم السقيم ، وأما عند أهل الحق فلا يستقيم •

* مسـألة :

ومنه : ومن كلامه : وإن موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا صوت ولا حرف ، كما ترى الأبرار ذات الله تعالى فى الآخرة من غير جوهر ولا عرض ، ما تقول فى هذا الكلام عرفنى وجه الحق ؟

الجـواب :

هو كما سبق •

* مسـألة :

ومنه : وما تقول فى رجل تتصور له ذات الله تعالى فى قلبه ، ماذا يفعل هذا الرجل أيكفيه الاستغفار ؟ واذا عارضه مثل هذا يكون يرد نفسه وينزه مولاه عن التشبيه ، أم لا ؟ أم كيف يفعل ، علمنا مما علمك الله ، نسأل الله السلامة لنا ولك ؟

الجـواب :

يكفيه أن يكره ذلك بقلبه ، وأن يعتقد أن الله منزه عنه ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنه : وما يوجد فى كتب القوم اثبات رؤية البارى ، فكيف يكون اعتقاد القارىء عند قراءته اياها عند الناس ؟

الجـواب :

يعتقد باطلها وعدم حقها ، ومنع جوازها ، وأما قراءتها مع الناس ، حيث لا يخاف الفتنة منها عليهم ، فجائز ولا سيما ان كان لغرض يبيح ذلك ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنه : ومما عن قومنا : ولا يكلف العبد ما ليس فى وسعه ، سواء كان ممتنعا فى نفسه أى محالا فى العقل لجميع الضدين ، أو ممكنا فى نفسه لكن يمتنع بالنسبة الى العبد كخلق الجسم •

وأما ما يمتنع بناء على الله تعالى علم خلافه أو أراد خلافه كأيمان الكافر ، وطاعة العاصى ، فلا نزاع فى وقوع التكليف به لكونه مقدورا للمكلف بالنظر عليه الى نفسه ، ثم عدم التكليف مما ليس فى الواسع متفق عليه ، لقوله تعالى : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) والأمر للملائكة فى قوله : (ايتونى بأسماء هؤلاء) للتعجيز دون التكليف •

وقوله تعالى حكاية : (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) ليس المراد بالتحميل هو التكليف ، بل ايصال ما لا يطاق من العوارض اليهم ، وانما النزاع فى الجواز فيمنعه المعتزله بناء على القبح العقلى ، وجوزه الأشعرى ، لأنه لا يقبح من الله شىء . وقد يستدل بقوله تعالى : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) على نفى الجواز ، وتقديره : أن لو كان جائزا لما لزم من فرض وقوعه محال ضرورة أن استحالة

اللازم توجب استحالة الملزوم ، تحقيقا لمعنى اللزوم ، لكنه لو وقع لزم كذب كتاب الله تعالى وهو محال ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : أن الأليق فى صفة الله تعالى أن يقال : ان الله لا يكلف العبد مالا يطيقه ، لا أنه لا يجوز لقبح ذلك ، ولا أنه يقبح فى صفات الله تعالى ، ولكن لأنه حكيم ، وليس من صفات الحكيم أن يكلف العبد فعل شىء يعلم أن عبده معه فى المستحيل فى قدرته كون فعله منه ، لأنه من العبث ، والله سبحانه وتعالى منزه عن فعل العبث ، وعما ينافى صفات الحكيم ، فاعرف ذلك .

وقال أيضا فى موضع آخر : ان الله تعالى كيف ما فعل بعباده فلا يكون ظلما ومراده هذا لو عذب الطائع ، وأثاب العاصى ، لم يكن ذلك منه ظلما ، لأن الظالم هو المتعدى الى ما لا يجوز له ، ولا يجوز على الله تعالى واجبا عليه شىء ، فلا يلزمه شىء ، ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ، ولهذا مثال حيث أجاز الله للعباد ذبح ما يجوز أكله من الدواب مما لا يتعدى على الانسان بشىء ، نحو الغنم ، فترى العبد يكرم شاه بين الغنم ، ويترك الأخرى ، وقد تآلفه أكثر التى ترك اكرامها ، ويذبح المطيعة ويترك العاصية التى ان دنا منها نطحته .

وحيث أجاز الله له ذلك ، لم يكن فى نظر العقل فى ذلك ظلما ولا جورا ، ولا خلافا للحكمة العدلة ، واذا كان هكذا للانسان ، فانما كان ذلك كذلك من حكم الله فى ذلك ، فالله قد فعل ما ذكره هذا فى الحيوان بحكمه ، فلو فعل هو كذلك بعذاب أهل طاعته ، وثواب أهل معصيته من العباد ، لم يكن منه ظلما لهم ، ولا فعلا قبيحا فيهم ، ولا مخالفة للحكمة العدلة فى تدبيره .

وكذلك لا معنى لقولنا : ولو فعل ذلك لأنه قـد أجازه فى بعض الحيوان ، كما بين ولكنه لما أخبرنا أنه لا يعاقب المطيع ، ولا يثيب الكافر ، وأن حكمه أجـراه فى خلقه من أطاعه له الثواب ، ومن كفر به فعليـه العقـاب ، كان من المستحيل فى وصـفه أن يختلف ذلك ، وأن لا يكون ما أخبرنا أنه سيكون فاعرف ذلك •

وهـذه المسـألة أصلها من الممكن ، وواجب علمها بالسماع أولا ، وهى مما تقوم الحجة بمعرفة صحتها من العقـل بعد السماع بذلك ، وهى التى خالفنا فيهـا أصحابنا رحمهم الله تعالى ، وسيأتى البيان فى ذلك ان شاء الله تعالى • انتهى •

قلت لشيخى وقرة عينى قدوينى أبى محمد سـعيد بن خلفان بن أحمد الخليلى : ما تقول فيما أتى هنا عن قومنـا ، وفى قول شـيخنا العلامة ناصر بن أبى نبهان فى هـذا ، فانه قد اشتبه علينا قوله الأول بالثانى لقـلة علمنا ، وركاكة فهمنا ، والله نطلبـه الاعانة والتوفيق ، تفضـل أبن لنا ما هو الحق فى ذلك ؟

بيـــان :

وقد وجـدنا شيخنا ما نصـه ، هذا عن الشـيخ الكدمى رحمه الله ، فلن يكلف الله العباد مما ألزمهم فى دينه الا ما بلغتهم الحجة به من أمره ونهيه ، لأنه شاء ذلك بفضـله أن يعبد ببيان وأعذار وانذار ، ولو شـاء غير ذلك كان ذلك منه عدلا كما كان هـذا منه فضـلا •

وتقول : أن لو عـذب العباد على غير حجة ولا ابلاغ دعـوة ، ولا اعذار ولا انذار ، لكان فى جميع ذلك عدلا ، كما كان فى هـذه المن متفضـلا ، ولكن شاء بفضله وكرمه أن يكون ما شـاء من ذلك فكان ، فسبحان ذى الفضـل والامتنان ، والجود والاحسان • انتهى •

قال : ان قول الشيخ ناصر بن أبى نبهان فى هـذه المسـألة ، هو عين قول الشيخ الكدمى فيها ، وكلامه فيها أولا وآخرا كله كلام محكم جار على نهج واحـد ، وأسلوب مستقيم ، فلا غبار عليه فيه أبدا ، لأنه قال فى أول المسألة : ان الاليق فى صـفة الله تعالى أن يقـال : الله لا يكلف العبد مالا يطيقه ، لأنه لا يجوز لقبح ذلك ، ولا أنه يقبح فى صـفات الله تعالى ، وهـذا معنى قوله فى الأخير : إن الله تعالى كيف ما فعل بعباده فلا يكون ظلما ، وهو معنى قول الشيخ أبى سعيد لو عذب العباد على غير حجة ، ولا ابلاغ دعوة ، ولا اعذار ولا انذار ، لكان فى جميع ذلك عادلا ، والله أعلم فليتأمل •

قلت له : وهل يصح عندك ما قالته المعتزلة فى هـذا ، فيعـذر أبا حسنا ، وهل يؤيد ما عنهم فيه قول بعض أصحابنا ، أن معانى الوعد والوعيد تقوم بها الحجة من العقل ، اذا ذكرت أو بالبال خطرت أم لا ؟ فتفضـل ببيانه مفصـلا جزاك الله خيرا ؟

قال : الله أعـلم ، وأنا لم يبين لى ما ذكرت من القول ، أم أن القول بأن الوعد والوعيد تقوم بهما الحجة من العقل أنه خـارج على معنى قول المعتزلة ، ولا أعرف ما وجـه ذلك ، وكفى بهذا الجـواب مسألتك ، لكن عسى أن أزيدك ما يمكن أن يفيدك من معانى هـذه المسألة العظيمة الشأن ، المحتاجة الى البيان •

فأقول : ان أصل النظر فيها من وجهين ، لأن مدارها على قطبين ، وهما الحقيقة والشريعة ، ولكل منهما فى الاعتقاد مدخل ، وفى الحـكم موضع ، وللقول مساغ ، وكلاهما فى الحق له أصـل ، وفى الحـكم له فرع ، فأما من تكلم فى الحقيقة وبنى الحـكم على أحـكام الحقائق قال فيها ما ذكرناه عن الشيخين الكدمى والخروصى ، المشار اليهما فى هـذا الجواب المذكور آنفا ، وهو فى حق بابه غير خارج من صـوابه ، فهو كقول عيسى عليه السلام : (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحـكيم) •

قيل : لم يقل انك الغفور الرحيم ، لأنهم ليسوا ممن يستحق الرحمة ، ولا يستأهل المغفرة ، لاصرارهم على الشرك ، ومجاهرتهم بالكفر ، لكنه بحسب استغراقه فى مشاهدة جلال الله وعظمته وكبريائه ، قال ذلك بمعنى أنك لو غفرت لهم ، وان كانوا غير مستأهلين فان ذلك لا يقدح فى حكمتك ، ولا ينقص من عزتك ، فانك قادر على كل شيء حكيم فى كل حالة غير مغلوب ولا مقهور ، فلا تحكم عليك فيما تفعله : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) •

ومن مثل هذه الآيات العظيمة ، والمعانى البديعة ، اقتبس شيخنا الكدمى جزاه الله خيرا القول بأنه لو أثاب العاصى ، أو عاقب المطيع ، لم يكن ذلك منه ظلما ، وتبعه على ذلك الشيخ ناصر بن أبى نبهان جزاهما الله خيرا ، وأما من نظر فى الأصول الشرعية ، بحسب القواعد الفقهية ، وبنى الجواب على الأحكام الظاهرية •

قال : ان الله سبحانه وتعالى قد نزه نفسه ، وتقدس عن أخذ العباد بغير ما يستأهلون من العقوبة فى حكم الظاهر ، وقد نفى ذلك عن نفسه ، وتبرأ منه لأنه فى صورة الظلم ، وان كان مقتضى الحقيقة غيره ، فان حكم الظاهر يسجل على كونه ظلما ، ويجوز اطلاقه فى التسمية كذلك بحسب المشروعية ، وأى محاذرة من ذلك بعد ما أخبر الله عن نفسه أنه لا يفعله ، وأنه ظلم لو فعله ، قد أخبر الله عن نفسه فى غير موضع عن كتابه •

قال تعالى : (ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق • ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) فأخبر أن العقاب بما قدمته الأيدى من العباد ، وأنه لم يعذبه بغير استحقاق ، ولا جازاهم بغير ذنب ، وقد بالغ فى نفى ذلك عنه بقوله : (ان الله ليس بظلام للعبيد) فدل بمعناه بما لا

يشك فيه عاقل له أدنى معرفة بأسلوب الكلام أن لو عاقب بغير ذنب ، كان ذلك ظلما والا فلا ، معنى لذكر الظلم ونفيه عن نفسه هاهنا البتة •

ومثلها قوله تعالى : (وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) تفيد أن اهلاك أهل القرى المصلحين ظلم ، والله منزه ، والا فلا معنى لقوله : (بظلم) وهو يعلم أنه غير ظالم لو فعله ، لكن من عظيم لطفه ، وجميل عدله ، سماه ظلما أن لو كان منه ، ولا يكون ذلك منه قطعا •

قال الله تعالى : (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) وقال تعالى : (أم نجعل المتقين كالفجار) وفى الحديث ، عن النبى صلى الله عيه وسلم فيما يخبر به عن ربه تعالى : « أيحسب راعى ابل وغنم حتى اذا جنه الليل أوى الى فراشه ، وانجدل أن أجعله كمن يبيت لى ساجدا ، أو قائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، وأنا الحكم العدل » فان الآيات متظاهرة ، والأحاديث متظافرة على أن التسوية بين المسلم والمجرم ، والتقى والفاجر ، والشقى والسعيد ، ليست من العدل فى شىء ، وان عقوبة المطيع ظلم ينزه الله عنه •

كما أن ثواب العاصى والقول به غرور محض ، وأمانى نفوس كاذبة ، يجب تنزيه الله عنها ، ففى الحديث : « أن الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز ممن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » ، فالمعتزلة قولهم فى هذه المسألة بهذا ، ولا خلاف بيننا وبينهم فيها ، وان وجدت تلك العبادة عن الشيخ أبى سعيد ، فانه من باب اطراد القول على معنى الحقيقة ، وليس بمذهب ، فان كتبه مشحونة ، وآثاره جزاه الله خيرا مصرحة بهذا فى غير موضع ، بأنه مما تقوم به حجة العقل ثواب المطيع ، وعقوبة العاصى •

وأن الله تعالى لا يكلف العباد غير ما فى وسعهم ، وأنه لا يجوز عليه عقوبة المطيع ، ولا ثواب الكافر ، لأنه ليس من العدل ، وما خرج عن هذا فهو من باب التقدير والتصوير ، أن لو كان ذلك ، ولكنه بالقطع لا يكون ، لأن الله قد أخبرنا بهذا عن نفسه •

*** مسألة :**

ومنه : أيجوز أن يقال : ان الله يرزق الحرام أم لا ؟

الجواب :

قد قيل : ان الحلال والحرام كله فى الأصل من رزق الله ، كما أنه من خلقه ، وهل من رازق غير الله ، ولكن يمنع أن يقال : ان الله يرزق الحرام لأنه سبحانه وتعالى منزه عن أن يسمى أو يوصف بغير الأسماء الحسنى ، والصفات الجليلة بدلالة قوله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) ومن الالحاد فى أسمائه أن يوصف بقبيح أو يسمى به ، وكل مستقذر فى العقل والطبع ، فالله تعالى منزه عنه ، فلا يقال : انه أزنى ولا أسرق ولا أربى ولا أفسد ، ولا رزق الحرام ، ولا دبر الظلم فى الأرض •

كما لا تضاف أسماؤه الى شىء من القاذورات ، فلا يقال : يا خالق البول والغائط ، لا يدعى بذلك ولا يسمى به ، اذ ليس من المستحسن بأن يدعى أنه خالق القبيح ، ولا يوصف بأنه فاعل الشر ، ولا يسمى بأنه مقدر الفحشاء والمنكر ، ولا أمر بهما ، ولا رضيهما ، ولا أحبهما ولا اختارهما ، لأن الله لا يحب الفساد ، ولا يأمر بالفحشاء ولا بالمنكر ، وهو لا شك أنه خالق السموات والأرض وما فيهن ومن فيهن ، فكل شىء من خلقه ، وكل حسن أو قبيح ، فهو شىء والشىء

فى الوجود سواه ، الا وهو من خلقه ولا يصل اليها شىء من الانفع الا وهو من رزقه فهو بالنسبة اليه حسن ، وانما الحلال والحرام من الطوارىء الحكمية المتعبد بها ، فقد يكون الحلال حراما فى حق المتعبد بحرمته دون الآخر ، وكله من رزق الله ، وانما يعذب بأحكامه ، ويعاقب على عصيانه ، وانتهاك أوامره ، وتعدى حدوده لا على رزقه ، ولا بسبب خلقه ولا بجور منه ، ولا بفساد ولا ظلم ، وما ربك بظلام للعبيد •

فانظر يا أخى كيف منع شرعا ما هو حق فى الحقيقة ، وانما ضرب دونه حجاب الآداب ، واعترض على طريقه سد الاحترام لمقام ذى العزة والجلالة أن يتفوه لسان بما لا يحسن فى صفاته ، ولا يعذب فى أسمائه وأفعاله دلالة على عظم جلاله ، وتنويها لكمال صفات جماله ، واظهارا لتقديس أسمائه وتنزيه كماله ، فليقف كل ذى عقل عندما أبيح له من القول غير متجاوز الى ما جاز فى الاعتقاد أن يعلم وجوبا أنه منه وعنه سبحانه ، فلا بد من طريقتين ، لمن رام الحقيقتين •

فالحقيقة تنادى بلسان حالها ، أن من كمال الايمان أن تؤمن بالقدر كله ، خيره وشره ، أى تعلم أنه من الله وعن الله ، اذ لا محرك فى الحقيقة ولا مسكن سواه ، بل اذا اعتبرت الأصل ، وكشف لك الغطاء ، اضمحلت عند ذلك الآثار فى الشهود ، ولم يبق غير المؤثر فى الوجود ، فلا صادر ولا وارد ، ولا ساكن ولا متحرك ، ولا قبيح ولا حسن ، ولا شدة ولا رخاء •

وانما هى ضمائر أسرار ، ومظاهر أنوار ، يتجلى فيها للمبصرين من غرائب التوحيد ، ما يبهر العقول ، فلا بد من أن يربط عليها ، فتنقاد بسلاسل الشريعة اليها ، فلا يجوز التعدى عن ظاهر ما أبيح فيها من قول أو فعل فافهم الفرق بينهما ، وتأدب فى مجالس الشريعة

بحدودها ، وتنعم من كؤوس الحقيقة بشهودها ، واعرف قد ما صار اليك ، وانظر فيه لتعمل بعدله ، فقد وافتك بديهة من دون رؤية ولا التفات الى تنظيم الألفاظ ، فى قوالب السبك بميزان البلاغة والحمد لله رب العالمين .

*** مسألة :**

ومنه : وما قولك يا شيخنا فيمن سمع ثقة أو غير ثقة يقول : ان الاله سبحانه اسمه الله ، أو اسمه الرحمن أو الرحيم ، أو الكريم أو الغفور ، أو الودود أو الحميد أو المجيد أو الحكيم أو المنان أو حنان أو غير ذلك من أسمائه ، سبحانه وتعالى ، فشك فى ذلك أيسعه ذلك ، اذا كان لا علم له به من قبل بذلك أم لا يسعه ، وهل فى ذلك اختلاف تفضل ببيانه مأجورا ؟

الجواب :

قد قيل انه اذا عرف الله تعالى بما يوحده به من أى معنى ، أو صفة كان فلا يضيق عليه عدم معرفة الأسماء ، ولو سمع الأعجمى مثلا اسم الله من مائة ألف أو يزيدون من الثقات أو العلماء ، وهو لا يفهم ما يقولون ، لم يكن ذلك حجة عليه .

وكذلك غير الأعجمى اذا كان مؤمنا بدونه ، ولم تقم عليه الحجة بمعرفته من كتاب الله تعالى ، فهو سالم ما لم تقم عليه الحجة به ، على سبيل ما تقوم به الحجة فى الفتيا فى باب المسموعات ، على ما صرح به الأثر ، وكفى ، والله أعلم فلينظر فيه .

*** مسألة :**

ومما عن الشيخ ناصر بن أبى نبهان فنقول وبالله التوفيق : انه

لا يلزم أحد أمر المتعبدين واجب فى شيء قبل أن تنزل عليه بليته ، التعبد بوجوب آدائه من اعتقاد أو قول أو فعل ، أو ترك مع أن القول من الأفعال ، فهى ثلاثة أصول ، وفى الاعتقاد مما تقوم به الحجة بمجرد العقل ، أو مما تقوم به الحجة من العقل بعد سماعه ، أو مما لا تقوم بوجوبه الا بالسماع ، فذلك ثلاثة أقسام •

وما تقوم الحجة بوجوبه من الاعتقاد ، بمجرد العقل متى خطر بالبال معرفة وجود الله ، أو معرفة صفة من صفاته ، بعد معرفة وجوده واجبة له ، فيصفه بها ، أو صفة مستحيلة عليه ، أو معرفة صفة جائزة فذلك على ثلاثة أقسام أيضا •

وما تقوم الحجة بوجوبه من العقل بعد سماعه من الرسل مجملا ، والكتب من الله على الاجمال ، والبعث والحساب ، والثواب والعقاب ، والملائكة وكل ما يلزم المتعبد الايمان به ، مما تقوم الحجة بوجوبه من حجة العقل بعد سماعه ، وهذا القسم على معنى قولنا فيه هذا هو على خلاف ما ورد فيه عن أصحابنا ، وما لا تقوم به الحجة الا بالسماع منه اعتقاد كاعتقاد نبى معين ، أو ولاية ولى معين ، أو البراءة من عدو معين ، وما أشبه ذلك •

ومنها : فعل كالصلوات المكتوبات ، والطهارة لها ، والوضوء ، وصوم شهر رمضان ، والزكاة والحج على من لزمه شيء •

ومنها : ترك المحرمات ، ومن ورائها الوسائل الغير الواجبة ، وسيأتى بيان ذلك فى الكتاب ان شاء الله تعالى ، فهذه أقسام أحوال الدين فى اللزوم ، والعذر من بعدها أقسام أخرى لهذه الأقسام ، وتتفرع أقساما ووجوها وأنواعا ، وصورا الى ما لا يحصى ، ولا ينتهى لها استقصاء •

وبالجملة فلا يمكن أن يجب على عبد الله شيء ، ولم يعرف الله تعالى ، ومن عرف الله وجبت عليه طاعته ، فصح أنه أول واجب على متعبد معرفة الله تعالى ، مهما نزلت عليه بلية التعبد ، بمعرفته من واجب له فيصفه بالوجه الحق فى ذلك ، والتوحيد كله مما تقوم به الحجة بوجوب كل شيء منه ، بمجرد العقل السليم ، متى خطر بباله معرفته بشيء مما ذكرناه من الأقسام الثلاثة ، أو القسمين الأولين : الواجب والمستحيل ، دون الجائز ، فاذا فهم المعنى فى ذلك منهما ، فهما تامان وجب أن يصفه كما وجب عليه ، ولا ينفس عليه فى الشك مع الاعتقاد .

وأما معرفة ما تقوم به الحجة من العقل بعد سماعه على رأينا ، فيلزمه متى سمع بذلك من كل معبر عبر له ذلك ، لأن العقل قابل لثبوت صحة ذلك .

وأما ما لا تقوم الحجة بوجوبه الا بالسماع ، فكرسول معين وشريعته مما لا تقوم الحجة بوجوبه منها الا بالسماع ، فمتى قامت عليه الحجة بوجوب الايمان بذلك الرسول ، وجب عليه حجة الايمان ، ولم يصر مؤمنا بالله بعد ما كان مؤمنا حكمه بايمانه بالله ، واعتقاد الواجب له ، ونفى المستحيل عنه ، واعتقاد الطاعة له ، وأداء كل واجب عليه لله تعالى ، وايمانه بالقسم الثانى الاعتقادى ، الا أن يؤمن بهذا الرسول الذى قامت عليه الحجة ، بوجوب الايمان به ، ويصير مشركا لذلك الرسول ، والحجة قيل : تقوم عليه فى ذلك بكل معبر ، وقيل : لا تقوم الا بمن يكون ورعا فى دينه وقيل : بأمينين ، ولا يجوز الاختلاف فى العدلين ، ولكنى أحب بالعدلين فى قيام الحجة بوجوب الايمان فى غير رسول أرسل لا لغير أهل زمانه ، وأما فى رسول أهل زمانه فبأمينين ، يلزمه هذا اذا لم يشهر معه ذلك فى الوجهين ، فاعرف ذلك . انتهى .

قال الشيخ الخليلى رحمة الله عليـه : هـذا كله فيما معى غير خارج من الصـواب ، وان خالف فى بعض هذه المسألة أكثر أصحابنا ، فلس هو موضـع دين ولا بأس به ، والله أعـلم •

ومما قاله الشيخ ناصر بن أبى نبهان : على أثر ما عن قومـه فى الرؤية ، ولقد شاهدت رجلا من أصحابنا ممن انكب على قراءة كتاب الكشاف ، تفسير الزمخشرى للقرآن العظيم ، الذى فاق فى العالم على كل تفسير ، مما أورده فيه من الحـق المبين . لا فيما خالف فيه الدين القويم ، والصراط المستقيم ، ورأى فيه تفسير قوله تعالى : (قال رب أرنى أنظر اليك) حين قال له قومـه : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) أن النبى موسى عليه السلام سأل ربه أن يريه ذاته ، كذلك أراد من ربه فى الظاهر لا فى الباطن من ضميره ، وأنه جـاز له ذلك مسامحة لقومه ، فاضطره الأمـر الى اجازة ذلك له ، لأنه عليـه أن ينقذهم من الهلاك الدنياوى عن هلاك أنفســهم ، فكيف لا يكون عليه أن ينقذهم من الهـلاك الأبدى ، فيرخص بذلك ، أو لزمته اجابتهم الى ما أرادوا منه فى شرط ايمانهم به ، وجاز له لأنه يعـلم أن الله تعالى لا ترى ذاته ، فاعتقاده أن ذاته لا ترى ، ومعرفته بربه أنه كـذلك كافيه ، ومخبرة له أن لا يسأل الله أن يريه ذاته ، ويكون كذلك مراده حقيقة فى الباطن •

ومعى أن هـذا من الظلم العظيم ، والافك المبين ، فى وصـف النبى موسى عليه السلام ، فى ارادته ومطلبه من ربه ، بما يعلم أنه من المستحيل فى وصـفه ، الذى ، يجوز أن يوصـف به ، أو بما اعتقده أنه لا يجوز أن يوصف الله بذلك أنه شىء مرئى ، وأن هـذا كفر فيسأل الله بقصـد قلبه ، واعتقاده وضميره أن يريه ذاته ، وهو معـه أن الرؤية من خلقه مستحيلة ، وطلبه بما هو مستحيل منه كفرا ليس هذا من التناقض لمعرفته واعتقاده ، مع أن معرفة الله بصـفاته الحق مع

القول بما لا يجوز فى الله الصفات ، لا تنفع تلك المعرفة ، لأن المشركين يعرفون الله ويعرفون رسوله أنه رسول الله كما يعرفون أبناءهم ولم تنفعهم تلك المعرفة ، ولم تخرجهم عن اسم ، ولا عن حكم الشرك والمشركين الا باقرار باللسان مع اعتقاده بالجنان •

ومعى أن اعتقاده ذلك فى النبى موسى عليه السلام ، أنه طلب الله تعالى ما هو كفر يطلبه اياه أن قصده حقيقة كما قصده قومه حقيقة لا مخرج له من الاثم ، لأن الله لم يصفه أنه طلب رؤية ذاته فى الباطن ، بل وصفه انه قال : (رب أرنى أنظر اليك) والنظر بالعين الى الله النظر الى آياته لقوله تعالى : (ألم تر الى ربك كيف مد الظل) فجعل البارى سبحانه وتعالى رؤيتنا بالعين الى مدة تعالى الظل هو رؤيتنا الى الله بالعين وبالعقل ، فصح أن النظر بالعين والرؤية الى الله هو النظر ، وهى الرؤية الى أفعاله سبحانه وتعالى ، ومعرفتنا صفاته التى هى حقيقة المعرفة به لا غير ذلك ، بدليل الكتاب وبالسنة ، قول النبى صلى الله عليه وسلم : « العجز عن الادراك هو الادراك » ولم نعلم أن نبيا جاز أن يوصف أنه طلب من ربه بما هو كفر مطلبه مسامحة لقومه •

وقد قال الله تعالى : (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ولا ضرورة مكرهة للنبى موسى عليه السلام فى هذا الموضع ، فصح أنه لم يسأل ربه فى الباطن إلا ما هو جائز له أن يسأله ، وليس هو غير أن يريه أن ينظر الى ربه أنه يقطع طمع قومه ، عن طلب رؤية الذات ، فأتى لفظ سؤاله محتمل المعنيين ، مندوحة لقومه ، وتمويها عليهم ، حتى يظنوا أنه طلب ما أرادوه منه ، وفى باطنه طلب من ربه آية يراها هو وقومه ، وفيها قطع طمعهم عن طلب الرؤية ، فجاء الجواب : (لن ترانى) على ما سألك به قومك (ولكن انظر الى الجبل)

لمـا طلبت منى فى الباطن ، وفيـه تأكيـد لنفى رؤية الـذات قطعـا لطمعهم .

فقال : انظر بالعين الى الجبل ، فان استقر مكانه فسوف تـرى ذاتى بعينك ، فهذا هو تأويل الحـق الجامع ، لمـا طلبه موسى ولمـا طلبه قومه ، فاذا كان معه هذه المندوحة لقومه التى تصلح أن يسـامح بظاهرها قومه ، ويصلح لطلب ما هو جائز لـه ، فأين موضع الضرورة حتى يترك المعنى الجائز ، ويخلص المعنى الى معنى لا يجـوز ، وكفر من طلبه حقيقة ليس هذا من الضـلال البعيد ، فى وصف موسى عليـه السـلام فى مذهبه أن رؤية الله مستحيلة ، ووصف الله تعالى بها كفر ، ويهلك المرء مما خطر ذلك بباله ، وعرف المعنى ، ولا يعذر بالشـك فى الله بهذه الصفة أنه هو منزه عن ذلك أم لا ، ولا يعذر باعتقـاد السؤال مع الشك فى ذلك .

ثم ان صاحب الكشاف أتى فى هذا المعنى بوجهين : أحدهما معناه قريب مما اعتقده هذا الرجل فى موسى فى الباطل ، ورد عليه الجمـاعة قوله مسامحة لقومه ، أن قوله هذا باطل على قياد مذهبه ، لأن الرؤية باطلة وضـلال ، من اعتقدها فلا يجوز له أن يصف موسى أن يتسامح بسؤاله الى الله الباطل والضلال .

وانما يصح له أن لو كان مذهبه مذهب الجماعة المجيزون الرؤية فى الآخـرة لعباده المؤمنين ، وأن هذا مما هو محجـوج به ، وأن كلامه هذا ما يدل على جواز الرؤية ، والحق ما قاله الجماعة فى أنه محجوج ، وأنه مناقض لقـوله : ان رؤية ذات الله باطـلة ، أن لو صـح ما قاله أن موسى تسـامح فى ذلك ليبقذ قومه عن الهلاك الأبدى ، فلا يصح هذا ، لأن الحـق لا يقـوم بالباطل ، ولا الهـدى بالضلال ، مما لهذا المشـار اليه ما قاله الزمخشرى ، مما هو محجـوج فيه وكلامه يكون عليـه .

ثم أتى الزمخشرى بعد ذلك بوجـــه آخر من التأويل يصح له ، وأيضـــا أن الله سبحانه وتعالى مع ذكره لموسى عليه الســـلام فى سؤال ربه أن يريه ينظـــر اليه ، لم يذكر معه أنهم هم سألوه ذلك ، ولا تجلى ربه للجبل ، وخر موسى صعقا لم يذكر أيضا قومه ، مع ذكره له تعـــالى ما أصابهم ، ولم يذكر أيضا موسى عند سؤاله لربه أن يريه ينظر اليه بعينه قومه ، فلم يشركهم فى ذلك ، فيقول : ربنا أرنا ننظر اليك ، فقيل : لأنه عالم بما سيكون فى الجواب •

واذا جاء المنع له ، فقومه أشـــد منعا ، وأقطع لطمعهم ذلك وأبلغ لا يأسهم وهو وجـــه صحيح من التأويل ، ويحتمل لـــه وجهـــا آخـــر فيكونا معا ، وذلك أنهم أشركهم فى اللفظ لتوجه السؤال الى ما أرادوه هم منـــه لفظا ومعنى ، وذلك كفر صريح ، ولـــم يتوجـــه الى ما أراده موسى من ربه أن يريه أى ينظر اليه بعينه ، أى الى آية من آيات قدرته خارقة للعادة ، فيها دلالة على رؤية عبادك اليك فى الجنة بصفاتك التى عرفوها فى الدنيا •

وفيها قطع طمعهم عن السؤال فى هذا ، فتأدب فى حضرة ربه أن يشرك فى سؤاله سؤال أهل الجهل والضـــلال والباطل ، فلذلك أفـــرد السؤال لنفســـه مجردا عما طلبوه الى ما طلبه •

وفيه إيهام لهم على ما طلبوه ، وأنه ربما أنا اذا ســـألته لنفسى يكون أبلغ فى الاجابة ، والباطل كمـــا ذكرناه فحكى الله عنـــه كذلك ونزهه ان يذكر معه سؤال قومه له ونزهه تعالى ان يذكرهم فى تجليه للجبل مع ذكره ، ونزهه تعالى أن يذكر معه ما أصـــاب قومه حين ذكره لـــا أصاب موسى ، ونزهه أن يذكر قومه الذين حين بعثهم مع ذكـــره تعالى لموسى ، حين أفاق وحين استغفر ، كل هذا ليدل الله تعالى على أن موسى باطنه لم يســـأل ما طلبه منـــه قومه ، فكان سؤال موسى فى معزل ، وسؤال قومه فى معزل •

وقوله تعالى : (لن ترانى) أى لا تستطيع أن ترانى بجميع الصفات التى تعرفنى بها فى الدنيا كما ترانى بها فى الآخرة ، ولكن انظر بعينك الى صفة من صفاتى ، وهى القدرة ، فان استطعت فسوف تقدر على ما سألت ، وفيه توهيم لجوابهم بقوله : (لن ترانى) حتى يظنوا قومه أى على ما سألك قومك . انظر الى هذه البلاغة العظيمة ، فان موسى عليم ، وقال هذا كله ، وجاء الجواب على هذا كله ، ولكن ليس فى قدرة موسى أن يأتى بمثل هذا الايجاز ، وانما حكى الله الواقع على معنا .

والآية التى أفرد موسى فيها السؤال لنفسه ، وأفرد الله ذكره فيها قوله تعالى : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) للجبل (قال : رب أرنى أنظر اليك قال : لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا . فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) .

بيان :

والآيات التى ذكر فيها قومه قال تعالى : (واختار موسى من قومه سبعين رجلا) (فلما كلمه ربه قالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون) فلم يذكر سؤال موسى فى هذه الآية تنزيها له ، أنه لم يسأل ربه على معنى ما طلبوه منه ، وقال تعالى : (واذ قلتم يا موسى أرنا الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) أحياهم الله تعالى حين سأل موسى ربه فى إحيائه لهم ، بما حكاه عنه تعالى حين أخذه الخجل من أهلهم ، فيخبرهم بموتهم إلا هو فقال تعالى حاكيا عن ذلك ، وعن تعظيمه للنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك بيان أن جميع كتب الله فيها جميع أخبار عن أمور كانت ، وعما يكون منها من ذكر النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه وغير ذلك .

قوله تعالى : (واختـــار موسى قومه سبعين رجـــلا لميقاتنـــا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعـــل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشـــاء وتهـــدى من تشـــاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين • واكتب لنا فى هذه الدنيـــا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا اليك قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون • الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجـــدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبـــات ويحرم عليهم الخبـــائث ويضـــع عنهم اصرهـــم والأغـــلال التى كانت عليهم) والمراد بالرســـول النبى الأمى هـــو النبى محمـــد صلى الله عليه وسلم وأمته أهل الشكر منهم •

وفى هذه الآية أشـــد الايضـــاح لما ذكرناه فى بيان السبب الذى لم يشرك موسى قومه فى سؤاله من أى شىء ، وأنه لـــم يرد ســـؤاله ما أراده قومه ، وأنه لم يطلب ذلك منه كل رجـــاله من قومه تعـــالى حاكيا عنـــه : (أفتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا) كيف يســـأل ما طلبه سفهاء قومه ، وهو يعلم أنهم سفهاء فى طلبهم لـــذلك ، فيكون مثلهم بالسؤال لهم ينزه نبى الله موسى أن يضمن بســـؤاله لربه ما أضمره قومه من الكفر العظيم •

قال صاحب الكشاف ، فى تأويل هذه الآية : (ولمـــا جـــاء موسى لميقاتنـــا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظـــر الى الجبـــل فان استقر مكانه فســـوف ترانى فلما تجـــلى ربه للجبـــل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) لميقاتنا لوقتنا الذى وقتنا له ، وحددنا ومعنى اللام الاختصاص ، كأنه قيل : واختص مجيئه لميقاتنـــا ؛ كما يقول : أتيته لعشر خلون من الشـــهر ، وكلمه ربه من غـــير واســـطة ، كمـــا يكلم الملك ، وتكليمه

أى يخلق الكلام منطوقا به فى بعض الأجـرام كما خلقـه مخطوطا فى اللـوح •

وروى أن موسى عليـه السـلام كان يسـمع الـكلام من كل جهـة •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : كلمه أربعين يوما وأربعين ليلة ، وكتب له الألواح ، وقيل : انه كلمه فى أول الأربعين أرنى أنظر اليـك ثانى مفعـول أرنى محذوف ، أى أرنى نفسـك أنظر اليك •

فان قلت : الرؤية عن النظر فكيف قيل أرنى أنظر اليك ؟

قلت : معنى أرنى نفسك اجعلنى متمكنا من رؤيتك ، بأن تتجـلى فأنظر اليك وأراك •

فان قلت : كيف لـن ترانى ولـم يقـل لن تنظـر الى لقـوله : (أنظـر اليـك) •

قلت : لـما قال أرنى بمعنى اجعلنى متمكنا من الرؤيـة التى هى الادراك ، علم أن الطلبـة هى الرؤية لا النظر الذى لا ادراك معـه ، فقيل : لن ترانى ولم يقل لن تنظر الى •

فان قلت : فكيف طلب موسى عليه السلام طلبه ذلك ، وهـو من أعلم الناس بالله وصفاته ، وما يجـوز عليه ، وما لا يجـوز وبتعاليه عن الرؤية التى هى ادراك ببعض الحواس ، وذلك انما يصح فيما كان فى جهة ، وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون فى جهة ، ومنـع المجبرة احالته فى المعقـول غير لازمـة ، لأنـه ليس بأول مكابرتهم • وارتكابهم يكون طالبه ، وقـد قال حين أخـذت الرجفة الذين قالوا :

(أرنا الله جهرة) : (أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا) الى قوله : (تضل بها من تشاء) فتبرأ من فعلهم ، فدعاهم سفهاء وضلالا ؟

قلت : ما كان طلبه الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا ، وتبرأ من فعلهم ، وليلقمهم الحجر ، وذلك حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم ، وأعلمهم الخطأ ، ويعدهم عن الحق ، فلجوا وتمادوا فى لجاجهم ، وقالوا ولابد ولن نؤمن حتى نرى الله جهرة ، فأراد أن يسمعوا النص من الله سبحانه وتعالى ، باستحالة ذلك وهو قوله : (لن ترانى) ليتيقنوا وينزاح عنهما ما داخلهم من الشبهة ، فلذلك قال : (رب أرنى أنظر اليك) •

فان قلت : فهلا قال لهم أرهم ينظرون اليك ؟

قلت : لأن الله سبحانه وتعالى كلم موسى عليه السلام ، وهم يسمعون ، فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيبصروه معه ، كما أسمعه كلامه ، فيسمعوا معه ، ارادة مبنية على قياس فاسد ، فلذلك قال موسى : (أرنى أنظر اليك) ولأنه اذا زجر على طلب وأنكر عليه فى نبوته واختصاصه ، ولزلفته عند الله وقيل له : لن يكون ذلك كان غير أولى بالانكار ، ولأن الرسول امام أمته ، فكان ما يخاطب به ، أو يخاطب راجعا اليهم •

وقوله : (أنظر اليك) وما فيه من معنى المقابلة التى محض التشبيه والتجسيم ، دليل أنه ترجمة عن مقترحهم ، وحكاية لقولهم ، وجل صاحب الحمد أن يجعل الله منظورا اليه ، مقابلا بحاسة النظر ، فكيف بمن هو أعرف بمعرفة الله من واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، والنظام وأبى الهذيل ، والشيخين وجميع المتكلمين •

فان قلت : ما معنى لن ؟

قلت : تأكيد النفى الــذى تعطيه لا ، وذلك أن لا تنفى المستقبل تقول : لا أفعل هذا ، فاذا أكدت فيها قلت : لن أفعــل غدا ، والمعنى أن فعله ينافى كقوله تعالى : (لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) فقوله : (لا تدركه الأبصــار) نفى للرؤية فيما يستقبل و (لن ترانى) تأكيــد وبيــان ، لأن المنفى مناف لصفاته •

فان قلت : كيف أفضل الاستدراك فى قوله : (ولكن انظر الى الجبل) بما قبله •

قلت : اتصل به معنى أن النظر الى محــال فلا تطلبه ، ولــكن عليك بنظر آخــر وهو أن تنظر الى الجبــل الذى يرجف بك ، وبمن طلبت الرؤية لأجلهم ، كيف أفعل به ، وكيف أجعله دكا طلبك الرؤية ، لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره ، كأنه عز وعــلا حقق عنــد طلب الرؤية ما مثله عنــد نسبة الــولد اليــه فى قوله تعالى : (وتخر الجبــال هدا • أن دعوا للرحمن ولدا • وما ينبغى للرحمن أن يتخــذ ولدا) •

(فان استقر مكانه) كما كان مستقرا ثابتــا ذاهبــا فى جهــاته (فسوف ترانى) تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من اســتقرار الجبل مكانه ، حين يدكه دكا ، ويســويه بالأرض ، وهذا كلام مدمج بعضه فى بعض ، وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع •

ألا ترى كيف تخلص من النظر على الشريطة فى وجــود الرؤية ، أعنى قوله تعالى ، ثم كيف بنى الوعيد بالرجفــة الكائنة لســبب طلب النظر على الشريطة فى وجود الرؤية ، أعنى قوله تعالى : (فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربــه للجبــل) فلما ظهر لــه القــدرة واقتداره ، وتصدى له أمره وارادته ، جعله دكا أى مدكوكا مصــدر

ومعنى مفعول ، كضرب الأمير ، والدك والدق أخوان كالشك والشق ، وقرىء دكا والدكاء اسم الرابية الناشزة من الأرض ، كالدكة من الأرض دكا مستوية ، ومنهم قولهم : ناقة دكاء متواضعة السنام •

وعن الشعبى : قال لى الربيع بن خيثم : ابسط يدك دكاء أى مدها مستوية ، وقرأ يحيى بن وثاب دكا أى قطعا دكا جمع دكاء ، (وخر موسى صعقا) من هول ما رأى ، وصعق من باب فعلته ففعل ، يقال صعقته فصعق وأصله من الصاعقه ، ويقال لها : الصاقعة من صقعه اذا ضربه على رأسه ، ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت •

وروى أن الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليه ، فجعلوا يوكزونه ينكرونه بأرجلهم ويقولون له : يا بن النساء الحيض ، أطمعت فى رؤية رب العزة ، (فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك) أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها (تبت اليك) من طلب الرؤية (وأنا أول المؤمنين) بأنك ليس بمرئى ولا مدرك بشىء من الحواس •

فان قلت : ان كان طلب الرؤية للغرض الذى ذكرته فمم تاب ؟

قلت : من اجرائه تلك المقالة العظيمة ، وان كان لغرض صحيح على لسانه ، من غير اذن من الله تعالى ، فانظر الى اعظام الله من الرؤية فى هذه الآية ، وكيف أرجف الجبل بطالبيها ، وجعله دكا ، وكيف أصعقهم ، ولم يخل كليمه من نفيان ذلك النفيان رشاش المطر مبالغة فى اعظام الأمر ، وكيف سبح ربه ملتجئا اليه ، وتاب من اجراء تلك الكلمة ، وقال : (وأنا أول المؤمنين) ثم تعجب من المتسمين بالاسلام ، المتسمين بأهل السنة والجماعة ، كيف اتخذوا هذه

العظيمة مذهبا ، ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة ، فانهـا من منصـوبات أشياخهم ، والقول ما قال بعض العدلية فيهم شعرا :

لجمـاعة سـموا هواهـم سـنة
وجمـاعة حمـر لعمـرى موكفـه

قـد شـبهوه بخلقـه وتخـوفوا
شـنع الـورى وتسـتروا بالبلكفـه

وتفسير آخـر : وهو أن يريد بقوله : (أرنى أنظر اليك) عرفنى نفسـك تعريفا واضحا ، قال : كأنها اراءة فى خلائهـا بآية من آيـات القيـامة التى تضطر الخلق الى معرفتك ، (أنظر اليك) أعرفك معرفة اضطرار كأنى (أنظر اليك) لمـا جـاء فى الحديث : « ستروون ربكم كمـا ترون القمر ليلة البـدر » معنى ستعرفونه معـرفة جلية هى فى الجـلاء كإبصارهم كم القمـر اذا امتلأ واسـتوى •

(قال لن ترانى) أى لا تطيق معرفتى على هذه الطريقة ، ولـن يحتمل قوتك تلك الآية المضطرة (ولكن انظر الى الجبـل) فانى أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات ، فان ثبت لتجليهـا أى استقر مكانه ، ولم يتضعضع ، فسوف ترانى يثبت لهـا وتطيقهـا (فلما تجلى ربـه للجبـل) فلما ظهرت له آيات قدرته وعظمته (جعـله دكا وخر موسى صعقا) لعظم ما رآى (فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك) مما اقترحت وتجاسرت (وأنا أول المؤمنين) بعظمتك وجلالك ، وأنت شىء لا يقوم لنطقـك لبأسـك •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهـان : ان الحق من تأويله هذا الوجه الأخير ، وأيضا فلا يصح معى فيمـا رواه من مرور الملائكة على موسى عليهم السـلام ، وقولهم له ما حكاه عنهم : لأن موسى عليه السـلام

لن يسأل ربه ما هو غير جائز له ، ولم يقصد لسؤاله فى اعتقاده إلا أن يريه أن ينظر اليــه بعينه ، لا الى آية يشـاهدها منه بعينيه ، فهى رؤية العين الى الالــه ، أى رؤيتهــا الى آية خارقة للعــادة •

فيها قطع طمعه لقومه عما طلبــوه ، وفيهــا دلالة على نظــره اليــه بجميع صفاته تعالى التى عرفهــا به فى الحياة الدنيا ، فى كل لحظة فى الآخــرة على صفة ، نظر عبــاده اليه فى الآخــرة بالحضور اليــه بصفاته ، لا بالنظر الى ذاته ، هكذا سؤاله وطلبه فى الباطــن وفى الظاهر ، فى لفظة مندوحة لقومه ، وفى كلا الحالين غير ممكن ، فأما رؤية الذات على ما طلب قومه فهو باطل ، ولا جواب لــه إلا المنــع عن طلب ذلك •

وأما ما طلبه موسى فى الباطن فعقله الذى جعله له فى هذه الحياة الدنيا ، لا يستطيع ، وكلا الحالين جــوابه لن ترانى ، ولمــا تجلى لــه بصفة من صفاته وهى صفة القدرة خر موسى صعقا •

وأما قومه ، وهم السبعون الذى اختارهم ، ماتوا جميعا ، ثــم أحياهم الله بعــد موتهم ، قوله تعالى •

قال الرازى على معنى قوله فى تفسيره لقوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة • الى ربها ناظرة) أن النظر معناه غير الرؤية ، فلا يقصر اطلاقه على نظر العين ، لأنه يجــوز فى الأعمى أن يقال : فلان الأعمى ناظــر الى فلان كثيرا بعين الرضا ، أو بعين المــودة ، أو بعين الاحســان ، والمراعاة الحسنة ، أو بعين الغضب ، أو بعين الحسد وما أشبه ذلك •

ويجوز فى صفات الله أن يقال : ان الله تعالى لا يرى الكافر فى الدنيــا ، ولا يراه يوم القيامة وذلك باطل ، ولا يســع جهل باطــل

ذلك فى صفات الله ، لأنه مما يدل معنـاه على أنه قـد خفى عليـه شخصه ، فلم يعلم به وبذاته ، ولم يعلمه أين هو ، فصـار جاهلا بعلمه فيه وهذا باطـل •

قلت : وعلى هذا من احتج بهذه الآية على ثبوت صحة رؤية اللـه فى الجنة ، واذا كان كذلك فكذلك الرؤية ، لا تقتصر على رؤية العـين فقط ، كقوله تعالى : (ألم تر الى ربـك كيف مد الظل) ونحن لـم نر اللـه يمـد الظل ، وانما رأينـا الظل يمـده الله •

فان قيل : رجع ذلك الى رؤية النظر ، فيقول : أرأيت الله تعـالى يقول فى كتابه كذا وكذا ، ورأيت فلانا يقول فى كتابه كذا وكذا وهـو أعمى ، وانما سمع ذلك •

وقال تعالى : (أفرأيتم الماء الذى تشربون) (أفرأيتم ما تمنون) (أفرأيتم النـار التى تورون) هو خطـاب عام الأعمى العين ، والناظر بهـا ، فلم تنحصر به الدلالة على رؤية صحة العين لذات اللـه بهـذا اللفظ ، لاشتراكه فى رؤية العـين ، ورؤية العـلم بالشىء بالسـماع أو العقل فاعرف ذلك •

* مسـألة :

وأما رواية الجماعة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تتضامون » وفى رواية : « لا تضارون فى رؤية الله انكم لترون ربكم فى الآخـرة كما ترون القمر ليلة البدر » •

ومع أصحابنا أن كان رؤية رؤيت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يحتمل لها مخرج إلا الى الباطل الذى لا يجـوز فيه الاختلاف ، لم يجز إلا أن تكون باطلة مما كذب به على رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وان احتمـل لها تأويل على الحق ، فلا يجـوز ردها •

ومعى أن هذه الرواية يصح أن يكون لها وجوه حق من التأويلات ، وعلى ما هى عليه من قوة ألفاظها ، وكثرة معانيهـا ، حتى يـكاد أن تكون آيـة معجزة لا يـكاد العباد أن يحيطوا بهـا بجميع معانيهـا ، ولا أن يأتوا بمثلها ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا •

ويكاد لظهورها كذلك بين العلماء أن لا يجوز انكارها ، لأن كل من كان عالما بقوانين البلاغة والفصاحة ، ونظر بنـور العقـل النورانى ، يعلم أن هذه الرؤية من المعجـزات التى لا قـدرة للبشر غـير النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتيها هكذا ، ولا أن يأتيها هكذا ، ولا أن يأتى بمثلها ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا •

ومن تفصيل معنى من معانيهـا أنه مثل صلى اللـه عليـه وسلم رؤية العباد الى الله تعالى مثل القمر من حين يومه هلالا ، على زيادته فى كل لحظة إلا أن يكون بدرا وهى الغاية التى لا يمكن أن تـرى أكثر من يومه ذلك ، وعلى تفاوت الناس فى قوة نظرهم وضعفه ، وهذا أمر لا يحصيه أى التفاوت بين الرأى والمرئى إلا الله تعالى •

فأهل الجهل هم أهل الغى الذين لا ينظرون البدر ، وأهل الهدى هم الناظرون الى اللـه على تفاوت النظر تمثيلا للهـلال الى أن يصير قمرا ، وفى الآخـرة تمثيلا بالقمر فى حالة ابداره ، يدل بذلك أن رؤيتهم الى الله تامة كاملة على عبد كعبد يـرى ربه بصفاته بقـوة الحضور ، مع الله تعالى بكل صفة لله عرفه بهـا فى كل لحظة ، إذ لا يصـح فى الآخـرة فى الجنة أن يغفل عبدا فيها من عبيده تعالى عن ذكره يغفـله لحظة ، ولا أن يزيد عليـه الحضور تارة ، وينقص أخـرى ، ولا يذكره تارة بصفة دون صفة ، ثم يذكره بعد حين بصفة أخرى •

لأن له فيها ما تتمناه نفسه ، ولا تتمنى شيئا قبل أن تتمنى حضورها مع الله ، وأن لا يغفل عن ذكرها لربها طرفة عين ، لأنها هى أهم شىء معهم فى قلوبهم ، وهى أعظم مطلوبهم ، وهى ألذ نعمة ، وأشد لذة ، وأعظم حلاوة فى النفس ، فهى أعظم لذات الجنان ، وأعظم من لذة الخلود فى الجنان ، ولو أمكن حصر نعم الجنان كلها على كونها بلا نهاية ما ساوت لذة لحظة من لذة الحضور الذكرى العقلى مع الله تعالى ، بجميع صفاته التى عرفها به ، لأن الله تعالى ليس لصفاته نهاية ، ولكن بما قدر عرفه العبد به ، ولولا لذة الرؤية للمؤمنين ، ما كانت الجنة جنة ، وما كانت لذاتها مع الأولياء لذة ، وما بلغهم الله مناهم فى الدنيا ، وهذه الرؤية من المؤمنين فى الجنة ، هى رؤيتهم الى ربهم الذى ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم لا رؤية للذات فالقول برؤيته كفر عظيم •

وتتفاوت هذه اللذة من هذه اللذة فى الجنان وشدتها ، على تفاوت نظرهم الى الله تعالى فى الدنيا ، وعبادتهم وصفاء قلوبهم ، وقوة عزمهم ، وشدة حبهم لربهم ، وقوة ايمانهم الى غير ذلك •

ولكن كل منهم ما يعلم ما بصاحبه ، وكل منهم عقله كذلك حاضر مع تجميع صفاتها التى عرفها به ، فى كل لحظة لا يزيد ولا ينقص ، فالكل يعمهم التمثيل بالنظر الى البدر تام نوره ، تام نظر الناظر اليه ، وفى هذه الرواية دليل واضح أن رؤية المؤمنين الى الله فى الآخرة ، رؤيتهم اليه فى الدنيا ، ولكن رؤية العباد الى الله فى الدنيا رؤية ضعيفة ، لأن البدر هو عين القمر لا غير ، والقمر هو غير الهلال لا غير والمرئى هو شىء واحد ، والنظر الواحد اليه فى حالة هلالا ، وفى حالة قمرا ، وفى حالة بدرا هو واحد ، ولا فرق إلا بتزايد نوره من نور الشمس فيه أيضا •

ومن المعلوم أن رؤية المؤمنين الى ربهـم فى الدنيـا ، ليس هى شىء غير رؤيته بصفاته من أفعاله فى المحدثات ، لا الى اللذات ، فكذلك رؤيته فى الآخـرة الى اللذات ، وانما هى بالصفات من أفعاله تعـالى التى يتشـاهدونها فى الآخـرة ، ما لو رأوه فى الدنيـا بصفة واحـدة لهلكوا ، كما رآه قوم موسى عليه السلام وموسى ، فماتوا ، وخر موسى صعقا ، والنظر فى الأصل من القمر من النور ، ومن زيادات نـوره : وانما هو النظر الى جرم القمر من النور الى جرم القمر ، وقوة الزيادة بنظر الناظر الى القمر عن نظره هلالا ، إنما هو نظر النور لا زيادة تحقق نظره الى جرمه •

وكذلك نظره بدرا ، ولا شك أنه كلما ازداد نوره ازداد نور أقصر نظر الناظر عن نظر جرمه أكثر مما كان قبل أن يتم نوره كذلك •

فكذلك كلما قويت رؤية العبد الى ربه بصفات من أفعاله تعالى ، قويت معرفته بربه أن ذاته تعالى لا ترى ، ولا يجـوز أن يوصف أنه يرى إلا بالعقـل ، ولا بالعين ، لأنه هو شىء لا يرى ، فجميع هـذه المعانى تخرج من تأويل هذه الرواية الموجـز المنجزة المعجزة لكل البشر أن يأتوا بمثلهـا ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا •

فان قيل : ما الدليل على ضعف هذه الرؤية فى الدنيا ، وما أضعفها إلا ألفـة العباد لهـا ، وما الدليـل على امكان زيادة قوتهـا ، حتى تصور ذلك كل من أراد أن يصـوره ، فيسوغ صحة ذلك فى عقله ؟

قلنا : فلك فى ذلك مثل من نظر العبد الى ربه بقـوة حضور عقله اليه من صفته أنه كريم محسن لعبـاده ، فيكون من جهة الاحسـان ما حالك يكون ، ولو كنت فى موضع تعبد الله تعالى ، وما تدرى أنك مجاب الدعوة ، وما يدرى بك أحـد ، ثم أصـاب أهـل بلدك جـدب

شديد ، أضر بالعباد ضرا عظيما ، وخرج الناس الى الاستقاء ، وتقربوا الى الله بالدعاء ، والتضرع والابتهال ، والصلاة وبذل المال الى غير ذلك من أنواع الوسائل الى الله ذى الجلال والاكرام ، وبكثرة السؤال ، وغفلوا أن يأخذوك معهم ، ولم يزدهم ذلك إلا شدة فيما هم فيه ، وعليه من ضعف الحال .

ثم قال أحدهم : ألا أنبئكم بمن يسقيكم الله بدعائه ، ودلهم عليك ، فأتوك وأعينهم تفيض من الدمع من نظرهم الى صبيانهم ، وضعف حالهم ، والى عجائزهم والشيوخ منهم ، والى أطفالهم بيكون من ضرر يجدونه فيهم ، كان سببه من شدة الجدب ، وتوضأت ودخلت المسجد ، وصليت ركعتين لله تعالى ، ثم دعوت الله تعالى ، وسألته أن يسقيهم ، فحين وصلت نصف تلاوة دعائك بقلبك ، وأنت ساجد بعد انقضاء الركعتين ، فأنشأ الله سحابا متراكما بعضه فوق بعض ، واشتدت لوامع البروق ، ما خافت الناس على أنفسها أن يهلكها ، وأموالها أن يحرقها ، ودورها أن يهدمها ، وجبالها أن يدكها ، وصمت الأذان من صواعق الرعود ، حتى تزلزلت الأرض والجبال من شدة الصواعق ، ونزل الماء من السماء حتى كادت الدوران يحملها ، وخافت النفوس أن يحملها ، وأن يذهب بالأموال من أرضها أن ينزعها ، وقالوا : هلكنا لا محالة ان لم تدعُ الله وتسأله أن يخففه عنا ، فسجدت ثانية وهم ينظرونك ، وسألت الله ما طلبوا ، فاستجاب الله فى الحين ، وانصرفوا شاكرين لله ثم لك ، وخصبت ديارهم كما أحبوا ، فما يكون حالك حينئذ مع الله تعالى .

أما تستعظم نعمته اليك بهذه ، وتستحى منه ، ويكون حضورك مع الله حين وجود هذه الكرامة لك أعظم مما كنت فيه مع الحضور مع الله تعالى قبل هذا ، ولابد وأن تعرف بهذا التصوير أن رؤية العبد لربه تزيد أحوالا ، وتنقص أحوالا ، وتعظم عند مشاهدة

الكرامة له من الله تعالى ، الخارقة للعادة ولا شك أن الألفة بالاحسان تضعف قوة النظر الى من كان منه ، لأنك لو فكرت لوجدت أن فضل الله تعالى لك ، اذ جعلك عاقلا ، وعرفك به ، وجعلك من المسلمين ، وعلمك ما يجب عليك له ، ووفقك على فعله هو أعظم كرامة لك من الله ، من تلك الكرامة التى ضربناها مثلا ، ولم يستعظمها عقلك استعظاما يشتد به الحضور الى الله ، بمثل تلك الكرامة •

وكذلك النبى موسى عليه السلام ، اندهش عقله من نظره الى اندكاك الجبل حتى خر صعقا ، ولم يندهش عقله من نظره الى السماء ، وما فيها والى الهوى ، وما يتكون من سحاب وبروق وأمطار ، ثم يكون الجو صحوا كما كان ، ولا شك أن هذه الآيات ليس اندكاك الجبل بأعظم منها ، ان لم تكن هى أعظم منه آية ، لولا المؤالفة فصح جميع ما قلناه •

وان جميع هذه المعانى تخرج من تأويل هذه الرواية ، وأن معانيها بحر ولا ساحل له ولا قعر ، وأنها لا شكر من قول النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن المراد بالرؤية هى على ما ذكرناه ، بدليل منها عليها ، وأنه ليس كما أولها القوم من رؤية الذات ، وأن رؤية الذات باطلة ، ولا يجوز القول بوجود كونها وان ذلك كفر •

قال الشيخ النسفى : أما برهان وجوده تعالى ، فحدوث العالم ، لأنه لو لم يكن محدثا بلا حدث لنفسه لزم أن يكون أحد الأمرين ، مساويا لصاحبه ، راجحا عليه بلا سبب ، وهو محال من الشرح ، أى لو أحدث لنفسه لزم أن يكون أحد الأمرين المتساويين ، أى الوجود من غير ترجيح ، ومعنى ذلك أن الوجود والعدم هما على حد سواء من غير ترجيح •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : أوضح من هذا الكلام أن يقال : كيف يقدر أن يحدث الشيء نفسه ، وهو قبل كونه شيئا ليس بشيء ؟

دل على المحدث له غيره وهو الله تعالى ، فحدوث العالم يدل على وجود الصانع القديم ، الموجود بغير ايجاد موجد له ، والا تسلسل وأدى الى المحال والعدم ، محدوث ، وهو وجود وضد العدم ، وهو الوجود محدوث أيضا ، فأيهما الخالق لنفسه قبل وجوده ، فدل على محال ذلك • انتهى •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى كل هذا ؟

قال : ان قولهما فى هذه المسألة الأخيرة التى فى حدوث العالم كله صحيح ، ولقد جاء فى الجواب لموافقتهما الحق والصواب ، والله أعلم •

وأما تلخيص القول فى المسائل السابقة ، فان فى كل منها محلا للنظر ، ومجالا للتأمل لمن أمده الله تعالى بالفهم ، ورزقه شيء من العلم ، وعلى قلة ما بى من الفطنة ، واعترافى بالعجز والقصور ، فى أكثر الأمور ، فانى قد تأملت فيما قاله صاحب الكشاف ، من جواز الوجهين فى سؤال الرؤية لموسى عليه السلام ، فلم أجد فى أحدهما ما يدل على خروجه من الصواب ، ولا مخالفته للسنة والكتاب ، وما رفعه الشيخ عمن كان مكبا على قراءة الكشاف من ادعائه أن موسى عليه السلام سأل الرؤية حقيقة •

فالزمخشرى لم يقل بذلك ، وهو برىء من عهدته ، وانما صرح بأنه سأل الرؤية ليسكت قومه ويلقمهم الحجر ، ويتبرأ من فعلهم ، ويبين له فساد اقتراحهم وطلبتهم ، وهذا مناف لدعوى أنه سألها ، وهو يريد ذلك حقيقة ، وكيف يظن به هذا مع قوله : لم يسألها

الا ليتبرأ من فعلهم مع تصريحه فى غير موضـع ، بأن موسى عليـه السلام كان أعلم بالله من أن يجوز عليه الظاهر ، لكن ظاهر السؤال يوهم أنه طلب حقيقة الرؤية ، ولهـذا كان من أعظم مـا يحتج به المخالفون فى شبههم على جوازها على الله تعالى ، وجملة أكثر أهـل العـام من أصحابنا على الوجه الثانى لقربه من أفهام العامة هربا من الاشكال المتصـور من نفس سؤال الرؤية على ظاهر اللفظ ، والوجه الأول أصـح فى النظر ، وأليق بالمحل لأنه المطابق للغرض ، والملائم للمقصـود ، والكلام قـد يعدل به عن المعنى الظاهر اذا اقتضى له المحل معنى آخر التوبة ، ويكتفى بالقرائن فى ذلك •

ومثال الأمر وأن الدعاء كله فى ظاهر الأمر متحـد الصورة لفظا ، ولكنه مختلف معنى بالقرائن الدالة عليه ، فقوله : (كلوا واشربوا) يفيد الاباحة ، (وأتموا الحج والعمرة لله) يفيد الوجوب ، (واعملوا ما شئتم) يفيد الوعيد والتهدد ، (واقض ما أنت قاض) يفيد اظهار القوة والتجلد ، وهاتان الصـورتان لا يراد بهما معنى الأمر أصـلا ، فان الله تعالى يأمر بفعل ما شـاءه من المعاصى ان الله لا يأمر بالسوء والفحشـاء •

وكذلك السحرة ، لم يأمروا فرعون بفعل ما فعله بهم ، لعـدم جوازه فى دين الله قطعا ، وانما أرادوا بذلك اظهار قوتهم فى الدين ، وبيان تصلبهم فيه ، وعـدم مبالاتهم بمـا لا يصنع فيهم فى هذه الحياة الفانية ، التى لا يعدونها شيئا ، وربمـا كان ذلك من غيرهم لاظهـار الاذعان والخضـوع وارادة الترحم لا غير ، وهكذا فى سائر المعانى •

فاذا كان سؤال الرؤية من موسى عليه السـلام انما جـاء لمعنى اسماع قومه الجواب عن الله تعالى بالمنـع ، فهـو الغرض الكافى فى جـواز سـؤالها •

ولم يكن سؤاله اياها على هذه الحالة باطلا ، ولا كفرا ولا ضلالا ، وانمـــا يكون حقا ، وهدى وصوابا ، وليس هو بمحجوج فى ذلك ، كما توهم الشيخ وفاقا للجماعة من أهل السـنة ، وليس كلما أمكنت المناديح فيه ، كانت واجبة كما قاله ، بل قد تكون واجبة مرة ، وفاضــلة طورا ، ومفضــولة أخرى ، فهى كغيرها من القــول المتنوع فى الأحــكام على ما تقتضـــيه من الأقسام •

فقد يكون العدول عنهـــا الى التصريح بالحقائق أولى ، وان كان ظاهرها الكفر اذا اقتضاها المقام لغرض صحيح ، ولــكن الغوص على حقائق مثل هــذه المعانى ، ربما لا يقتدر عليه الا بعض الفرسان من علماء المعانى والبيان •

وشاهد هــذا قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام : **(فلما** جن عليه الليل رأى كوكبا قال هــذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين • فلما رأى القمر بازغا قال هــذا ربى فلما أفل قــال لئن لم يهــدنى ربى لأكونن من القوم الضالين • فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هــذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون) فانظر كيف جاز لابراهيم عليه السلام أن يتكلم بلفظة الشرك ثلاث مرات ، مخبرا بهـــا عن نفسه ، من غــير مندوحة ، ولا فى موضــع تقية على نفس ولا دين ولا مال ، وليس هو مجبرا على ذلك ، ولا مأخوذا به ، وقــد كان له فى الاحتجاج بغير هــذا مجال رحب وسعة ، وقد احتج عليهم بغيره فى غــير مرة ، كما صرح به فى كتاب الله تعــالى ، ولكن برأى خطابهم على هــذا الأسلوب ، والجرى معهم على هذه الطريقة أقطع لحجتهم ، وأدمــغ لكلمتهم ، وأبلغ لتبكيتهم ، وأوضــح لاعجازهم ، فأثنى الله عليه بذلك ، وحــكى ما قاله هنالك •

وقال تأييدا له : (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) واذا كانت كلمة ابراهيم عليه السلام بالشرك الصريح ، لمـــا كانت مسوقة

لهدم قواعد الشرك ، ومقولة لايضاح الحق لم تسم شركا لفظا ولا معنى ولا عقلا ولا حكما ، فكيف يصح فى مقالة موسى عليه السلام . اذا كان مقصده بها تبكيت قومه ، واقامة الحجة عليهم ، بسماع المنع من الله تعالى أن تكون باطلة وهى نفس الحق المبين .

فموسى الكليم ، وابراهيم الخليل فى أحكام الحق سواء ، وكلمتاهما فى أحكام الظاهر ممنوعتان سواء ، ولكنهما كانتا مسوقتين لازهاق الباطل ، واثبات الحق ، فهما فى معنى الجواز سواء ، أم يجوز الفرق بينهما ، ولا فرق عند من عرف الحق ، فهما نفس الصواب ، وحقيقة الهدى . ولا يكاد يصدر مثلهما الا عن منصب النبوة ، ولكن ربما يخفى ضياء النهار ، على بعض الأبصار ولله در من قال :

واذا كنت بالمدارج غرا
ثم أبصرت حاذقا لا تمارى
واذا لم تر الهلال فسلم
لأناس رأوه بالأبصار

فان قلت : كيف يسوغ التشبيه والاحتجاج بقصة ابراهيم عليه السلام فى هذه الآية الشريفة ، وقد اختلف المفسرون فى تأويلها ؟

قلنا : ان الوجه الحق فيها ما قلناه ، وهو عمدة المحققين ، وقول المنصفين ، ولكن القوم لما لم يقتدروا على استخراج زبدها ، قال قائل منهم : ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك فى صباه ، وهذا باطل ، لأن حكاية الشرك لا معنى لها عن صبى ولا بالغ لغير فائدة ، وأى فائدة فى تجهيل الخليل عليه السلام ، وحكاية الشرك عنه فى صباه .

وقال آخرون : انه قالها على معنى الاستفهام ايهاما لقومه ، وليس بالقوى .

وقـــال بعض : تقــديره (قال هــذا ربى) بزعمكم وليس بشيء لعــدم الدلالة •

وقال بعضهم : تقديرة يقولون هــذا ربى ولا دليل عليه أيضــا فليس الوجــه الا الأول ولهذا فان نقيب المفسرين وامامهم فى المعانى والبيان ، العلامة الزمخشرى لم يذكر غيره ، ولم يلتفت الى سواه ، وبهــذا كفاية ، والله أعــلم •

فصــــل

وأما ما ذكره من شرح الحديث الذى يرويه أهل السنة والجماعة ، فى رؤية الله تعالى فى الدار الآخرة ، فينبغى النظر فيه من وجــوه ، أحــدها تشبيه مراتب الناس بالتدريج من كونه هلالا ، الى أن يكون قمرا ، ثم بدرا ، وتشبيه أهل الجهل بالعمى الذين لا ينظرون أصــلا ، وليس هــذا مما دل عليه هــذا الحديث لفظــا ولا معنى ، فليس فى الحــديث الا رؤية الله ضرورة لا يمكن انكارها ، كما لا يمكن المبصر انكار البــدر المتجلى له فى ليــلة تمامه ، والمراد أنه لا يمكن أحــدا فى يوم القيامة انكار معرفة الله تعالى •

(اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العــذاب وتقطعت بهم الأسباب) ، (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون) (وألقوا الى الله يومئــذ الســلم وضــل عنهم ما كانوا يفترون) فلم يبق فى القيامة موحد ولا مشرك الا وقد رأى اللــه بمعنى عرفه رؤية ضرورية لا يمكنه انكارها ولا دفعها كما لا ينكر البصير انكار رؤية البدر المتجلى له وما زاد على هذا من عبارات شيخنا ، فهى من آثاره أوردها باعتباره ، وليس هى من هــذا الحــديث فى شيء ، وكأنها فى الأصل من العبارات

الصـوفية التى ذكرها بعض شراح ديوان ابن الفارض فى القصـيدة الخمرية ، فلينظر فيهـا •

وثانيها قوله : اذ لا يصـح فى الآخرة فى الجنة أن يغفل عبـد فيهـا من عبيده تعالى عن ذكره بعقـله لحظـة ، ولا أن يزيد عليه الحضـور تارة ، وتنقض أخرى ، ولا أن يذكره تارة بصفة دون صفة ، ثم يذكره بعد حين بصـفة أخرى ، لأن له فيهـا ما تتمنى نفسـه ، ولا تتمنى شيئا قبل أن تتمنى حضورها مع الله ، وأن لا تغفـل عن ذكرها طرفة عين ، لأنهـا هى أهم شىء معهم فى قلوبهم ، وهى أعظم مطلوبهم • انتهى •

وليس فى كتاب الله تعالى ، ولا فى الحـديث عن رسوله صلى الله عليه وسلم ما يدل على هـذا ، قال الله تعالى : (ان أصحاب الجنـة اليوم فى شغل فاكهون • هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون • لهم فيهـا فاكهة ولهم ما يدعون • سلام قولا من رب رحيم) ولم يقل أهل الجنـة بغير الله ، لا يشتغلون ولا أنه فى الذكر له متبتلون ، ولا أنهم بذلك مخاطبون ، ولا أنه لا يمكن غفلتهم طرفة عين عن جميع صـفاته تعالى ، ولا أنهم دائمون على التنعم بحضرات القدس بجميع الأسماء والصـفات فى كل حالة ، ولو كان الأمر كذلك لجاء به معظم آيات القرآن ، لأنه أشرف الأشياء وأجلها عند الله ، وأعظمها قـدرا ، ولكان ذكر غيره من الأنهار المطردة •

والأزواج المطهرة ، واللحوم الشـهية ، والفواكه اللذيذة ، وما شبهها من النعم لا يذكر الا بعدها بحكم التبعية ولكن هـذا ما لا دليل عليـه البتة وانما هو من عبارات المتصـوفة ، ومقـالات الرهبان من النصارى ، كما وجدناه فى بعض الكتب الفرنسيسية ، محتجا بذلك على أن التزويج فى الجنة غير ممكن ، وان ذكر الأزواج فى القرآن ليس على

ظاهره ، لأنها لا ينبغى أن يكون محلا للشـــهوات ، وانما هى لكمال معرفة الله تعالى والانقطاع اليه ، ولكن هــذا باطل •

وجملة القول هاهنا أن الله غنى كريم ، وأن فضـــل الله واسع عظيم ، وقد سبق فى وعــده الصادق ، وأن لكل أحــد فيها ما تشتهى نفســـه ، وتلذ عينه ، فيجــوز أن تختلف منهم الشــهوات ، وتتنوع الارادات •

فمن كان همته فى الحضرات القدسية ، والواردات الالهية ، فهى هناك أتم وأكمل وأعظم وأجزل ، فما نحن بمنكرين لذلك ، أو شىء منه فى حق بعض المقربين ، وانما أنكرناه لزوم ذلك ، وعــدم امكان غيره هنالك ، لعــدم الدليل عليه ، ولأن ظاهر القرآن خلافه ، ولا يلتفت الى مقـــالات المتصــوفين •

وثانيها قوله : ولولا لذة الرؤية للمؤمنين ما كانت الجنة جنـــة ، وما كانت لذاتها مع الأولياء لذة • انتهى •

وهــذا أيضا لا دليل عليه ، والقول فيه كما ســـبق ، وقد جرى الشيخ فى هــذه المسألة الى آخرها مع هــذا المنوال ، والقول فيه كله واحــد ، فلا حاجة الى تكرار المقـــال ، وكفى به فى هــذا الموضـــع ، والله أعـــلم •

*** مســـألة :**

ومنــه : فى المشبه اذا جسم ماذا عليه ؟

الجـــواب :

يختلف فيه : قيل : كافر نعمة ، وقيل : مشرك ، وأكثر القول أنه مشرك على هــذه الصـــفة ، والله أعلم •

* مسـألة :

ومنـه : ما تقول أيجوز أن يقول الرجـل : يعلم الله بعلمـه أم لا ؟

الجـواب :

قيل بجوازه ، وقيل بمنعه ، وقيل بجوازه لمن عرف حقيقة معناه ، والا فالمنع ، ويجوز القول بجوازه الا لمن يعتقد فيه معنى لا يجـوز ، والله أعـلم .

* مسـألة :

ومنـه : وما حقيقة معناه ، وما الذى لا يجـوز الاعتقاد فيـه من ذلك .

الجـواب :

من اعتقد فيه أنه يعـلم بعلم هو غيره ، فقد جعله محتاجا لغيره ، وجعله محتاجا للحوادث ، وهـذا لا يجوز ، ومن عرف أن عـلم الله صـفة من صـفاته الذاتية ، وهى هو فليست هى غـيره ، ولا هى شيئا زائدا عليه ، فالقول بذلك جائز ، ويكون سبيلها كسبيل القول بأنه يعـلم بذاته لا غير ، والله أعـلم .

* مسـألة :

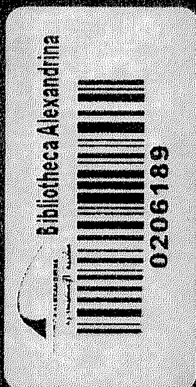
وهل يجوز أن يدعى الله تعالى يا نور بغير اضـافة تفضل علينا بالجـواب مأجورا ان شاء الله ؟

الجـواب :

انى لا أحفظ فى ذلك شيئا ، ولا يعجبنى الا أن يكون بالاضافة ، فيقال يا نور السموات والأرض ، والله أعلم .

فانظر شيخنا فى هذا وذلك ، ثم لا تأخـذ منه الا الحق .

فهـرس


Bibliotheca Alexandrina
0206189